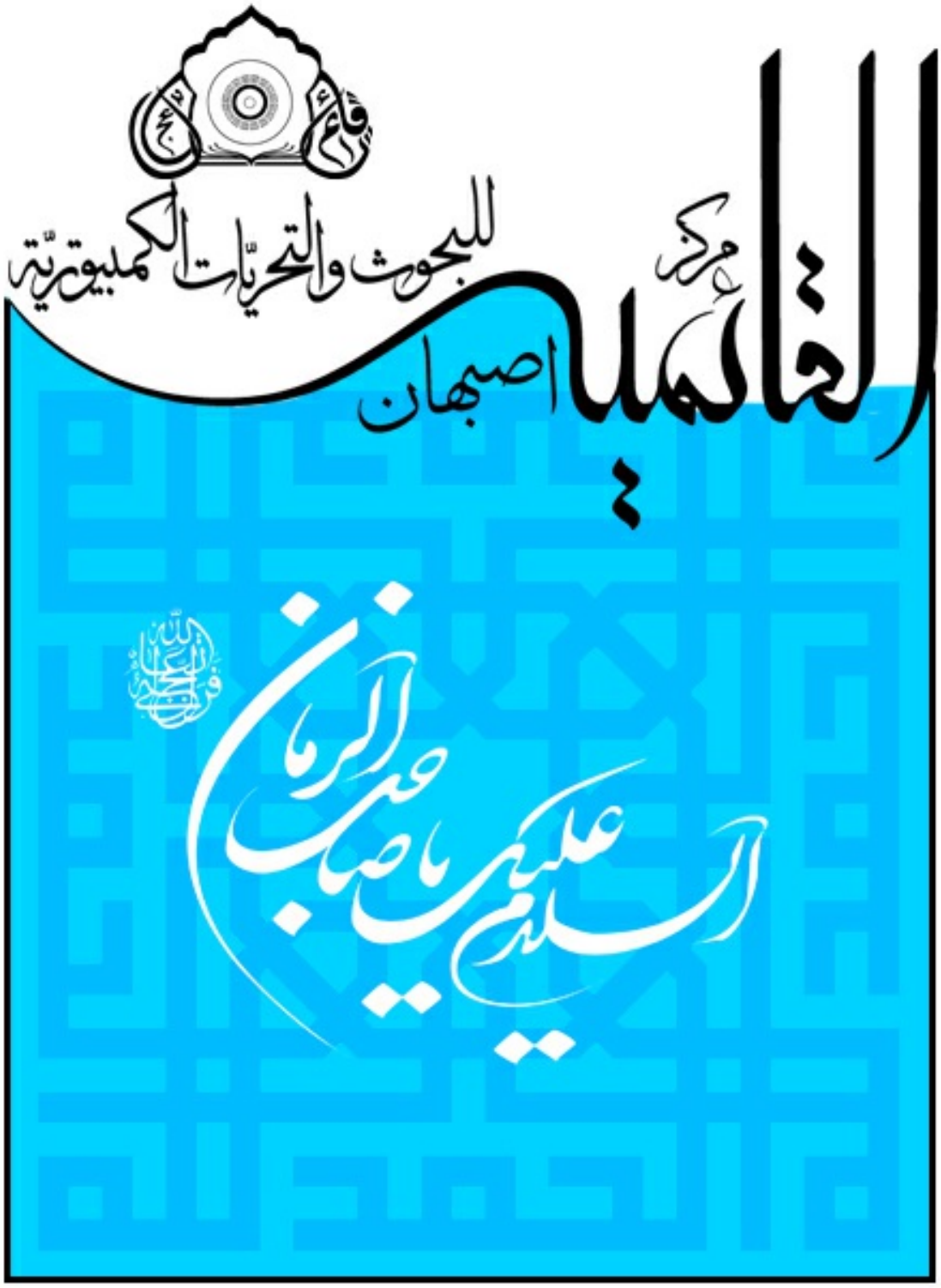

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

٧٤

سبايا آل محمد

دراسة في تاريخ سبي النساء وعلة إخراج الإمام الحسين عيالاته إلى كربلاء

دراسة وتحقيق
السيد نبيل الحسني

بسم الله الرحمن الرحیم

سبايا آل محمد صلي الله عليه وآله وسلم(دراسة في تاريخ سبي النساء وعلة إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلي كربلاء)

كاتب:

نبيل الحسنى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم(دراسة فى تاريخ سبى النساء وعلة إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء) 10

اشارة 10

هوية الكتاب 10

الإهداء 14

مقدمة الكتاب 16

المبحث الأول: هل كانت العرب تحمل النساء والأطفال إلى الحرب قبل الإسلام ؟ 20

اشارة 20

المسألة الأولى: أول من أشار بقتال النساء فى الحرب والهدف فى وجودها؟ 29

المسألة الثانية: إخراج المشركين للنساء فى حروبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 32

اشارة 32

أولاً: إخراج النساء إلى معركة أحد 32

ثانيا: إخراج المشركين نساءهم وأولادهم فى غزوة حنين 36

المسألة الثالثة: هل قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإخراج عياله إلى الحرب أو أجاز ذلک لأصحابه 42

المسألة الرابعة: إخراج النساء فى قتال الإمام على (عليه السلام) للناكثين والقاسطين والمارقين 50

اشارة 50

أولا: دور المرأة فى معركة الجمل 51

ثانيا: دور المرأة فى معركة صفين وقتال على عليه السلام القاسطين 58

اشارة 58

1 - سودة بنت عمارة (رحمها الله تعالى) 59

2 - الزرقاء بنت عدى رحمها الله تعالى 61

3 - بكارة الهلالية 64

المبحث الثانى: معنى السبى وتاريخه 72

اشارة 72

المسألة الأولى: معنى السبى لغة 74

المسألة الثانية: الجذور التاريخية لسبى المرأة 75

اشارة 75

أولاً: أول من سبى السبايا من العرب 75

ثانيا: سبى المرأة فى الأمم السابقة 76

المسألة الثالثة: كيف كان يتعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع السبايا؟ 78

اشارة 78

أولاً: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع جويرية بنت الحارث 79

ثانيا: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع عمة عدى بن حاتم لما سباها المسلمون 81

ثالثا: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع سبايا اليهود 84

المسألة الرابعة: أبو بكر أول من سن سبى المرأة المسلمة 86

المبحث الثالث: معنى المشيئة الإلهية، وهل هذه المشيئة تعطل العقاب الإلهى ؟ 90

اشارة 90

المسألة الأولى: معنى المشيئة الإلهية 94

اشارة 94

أولاً: المشيئة لغة 94

ثانيا: المشيئة فى القرآن 95

ثالثا: المشيئة فى السنة 102

المسألة الثانية: المشيئة التشريعية والمشيئة التكوينية 105

المبحث الرابع: من هم عيال الإمام الحسين عليه السلام ؟ وما هو عددهم ؟ 110

اشارة 110

المسألة الأولى: كم أخرج الإمام الحسين من أخواته إلى كربلاء؟ 117

أولاً: عدد أخواته من أبيه اللاتى خرجن معه عليه السلام 117

اشارة 117

1 - السيدة أم كلثوم بنت على بن أبى طالب عليه السلام 117
2 - فاطمة بنت على بن أبى طالب عليهما السلام 119
3 - السيدة رقية بنت على بن أبى طالب عليه السلام 123
4 - خديجة بنت على بن أبى طالب عليه السلام 123
5 - رقية الصغرى بنت على أمير المؤمنين عليه السلام 124
6 - أم هانئ بنت على بن أبى طالب عليه السلام 124
7 - أم الحسن بنت على بن أبى طالب عليه السلام 124
8 - رملة بنت على بن أبى طالب عليه السلام 125
9 - زينب الصغرى بنت على بن أبى طالب عليه السلام 127
ثانيا: عدد شقيقاته اللاتى خرجن معه إلى كربلاء 128
ثالثا: العلة فى اختصاص العقيلة زينب عليها السلام بهذه المصائب دون غيرها من بنات على أمير المؤمنين عليه السلام 129
المسألة الثانية: أزواج الإمام الحسين عليه السلام وبناته اللاتى خرجْنَ معه إلى العراق 132
اشارة 132
أولا: عدد أزواجه عليه السلام، ومن خرجت منهنّ معه عليه السلام 132
1 - ليلى بنت أبى مرة 132
2 - الرباب بنت امرئ القيس بن عدى من أهل الشام 136
3 - أم إسحاق بنت طلحة 139
ثانيا: عدد بناته اللاتى أخرجهن إلى العراق 142
اشارة 142
1 - السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام 142
2 - فاطمة الكبرى بنت الحسين عليه السلام 143
3 - فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام 144
4 - رقية بنت الحسين عليه السلام 148
5 - عاتكة بنت الحسين عليه السلام 149
المسألة الثالثة: نساء الأنصار 149

اشارة ----- 149
1 - أم وهب ----- 150
2 - أم عمرو بن جنادة الأنصارى ----- 151
3 - أم عبد الله بن عمير الكلبى ----- 152
المبحث الخامس: علّة إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعياله وآثار ذلک فى الأمة ----- 154
اشارة ----- 154
المسألة الأولى: سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم صور ومشاهد ----- 156
اشارة ----- 156
أولاً: سلب سيد شباب أهل الجنة عليه السلام بعد قتله ----- 157
ثانيا: سلب بنات النبوة وسبيهن ----- 158
ثالثا: أم كلثوم بنت أمير المؤمنين على عليه السلام تصف سبى الأعداء لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ----- 160
رابعاً: فاطمة بنت الحسين عليه السلام تصف سبى الأعداء لبنات المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ----- 160
خامساً: العقيلة زينب عليها السلام تصف سبى الأعداء لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ----- 161
سادساً: الإمام زين العابدين عليه السلام يصف سبى الأعداء لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ----- 161
سابعاً: كيف كانت حاله عليه السلام حينما أدخلوه وسبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على يزيد ----- 161
المسألة الثانية: آثار إخراج النساء إلى كربلاء فى الإسلام والمسلمين ----- 163
اشارة ----- 163
الأثر الأول: اصطفاء الذرية للدفاع عن الشريعة، وشاهده القرآنى ----- 164
الأثر الثانى: هواية القلوب للذرية، وشاهده القرآنى ----- 165
الأثر الثالث: إن الحسين وعياله خير أمة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ وشاهده القرآنى ----- 168
الأثر الرابع: الأثر التصديقى؛ وشاهده القرآنى ----- 170
الأثر الخامس: الأثر العسكرى ----- 172
اشارة ----- 172
ألف: إظهار حمية الأنصار لدرجة الاستئناس بالموت ----- 173
باء: حث الرجال على القتال ومشاركتهم الجهاد ----- 175

الأثر السادس: إصلاح البنية الفكرية للمجتمع المسلم 175
الأثر السابع: تجلى مصداق التوحيد فى حركة العقيلة زينب الإصلاحية للمجتمع 180
اشارة 180
1 – تلازم مفهوم الجمال والتوحيد عند العقيلة زينب عليها السلام 185
2 – صنع الله تعالى هو المحور فى بنية التوحيد ومعركة الإصلاح عند العقيلة زينب عليها السلام 187
3 – الفاعل غير الفعل فى بنية التوحيد عند العقيلة زينب عليها السلام 188
4 – نواة التوحيد هو الإيمان بالغيب 189
5 – قوام التوحيد فى العدل الإلهى 191
الأثر الثامن: الأثر التوثيقى 193
الأثر التاسع: الأثر الفقهى 196
الأثر العاشر: حفظ نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الانقطاع 197
الأثر الحادى عشر: الأثر الوجدانى 206
الأثر الثانى عشر: ترسيخ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتهاكها وتثبيتها فى نفوس المسلمين 208
اشارة 208
أولاً: دخولهن بالحالة المفجعة إلى الكوفة عمل على تصديع سنة التجرى 212
ثانيا: إن هتک حرمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يسده شىء. 215
ثالثا: التلازم بين حرمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة أبنائه وذريته 216
الأثر الثالث عشر: الدفاع عن حق على عليه السلام فى الوصاية والخلافة التى اغتصبت 217
الأثر الرابع عشر: الأثر الإرشادى 219
الأثر الخامس عشر: تصحيح مسار سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الأمة 227
المصادر 234
المحتويات 248
تعريف مركز 254

سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم(دراسة فى تاريخ سبى النساء وعلة إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء)

اشارة

سرشناسه: الحسنى، نبيل، 1965 - م.

عنوان و نام پديدآور: سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم: دراسة فى تاريخ سبى النساء وعلة إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء / دراسة تحليلية وتحقيق نبيل الحسنى.

مشخصات نشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية

محل نشر: كربلاى معلى - عراق

سال نشر : 1433 ه ق

مشخصات ظاهرى: 244 ص

يادداشت:عربى

يادداشت:كتابنامه

موضوع: واقعة كربلاء، 61 ق - أحداث السبى - دراسة وتحقيق

موضوع: واقعة كربلاء، 61 ق - أحداث السبى - فلسفة

موضوع: الحسين بن على (عليه السلام)، الإمام الثالث

ص: 1

هوية الكتاب

سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم: دراسة فى تاريخ سبى النساء وعلة إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء

دراسة تحليلية وتحقيق نبيل الحسنى.

ص :2

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة 2011-2187

الرقم الدولى: 9789933489137

الحسنى، نبيل، 1965 - م.

سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم: دراسة فى تاريخ سبى النساء وعلة إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء / دراسة تحليلية وتحقيق نبيل الحسنى. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، 1433 ق. = 2012 م.

247 ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة؛ 74).

المصادر: ص 225-238.

1. واقعة كربلاء، 61 ق - أحداث السبى - دراسة وتحقيق. 2. واقعة كربلاء، 61 ق - أحداث السبى - فلسفة. 3. على بن أبى طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، 23 قبل الهجرة - 40 ق - بنات - تعقيب وإيذاء. ألف. العنوان

5 ح 208 س / BP 41/509

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص:3

دراسةٌ وتحليلٌ وتحقيقٌ

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1433 ه -- 2012 م

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: 326499

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

ص:4

الإهداء

إلى من تجرعت غصص فراق الأهل والأحبة.

إلى من لم تعرف من اللعب غير رؤية الفرسان وصهيل الخيل وقرع طبول الحرب.

إلى من لم ترَ من الألوان سوى دماء أبيها وأخوتها.

إلى من إذا جاعت ألقموها السياط وإذا بكت أسكتوها بكعاب الرماح.

إلى من لم تعرف من أبيها سوى سنوات أربع عاشتها فى حجره وختمتها عند رأسه المقطوع.

إلى من بدأت أولى كلماتها ب –: أب يا أبه وختمتها، ب –: أبى من قطع الرأس الشريف، أبى من خضب الشيب العفيف، أبى من أيتمنى على صغر سنى.

إلى سيدتى الشهيدة البريئة ذات الأعوام الأربعة رقية بنت الإمام الحسين عليها السلام.

أهدى كتابى هذا علها تأنس به ففيه ذكر عماتها وأخواتها المسبيات.

خادمكم نبيل

ص:5

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها»(1).

والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله الهداة إلى الإسلام.

وبعد: لم تزل عاشوراء بما حوته من مفردات وأحداث ومشاهد ومواقف وشخصيات محطة للتزود الفكرى والدنيوى والأخروى، وذلک أنها كانت - وبحق - خلاصة حركة النبوة والأنبياء عليهم السلام من نبى الله آدم عليه السلام وإلى أبى القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إلا أن التزود من هذه المحطة يعتمد على الوارد إليها فمنهم من يجد ضالّته فى الإلهام الشعرى، ومنهم من يجد ضالته فى النجاة فى ا لآخرة، ومنهم من يجد ضالته فى شحن روح حركته الجهادية ومبادئه التحررية، ومنهم من يجد المتنفس لآلامه وهمومه ومنهم من يجد الحياة.

1- (1) هذا ما ابتدأت به سيدة نساء العالمين عليها السلام فى خطبتها الاحتجاجية التى ألقتها فى مسجد رسول الله على جمع من المهاجرين والأنصار.«كتاب الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 132».

ولذلک: ضـمت شخصـيات اختارتها المشيئة الإلهية لتتجسد فى حركتها حركة الأنبياء عليهم السلام فى إعلاء كلمة التوحيد وحفظ الحياة التى عبث بها الطواغيت.

فكان من بين هذه الشخصيات بنات النبوة وربيبات الرسالة وسليلات على بن أبى طالب عليه السلام.

نعم؛ فمنذ أن قدر الله تعالى أن يختم النبوة بمحمد صـلى الله عليه وآله وسلم وأن يجعلها من نسل عبد المطلب كذا شاء سبحانه أن يكون ذكر أبى طالب رضوان الله تعالى عليه ملازما لهذا السير النبوى والنور الأزلى ليتشاطر الاثنان رزء يوم عاشوراء وحفظ شريعة خاتم الأديان.

فأبو طالب رضوان الله عليه قـدّم فى يوم عاشوراء ثمانية عشـر رجلاً شـهيداً من أحفاده وخمسة عشـر امرأة مسبية شاء الله أن يراهنّ مسبيات ومسـلبات ومصـلحات وشاء الله أن يرى رجالهن وإخوانهن وأبناءهن مصـلحين ومجاهـدين ومبلغين لرسالات ربهم وشـهداء مضـرّجين بدمائهم.

من هنا: وجدنا أن دراسة هذا الوجود العلوى والنبوى لبنات رسول الله المسـبوق بمشـيئة الله بحاجة إلى التأمل والتفكر والبحث؛ كى نضع أيدينا على منهل جديد من مناهل المعرفة العاشورائية نشفى به قلوب المؤمنين بعد جدب الشبهات وتراكم التخرصات التى يتبوّق بها أشياع آل أبى سفيان بين الحين والآخر وهم يظهرون بمقاسات جديدة وألوان متعددة تتناسب مع الأزمنة.

إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ.

وعليه:

كانت هذه الدراسة ضـمن مباحث خمسة حاولنا الإحاطة بما يشـتمله العنوان من محاور، لنفى بها حق هذه الدراسة وحسبما يفرضه علينا المنهـج العلمى للبحث، فبـدأنا بدراسة أصل خروج النساء إلى المعركة عند العرب قبل الإسـلام وبعده؛ لنعلم من أين نشأت هذه الفكرة؟ وهذا أولاً.

وثانياً: انعطفنا على معنى السبى وتاريخه لدى العرب وغيرهم؛ لنعلم أدخيلٌ هذا العمل على المجتمع العربى أم هو وليد هذا المجتمع؟

ثم توقفنا مع كيفية تعامل رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم مع سبايا المشركين واليهود؛ كى نضع أيدينا على الجرح فى أن الطريقة التى تعامل بها (المسلمون) مع بنات نبيهم ليس لها مثيل فى الأديان.

ثالثا: بحثنا فى معنى المشيئة الإلهية والرجوع إلى القرآن والسنة المحمدية فى بيان معنى المشيئة ودلالة قول سيد الشهداء عليه السلام:

«شاء الله أن يراهن سبايا».

وهل هذا ينفى وقوع العقاب على الجناة؟

رابعاً: ثم لابد لنا من دراسة هذه الشخصـيات التى ابتليت بالسبى ومعرفة نسبتهن من على بن أبى طالب عليه السلام، فخلصت الدراسة فى هذا المبحث إلى أن الإمام على بن أبى طالب عليه السـلام سبيت له يوم عاشوراء عشـر بنات تتقدمهن عقيلة الطالبيين وزينة أبيها على أمير المؤمنين وابنة سيدة نساء العالمين وهو ما لـم يقع لنبى من الأنبياء سوى سيدهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن

تتعرض حرمه لهذا الابتلاء وبهذا العدد.

خامساً: ثم ختمنا الدراسة بالبحث عن العلة فى هذا الخروج للعيال، وما هى الآثار التى حققها وجود النساء والأطفال؟ فكانت النتيجة: أنهن حققن من الإصلاح ما يوازى تلك الدماء الزكية التى سقت عقيدة الإسلام وحفظته.

السيد نبيل قدورى حسن علوان الحسنى

مكتبة الروضة الحسينية المقدسة / كربلاء المقدسة

فى يوم الأحد 13 شهر رمضان المبارک 1432 ه - 2011/8/14

ص:10

المبحث الأول: هل كانت العرب تحمل النساء والأطفال إلى الحرب قبل الإسلام؟

اشارة

ص:11

لعل مما يرد فى ساحة البحث هذا التساؤل الذى بدأنا به هذه الدراسة فى معرفة الحكمة التى من أجلها أخرج الإمام الحسين عليه السلام نساءه وأطفاله إلى العراق وهو الذى كان يعلم علم اليقين أنه ذاهب لملاقاة أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنه مقتول لا محاله، فلطالما صرح بذلک جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل كان اهتمام النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى بيان هذه الفاجعة يفوق حد التصور، ويعطى مفهوماً خاصاً ارتبط بمقامه صلى الله عليه وآله وسلم عند الله تعالى، هذا المقام ترتب عليه من الابتلاء والامتحان ما لم يصل إلى تحمله نبى من الأنبياء ولا رسول من الرسل، فأى نبى أو رسول وصل به التسليم والرضا بقضاء الله تعالى إلى الحد الذى كشفه فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما دخل على على وفاطمة عليهما السلام فى ليلة زفافهما وعند السحر ليخبرهما بأن الله سيجعل منهما ولدين سيقتل أحدهما غريبا عطشاناً.

كما يروى ابن جرير الطبرى (الشيعى) فى الدلائل (عن على عليه السلام فى حديث طويل عن مراسيم زفاف فاطمة عليها السلام فمما جاء فيه، أنه عليه السلام قال:

«فبت بليلة لم يبت أحد من العرب بمثلها، فما إن كان فى آخر السحر أحسست بحس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معنا، فذهبت لأنهض، فقال لى:

مكانك يا على، أتيتك فى فراشك رحمك الله.

فأدخل صلى الله عليه وآله وسلم رجليه معنا فى الدثار، ثم أخذ مدرعة كانت تحت رأس فاطمة، ثم استيقظت فاطمة فبكى، وبكت، وبكيت لبكائهما، فقال لى:

ما يبكيك يا على؟

قال: قلت: فداك أبى وأمى، لقد بكيت وبكت فاطمة، فبكيت لبكائكما.

قال نعم: أتانى جبرئيل فبشرنى بفرخين يكونان لک، ثم عزيت بأحدهما، وعرفت أنه يقتل غريبا عطشانا، فبكت فاطمة حتى علا بكاؤها، ثم قالت: يا أبه، لم يقتلوه وأنت جده، وأبوه على، وأنا أمه؟

قال: يا بنية، لطلبهم الملک، أما إنه سيظهر عليهم سيف لا يغمد إلا على يد المهدى من ولدک»)(1).

ويستمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الإخبار عن هذه الفاجعة حينما ولد الإمام الحسين عليه السلام، ليرسّخ فى الأذهان أن هذا المولود هو مشروع استشهادى اصطفاه الله تعالى لنصرة دينه وحفظه من العبث به على أيدى

1- (1) دلائل الإمامة لابن جرير الطبرى: ص 101-102.

جبابرة الكفر ومردة النفاق وأئمة الضلال وسلاطين الجور.

كما تشير إلى ذلک رواية الشيخ المفيد رحمه الله، والحاكم النيسابورى وابن عساكر الدمشقى وغيرهم عن أم الفضل بنت الحارث:

(أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله رأيت هذه الليلة حلما منكراً! قال:

«وما هو؟».

قالت: إنه لشديد، قال:

«وما هو؟».

قالت: رأيت كأن قطعة من جسدک قطعت ووضعت فى حجرى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فيكون فى حجرک».

فولدت فاطمة الحسين عليه السلام فقالت: وكان فى حجرى كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدخلت به يوما على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فوضعه فى حجره، ثم حانت منى التفاتة فإذا عينا رسول الله عليه وآله السلام تهراقان بالدموع، فقلت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، ما لک؟ قال:

«أتانى جبرئيل عليه السلام فأخبرنى أن أمتى ستقتل ابنى هذا، وأتانى بتربة من تربته حمراء»)(1).

1- (1) الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله: ج 2، ص 129؛ المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى: ج 3، ص 177؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 14، ص 197؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج 6، ص 258.

ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا القدر من البيان عن مصير ولده وما تجترم الأمة بحقه ولا ترعى له ذمة ولا حرمة فيقول لعائشة حينما تسأله متعجبة من شدّة حبه لولده الإمام الحسين عليه السلام فتسأله وهى تنظر إليه كيف قد أجلسه فى حجره ثم انعكف عليه يلاعبه ويضاحكه، فقالت:

«يا رسول الله ما أشد إعجابک بهذا الصبى!».

فقال لها:

«ويلک، وكيف لا أحبه، ولا أعجب به، وهو ثمرة فؤادى، وقرة عينى، أما أن أمتى ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حججى».

قالت: يا رسول الله حجة من حججک؟! قال:

«نعم، حجتين من حججى».

قالت: يا رسول الله حجتين من حججک؟! قال:

«نعم، وأربعة».

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«فلم تزل تزاده ويزيد ويضعف حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأعمارها»(1).

فكان هذا كافياً فى إيجاد حالة اليقين عند أهل البيت عليهم السلام بما سيجرى على الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن بيانه صلى الله عليه وآله وسلم تفاصيل ما سيحل على الحسين عليه السلام من المصائب والرزايا العظيمة فى يوم عاشوراء حتى سجل التاريخ تلک الحقيقة المأساوية فى صفحاته لتزفر فى وجوه

1- (1) كامل الزيارات لابن قولويه: ص 144؛ الأمالى للطوسى: ص 668.

من أرادوا أن يطمسوا أعينهم عن انقلاب هذه الأمة بعد وفاة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم، فغدت على أهل بيته تنهبهم وتقتلهم لتكوّن فى تاريخ الإنسانية بشكل عام وبتاريخ النبوة والأنبياء أفجع حلقة من المآسى والآلام التى لم يعرفها أى تاريخ من تواريخ الديانات.

من هنا: نجد أن الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم بمصيره المحتوم على أيدى أمة جده، وكان يصرح بذلک فى مرات عديدة، كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لكن الفارق فيما بين هذه الأقوال هو أن الإمام الحسين عليه السلام كان يظهر مصير أطفاله وإخوانه وحرمه وما يجرى عليهم فى ارض كربلاء كما تدل النصوص التاريخية، فكان منها:

أولا: حينما خرج من المدينة متجها إلى مكة وقد ذهب لزيارة أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها فقالت:

لا تحزنّى بخروجک إلى العراق فإنّى سمعت جدک رسول الله يقول:

«يقتل ولدى الحسين بأرض العراق فى أرض يقال لها كربلاء».

وعندى تربتک فى قارورة دفعها إلىّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الحسين عليه السلام:

«يا أماه وأنا أعلم أنى مقتول مذبوح ظلماً وعدواناً وقد شاء عزّ وجل أن يرى حرمى ورهطى مشردين وأطفالى مذبوحين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً».

قالت أم سلمة: واعجبا فأنّى تذهب وأنت مقتول؟

قال علیه السلام:

«یا أماه إن لم أذهب الیوم ذهبت غداً وإن لم أذهب فی غد ذهبت بعد غد وما من الموت والله بد وإنی لأعرف الیوم الذی أقتل فیه والساعة التی أقتل فیها والحفرة التی أدفن فیها کما أعرفک وأنظر إلیها کما أنظر إلیک وإن أحببت یا أماه أن أریک مضجعی ومکان أصحابی».

فطلبت منه ذلک فأراها تربة أصحابه، ثم أعطاها من تلک التربة وأمرها أن تحتفظ بها فی قارورة فإذا رأتها تفور دماً تیقنت قتله! وفی الیوم العاشر بعد الظهر نظرت إلی القارورتین فإذا هما تفوران دماً(1).

ثانیا: ولما أراد الخروج من مکة متجها إلی العراق قام علیه السلام خطیباً فقال:

«الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله خط الموت علی ولد آدم مخط القلادة علی جید الفتاة وما أولهنی إلی أسلافی اشتیاق یعقوب إلی یوسف وخیر لی مصرع أنا لاقیه کأنی وأوصالی یتقطعها عسلان الفلوات بین النواویس وکربلاء فیملأن منی أکراشاً جوفاً وأجربة سغبا لا محیص عن یوم خط بالقلم رضی الله رضانا أهل البیت نصبر علی بلائه ویوفینا أجور الصابرین لن تشذ علی رسول الله لحمته وهی مجموعة له فی حظیرة القدس تقر بهم عینه وینجز بهم وعده من کان باذلا فینا مهجته وموطنا علی لقاء الله نفسه فلیرحل فإنی راحل مصبحا إن شاء الله»(2).

1- (1) بحار الأنوار: ج 44، ص 332. مقتل الإمام الحسین علیه السلام للسید عبد الرزاق المقرم: ص 135-136.

2- (2) مثیر الأحزان لابن نما الحلی: ص 29؛ البحار للمجلسی: ج 44، ص 367؛ کشف الغمة للأربلی: ج 2، ص 239.

كـل ذلـك لـم يمنعه من إخراج عيـاله نساءً وأطفالاً إلى أرض كربلاء، بل قـد أظهر للتاريـخ الـذى غرق فى صـمت عميق – وهو يرى تلك الحوادث فى يوم عاشوراء فلم يجـد جواباً – أن الأمر أكبر من أن يسـتوعبه ذهن باحث أو يحيط به فكر دارس؛ وبين هـذا وذاك راح المؤرخ يسجل لهما قول ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله قد شاء أن يراهن سبايا»!!!

وعنـدها كيف لا يفرض البحث علينا ونحن نسـجل كل هـذه المقاطع الفكريـة لحياة سـيد شـباب أهل الجنة؟! فهل اصـطحابه لعياله كان مرتكزا على ما اعتادت عليه العرب قبل الإسلام من حملها للنساء والأطفال إلى مواطن الحروب فكانت تحرز بهن انتصاراً، أم لـم تجد لهن أماناً إذا تركوهن فخشوا أن يُؤْخَذْنَ رهائن عنـد الخصوم، أم أن العرب كانت تجد أن مصـير رجالها ونسائها وأطفالها مرهون بالرجال حينما تدق الحرب طبولها معلنة الدمار وهى تصـرخ فى فضاء الصـحراء أن لا حياة للعيال بعد الرجال فيتردد هذا الصدى إلى مسامع المسـلمين فكانوا على ما عهدوا عليه أسلافهم فى حمل النساء والأطفال إلى دار الحرب والدمار.

أم أن الأمر لا علاقة له بماضى العرب؟ وما كانت تفكر فيه؟

وعليه:

من أين جاءت هذه الفكرة أو النظرية، أى: حمل الأطفال والنساء إلى الحروب؟

ص:19

المسألة الأولى: أول من أشار بقتال النساء فى الحرب والهدف فى وجودها؟

تفيد بعض النصوص التاريخية قبل الإسلام فى تاريخ العرب: إلى أن الحرب التى نشبت بين البكريين والتغلبيين والتى اشتهرت بحرب البسوس وُظفت فيها النساء لتحقيق إنجاز عسكرىّ فكان أول من أشار بتوظيف المرأة فى المعركة للقتال هو الحارث بن عباد البكرى حينما أشار على الحارث بن همام بقتال النساء فى الحرب، وذلک حينما التقى الفريقان بعقبة وعلى بنى تغلب مهلهل بن ربيعة، وعلى بكر الحارث بن همام بن مرة، فلما تراءى الجمعان قال الحارث بن عباد للحارث بن همام: هل أنت مطيعى فيما آمرک به؟

قال: ما أنا بتارک رأيک إلى ما هو اشر منه.

قال: اعلم أن القوم مستقلون لقومک فى السلم، فزادهم جرأة فى الحرب فقاتلوهم بالنساء فضلا عن الرجال.

قال الحارث بن همام: وكيف قتال النساء؟

قال: تعمدون إلى كل امرأة لها جلد ونفس فتعطى كل واحدة منهن إدواة وهراوة فإذا صففت أصحابک فصفهن خلفهم فإن ذلک مما يزيد الرجال جلداً وشدة ونشاطاً.

ثم تعلموا بعلامة تعرفها نساؤكم فإذا جرح منكم إنسان فى القتال أُمرنَ بسقيه، وإذا مررن من عدوكم بإنسان ضربنه بالخشب فقتلنه، فتحاشدوا لذلک وحلقوا رؤوسهم علامة بينهم وبين نسائهم واستسلموا للموت ولم يبق يومئذ من

بكر أحد حضر الوقعة إلا حلق رأسه)(1).

أما الهدف فى وجود النساء فى المعركة فقد ذكرت بعض صفحات حرب البسوس حينما تلاقى البكريون والتغلبيون واجتلد القوم بالسيوف صدر يومهم ذلك ثم (جالت بنو بكر على تغلب فاستهزموا لهم حتى استمكنوا منهم وأخذ برة فى تلك الجولة ثم اعترض تغلب كتيبة واحدة تحت راية مهلهل كأنها ركن ثبير فطرحت الأغماد ونادت كليبا كليبا وانصبت جهودها على بكر ضربا بالسيوف على الهام حتى ولت بكر مدبرين واختلف أعناق القتلى وصارت راية المهلهل بين الفئتين لا ترى حوله إلا ضاربا أو مضروبا وشق الخيل شقا ثم من عرفه بكريا قتله، ومن أنكره كف عنه خوف الخطأ.

واعترض عوف بن مالك بن ضبعة البكرى بناقته وعليها ظعينته وقومه مدبرون فعقر ناقته وحث التراب فى وجوههم وقال: يا لبكر أين النساء والحريم، إن الموت أفضل الطريقين ثم شهر قائم سيفه وزعق بهم وقال: وأيم الله لا يمر بى هارب إلا أذقته القتل الذى هرب منه وكان مسموعا واجتمعت أهل الحميات ونادوا البروك يا لبكر لا خير فى بكرى لا يبرك يا بكر البرك عند الدرك فبركوا قعودا وصفوا التراس وضموا خيلهم كتيبة واحدة وأصاموها عن الجرى قياما وصاح الناس عليهم من حولهم وفى وجوههم يا لبكر الذمار - وهى العودة -.

وكان مع الفند بن سهل ابنتان له تحضان الناس على القتال، فكشفت إحداهما خمارها وجعلت تقول محرضة لقومها:

1- (1) تاريخ الحروب العربية لسلمان الصفوانى: ص 121.

وعا وعا جر والجراد والقطا وامتلأت منه الحياض والربا

يا حبذا الملوک منا بالضحى)

وأقبلت کرمة بنت ضلع بن عبد غنم وهى أم مالک بن زيد فارس بکر تحرض قومها وهى تقول:

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

وتدهن المفارق إن تدبروا نفارق

فراق غير رامق عرس المولى طالق

والعار منه لاحق(1)

فکانت النتيجة أن عطفت بکر على تغلب.

إذن:

تـدل تلک الصـفحات التاريخيـة على أن العرب کانت تحمل النساء إلى المعارک ولکن لا يبدو أن ذلک على وجه العموم؛ إذ ليس جميع من يخرج للحرب کـان يحمـل عيـاله إلا أن وجود المرأة کان له أثر مميز فى اسـتنهاض همم الرجال ورفع معنوياتهم القتاليـة فمن شـيمة العرب الحمية والاستماتة من أجل صون الحرم.

إلا أن هذا الهدف لم يکن هو السـبب والدافع لإخراج الإمام الحسـين عليه السـلام عياله معه إلى کربلاء وهو المتيقن بمصـيره ومصـيرهن فشـتان بين امرئ يعلم مـا يجرى عليه وعلى عيـاله (إذ إن الله شـاء أن يراهن سـبايا) وبين رجل أخرج عياله کى يحقق بهن عوناً لوجستياً قد يحرز به نصراً.

1- (1) المصدر السابق نفسه.

المسألة الثانية: إخراج المشركين للنساء فى حروبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اشارة

لم تنفك العرب من الاعتقاد بضرورة إخراج الظعن - أى المرأة سواء أكانت زوجة أم أختاً أم بنتاً - إلى دار الحرب لتحقيق أهدافها فى حث الرجال على الحمية والتضحية والرجولة التى تأبى أن تضام المرأة وهم أحياء.

ولـذا: نجـد أن المشـركين قـد وجـدوا ضـرورة إخراج المرأة إلى المعركة فى حربهم لرسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم؛ لغرض تحقيق مكاسب عسكرية - لم ينالوا منها شيئاً - وذلک لاختلاف العقيدة القتالية بين الفئتين، إلا أننا يمكن أن نقف على دور إخراج الظعينة إلى دار الحرب عند العرب من خلال ما يأتى:

أولاً: إخراج النساء إلى معركة أحد

إن المشـركين حينما قتل شجعانهم وأشياخهم فى معركة بدر الكبرى عزموا على ملاقاة المسلمين فى معركة أخرى فكانت من استعداداتهم لهذه المعركة أن أخرجوا نساءهم معهم وكان عدد النساء اللائى خرجن لمعركة أحد (خمس عشرة امرأة)(1).

قال الطبرى: (فخرجت قريش بحـدها وجدها وأحابيشـها ومن معها من بنى كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة ولئلا يفروا؛ فخرج أبو سـفيان بن حرب وهو قائـد الناس معه هنـد بنت عتبـة بن ربيعة، وخرج عكرمة بن أبى جهل بن هشام بن المغيرة، بأم حكم بنت الحارث بن هشام بن الحارث، وخرج

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 2، ص 190.

الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة، وقيل ببرة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وهى أم عبـد الله بن صـفوان، وخرج عمرو بن العاص بن وائل بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو بن العاص، وخرج طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسـلافة بنت سعد بن شهيد وهى أم بنى طلحة مسافع والجلاس وكلاب قتلوا يومئذ وأبوهم، وخرجت خناس بنت مالك بن المضـرب إحدى نساء بنى مالك بن حسل مع ابنها أبى عزيز بن عمير وهى أم مصـعب بن عمير، وخرجت عمرة بنت علقمـة إحـدى نساء بنى الحارث بن عبـد مناة بن كنانة، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة - زوجة أبى سـفيان - كلما مرت بوحشى أو مر بها قالت إيه أبا دسمة إشف واشتف وكان وحشى يكنى أبا دسمة)(1).

وكانت هند زوجة أبى سفيان قد جمعت هذه النسوة وأخذن يضربن بالدفوف وهى تقول:

نحن بنات طارق إن تقبلوا نعانق

ونبسط النمارق أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

وتقول أيضا: وقد وقفن خلف الرجال:

ويها بنى عبد الدار ويها حماة الأدبار

ضربا بكل بتار(2)

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 2، ص 188.

2- (2) تاريخ الطبرى: ج 2، ص 195.

ومن الملفت للنظر أن بلاد الشام إلى يومنا هذا ما زالت النساء الشاميات حينما يردن أن ينشدن الأهازيج يبتدئن ب – (ويها) ثم يردفن الأهزوجة؛ ولعل نشوء حكم بنى أمية فى هذا البلد كان له الأثر الكبير فى ثقافة الناس لاسيما وأن هنداً أم معاوية قد حرصت على زرع كثير من السجايا فى نفس ولدها معاوية وحفيدها يزيد اللذين حكما المسلمين.

ولعل عداءهما لبنى هاشم جعل هذه الثقافة سارية أين ما حل بنو أمية فى البلاد سواء أكانوا فى الشام أم فى الأندلس، هذا العداء الذى تجلى بأول مظاهره فى معركة أحد حينما وقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجدعن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا غلام جبير بن مطعم وبقرت عن كبد حمزة سلام الله عليه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها:

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب يوم الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لى من صبر أبى وعمى وأخى وصهرى

شفيت وحشى غليل صدرى شفيت نفسى وقضيت نذرى

فشكر وحشى على عمرى حتى تغيب أعظمى فى قبرى

قال ابن إسحاق وابن طيفور: فأجابتها هند بنت أثاثة بن المطلب بن عبد مناف:

خزيت فى بدر وغير بدر يا بنت غدار عظيم الكفر

أفحمک الله غداة الفجر بالهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يفرى حمزة ليثى وعلى صقرى

إذ رام شيب وأبو عذرى فخضبا منه ضواحى النحر

هتک وحشى حجاب الستر ما للبغايا بعدها من فخر(1)

ولقد هجاها حسان بن ثابت قائلا:

أشرت لكاع وكان عادتها لؤما إذا أشرت مع الكفر

لعن الاله وزوجها معها هند الهنود عظيمة البظر

أخرجت مرقصة إلى أحد فى القوم مقتبة على بكر

بكر ثقال لا حراک به لا عن معاتبة ولا زجر

وعصاک إستک تتقين بها دقى العجاية هند بالفهر

قرحت عجيزتها ومشرحها من دأبها نصا على القتر

ظلت تداويها زميلتها بالماء تنضحه وبالسدر

أخرجت ثائرة مبادرة بأبيک وابنک يوم ذى بدر

وبعمک المستوه فى ودع وأخيک منعفرين فى الحفر

ونسيت فاحشة أتيت بها يا هند ويحک سبة الدهر

فرجعت صاغرة بلا ترة منا ظفرت بها ولا نصر

زعم الولائد أنها ولدت ولدا صغيرا كان من عهر(2)

1- (1) السيرة النبوية لابن هشام: ج 3، ص 608. بلاغات النساء لابن طيفور: ص 28؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 15، ص 14. تفسير القرطبى: ج 4، ص 188. البداية والنهاية لابن كثير: ج 4، ص 42؛ عيون الأثر لابن سيد الناس: ج 1، ص 424.

2- (2) تاريخ الطبرى: ج 2، ص 205.

إذن:

قدمت النسوة فى معركة أُحُد ما اختزنته تلك النفوس من حقد على رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وبنى هاشم ومن آمن به؛ بمعنى: كان الدور الجديد الذى ظهر من وجود الظعينة فى معركة أحد هو الكشف عن مكنون نفوس الرجال وما لحق بتلك البيوتات من ضرر كبير فى معركة بدر.

ثانيا: إخراج المشركين نساءهم وأولادهم فى غزوة حنين

لم يشـهد العرب بعد معركة أحد ظهوراً لحمل الظعينة فى حرب المشـركين لرسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم إلا فى غزوة حنين، وقد امتـاز هـذا الخروج للظعينـة ببعض الامتيازات التى جعلت من هـذه الغزوة متفردة من حيث ما شـهدته من ظهور للمرأة على طول تاريخ العرب، وهى كالآتى:

1 – تُظهر النصوص – التى سنعرضـها – بأن هوزان لـم تترك امرأة إلا أخرجتها معها فى سـيرها لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة حنين.

2 – إخراج الأطفال وحملها إلى دار الحرب.

3 – إخراج الأموال من الماشية والإبل والأغنام وغيرها.

ممـا جعلها – بحق – تتفرد فى هـذا الظهور للمرأة فى دار الحرب، أما كيف حـدث الأمر، فهو كما يرويه المؤرخون: (أن هوازن جمعت له جمعاً كثيرا، فذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن صفوان بن أمية عنده مائة درع فسأله ذلك، فقال: أغصبا يا محمد؟

قال:

«لا، ولكن عارية مضمونة».

قال: لا بأس بهذا. فأعطاه.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ألفين - من مكة - وعشرة آلاف كانوا معه، فقال أحد أصحابه: لن نغلب اليوم من قلة. فشق ذلک على رسول الله فأنزل الله سبحانه

وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ 1 .

وأقبل مالک بن عوف النصرى فيمن معه من قبائل قيس وثقيف، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أبى حدرد عينا فسمع ابن عوف يقول: يا معشر هوازن إنكم أحد العرب وأعدها، وإن هذا الرجل لم يلق قوما يصدقونه القتال، فإذا لقيتموه فاكسروا جفون سيوفكم واحملوا عليه حملة رجل واحد. فأتى ابن أبى حدرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبى حدرد؟ فقال:

«قد كنت ضالا فهداک الله يا عمر وابن أبى حدرد صادق».

قال الصادق عليه السلام:

«وكان مع هوازن دريد بن الصمة، خرجوا به شيخا كبيرا يتيمنون برأيه، فلما نزلوا بأوطاس قال: نعم مجال الخيل لا حزن ضرس، ولا سهل دهس، مالى أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالک بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وذراريهم قال: فأين مالک؟ فدعى مالک له، فأتاه فقال:

يا مالک، أصبحت رئيس قومک، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لی أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، وثغاء الشاة؟

قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم. قال: ويحک لم تصنع شيئا، قدمت بيضة هوازن فی نحور الخيل، وهل يرد وجه المنهزم شیء؟! إنها إن كانت لک لم ينفعک إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليک فضحت فی أهلک ومالک.

قال: إنک قد كبرت وكبر عقلک.

فقال دريد: إن كنت قد كبرت فتورث غدا قومک ذلا بتقصير رأيک وعقلک، هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه (ثم قال: حرب عوان).

يا ليتنی فيها جذع أخب فيها وأضع).

قال جابر: فسرنا حتی إذا استقبلنا وادی حنين، كان القوم قد كمنوا فی شعاب الوادی ومضائقه، فما راعنا إلا كتائب الرجال بأيديها السيوف والعمد والقنی، فشدوا علينا شدة رجل واحد، فانهزم الناس راجعين لا يلوی أحد علی أحد، وأخذ رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم ذات اليمين، وأحدق ببغلته تسعة من بنی عبد المطلب.

وأقبل مالک بن عوف يقول: أرونی محمدا، فأروه فحمل علی رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم - وكان رجلا أهوج - فلقيه رجل من المسلمين فالتقيا، فقتله مالک - وقيل: إنه أيمن بن أم أيمن - ثم أقدم فرسه فأبی أن يقدم نحو رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم، وصاح كلدة بن الحنبل - وهو أخو صفوان بن أمية

لأمه وصـفوان يومئذ مشرک -: ألا بطل السحر اليوم، فقال صفوان: اسكت فض الله فاک، فوالله لأن يربنى رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن.

قال محمد بن إسـحاق: وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة أخو بنى عبد الدار: اليوم أدرک ثارى - وكان أبوه قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمدا، قال: فأدرت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأقتله فأقبل شىء حتى تغشى فؤادى، فلم أطق ذلک، فعرفت أنه ممنوع.

وروى عكرمة عن شـيبة قال: لما رأيت رسول الله يوم حنين قد عرى ذكرت أبى وعمى وقتل على وحمزة إياهما، فقلت: أدرک ثارى اليوم من محمـد، فـذهبت لأجيئه عن يمينه، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائما عليه درع بيضاء كأنها فضة يكشف عنها العجاج، فقلت: عمه ولن يخـذله، ثم جئته عن يساره، فإذا أنا بأبى سـفيان بن الحرث بن عبـد المطلب، فقلت: ابن عمه ولن يخذله، ثم جئته من خلفه، فلم يبق إلا أن أسوره سورة بالسـيف إذ رفع لى شواظ من نار بينى وبينه كأنه برق، فخفت أن يمحشنى فوضعت يدى على بصرى ومشيت القهقرى، والتفت رسول الله وقال:

«يا شيب ادن منى، اللهم اذهب عنه الشيطان».

قال: فرفعت إليه بصرى ولهو أحب إلى من سمعى وبصرى، وقال:

«يا شيب قاتل الكفار».

وعن موسى بن عقبة قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الركابين وهو على البغلة فرفع يديه إلى الله يدعو ويقول:

«اللهم إنى أنشدک ما وعدتنى، اللهم لا ينبغى لهم أن يظهروا علينا».

ونادى أصحابه وذمرهم:

«يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكرة على نبيكم».

وقيل: إنه قال:

«يا أنصار الله وأنصار رسوله، يا بنى الخزرج».

وأمر العباس بن عبد المطلب فنادى فى القوم بذلک، فأقبل إليه أصحابه سراعا يبتدرون.

وروى: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«الآن حمى الوطيس، أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

قال سلمة بن الأكوع: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب، ثم استقبل به وجوههم وقال:

«شاهت الوجوه فما خلى الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلک القبضة فولوا مدبرين، واتبعهم المسلمون فقتلوهم، وغنمهم الله نساءهم وذراريهم وشاءهم وأموالهم».

وفر مالک بن عوف حتى دخل حصن الطائف فى ناس من أشراف قومهم، وأسلم عند ذلک كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله وإعزاز دينه، قال أبان: وحدثنى محمد بن الحسن بن زياد، عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«سبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين أربعة آلاف رأس واثنى عشر ألف ناقة، سوى ما لا يعلم من الغنائم وخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأنفال والأموال والسبايا بالجعرانة وافترق المشركون

فرقتين، فأخـذت الأـعراب ومن تبعهم أوطاس، وأخـذت ثقيف ومن تبعهم الطائف، وبعث رسول الله أبا عامر الأشـعرى إلى أوطاس فقاتل حتى قتل، فأخذ أبو موسى الأشعرى - وهو ابن عمه - فقاتل بها حتى فتح عليه»)(1).

إذن:

كان الغرض من إخراج النساء إلى المعركة فى غزوة حنين عند العرب المشركين هو ما صرح به مالک بن عوف قائلا:

أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وما له ليقاتل عنهم، أى استخدام المرأة لخلق العقيدة القتالية كى يضمن بذلک النصر.

إلا أن هذا الأمر لم يكن ذا أهمية لدى سـيد شـباب أهل الجنة فالعقيدة القتالية مرتكزة على مجموعة من المبادئ السـماوية منذ آدم وحتى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم:

«لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته».

وقوله:

«إنى لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما».

وقوله:

«ألا وإن الدعى بن الدعى قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلک ورسوله وحجور طابت وطهرت».

ومن ثم لا يشكل وجود المرأة فى يوم عاشوراء العقيدة القتالية لدى سيد

1- (1) إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسى: ج 1، ص 228-233. المناقب لابن شهر آشوب: ج 1، ص 181؛ تفسير السمعانى: ج 2، ص 298؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 2، ص 149-155.

شباب أهل الجنة أو أهل بيته فسواء كان لعياله وجود أو لم يكن فالإمام الحسين عليه السلام فى ساحة المعركة هو ذاك لا يحتاج فى مبادئه الرسالية وعقيدته القتالية إلى وجود المرأة.

المسألة الثالثة: هل قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإخراج عياله إلى الحرب أو أجاز ذلك لأصحابه

تدل النصوص على أن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يجيز حمل النساء إلى أرض المعركة، بل قام هو بذلك؛ فقد أخرج عائشة فى بعض حروبه - كما سيمر بيانه - ولقد تحدث ابن إسحاق عن وجود صفية بنت عبد المطلب مع ولدها الزبير فى معركة أحد، فقال: (وأقبلت فيما بلغنى صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة وكان أخاها لأبيها وأمها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابنها الزبير بن العوام:

«ألقها فأرجعها لا ترى ما بأخيها».

فلقيها الزبير فقال لها: يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أن ترجعى، فقالت: ولم، ولقد بلغنى أنه مُثل بأخى وذلك فى الله قليل فما أرضانا بما كان من ذلك لاحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.

فلما جاء الزبير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بذلك.

قال:

«خل سبيلها».

ص:33

فأتته فنظرت إليه، وصلت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به فدفن)(1).

ويكشف هذا النص التاريخى عن وجود صفية بنت عبد المطلب مع ولدها فى معركة أحد مما يدلل على أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم ينهَ عن ذلک.

بل لقد روت مصادر الحديث أن المسلمين كانوا يحملون عيالهم فى خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهى كالآتى:

1 – روى البخارى عن الربيع بنت معوذ ما يدل على إخراج النساء إلى المعركة لتأدية بعض الأعمال فقالت: (كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة)(2).

2 – ولقد قام رسول الله بحمل عائشة معه فى إحدى غزواته، وقد أفرد البخارى لهذه الحادثة باباً بعنوان حمل الرجل امرأته فى الغزو(3)، وفيها حدثت قصة الإفک وهى مفصلة فى كتب الحديث والتاريخ فمن أرادها فليعد إلى مظانها.

3 – عن معمر عن الزهرى، قال: (كان النساء يشهدن مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم المشاهد ويسقين المقاتلة ويداوين الجرحى)(4).

4 – روى أبو داود، عن حشرج بن زياد، عن جدته أم أبيه، أنها خرجت مع

1– (1) تاريخ الطبرى: ج 2، ص 208.

2– (2) صحيح البخارى: كتاب الجهاد، باب: حمل النساء القرب إلى الناس فى الغزو، وباب: رد النساء الجرحى: ج 3، ص 222.

3– (3) صحيح البخارى: كتاب الجهاد والسير، ج 3، ص 221.

4– (4) فتح البارى لابن حجر: ج 6، ص 58.

رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم فى غزوة خيبر سادس ست نسوة، فبلغ ذلک رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم، فبعث إلينا، فجئنا فرأينا فيه الغضب فقال:

«مع من خرجتن وبإذن من خرجتن؟».

قلنا: يا رسول الله، خرجنا نغزل الشعر، ونعين به فى سبيل الله، ومعنا دواء الجرحى، ونناول السهام، ونسقى السويق.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«قمن».

حتى إذا فتح الله عليه خيبر أسهم لنا كل أسهم للرجال، قال فقلت لها: يا جدة وما كان ذلک؟ قالت: تمرا)(1).

5 - روى ابن أبى الحديـد عن الواقـدى فى خروج نسـيبة بنت كعب أم عمارة إلى معركـة أحد وكيفية قتالها ودورها المتميز فقال: (كعب أم عمارة بن غزيـة بن عمرو قـد شـهدت أحـدا، وزوجها غزية وابناها عمارة بن غزية وعبد الله بن زيد، وخرجت ومعها شن لها فى أول النهار تريد تسـقى الجرحى، فقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسنا، فجرحت اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف، فكانت أم سعد بنت سعد بن الربيع تحدث، فتقول: دخلت عليها، فقالت لها: يا خالة، حدثينى خبرک، فقالت:

خرجت أول النهار إلى أحد، وأنا أنظر ما يصـنع الناس، ومعى سـقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم وهو فى الصحابة

1- (1) سنن أبى داود: ج 1، ص 620.

والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم، فجعلت أباشر القتال، وأذب عن رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم بالسيف، وأرمى بالقوس، حتى خلصت إلى الجراح.

فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور، فقلت: يا أم عمارة، من أصابک بهذا قالت: أقبل ابن قميئة، وقد ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم يصيح دلونى على محمد، لا نجوت إن نجا فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه، فكنت فيهم، فضربنى هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلک ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان.

فقالت لها: يدک ما أصابها؟ قالت: أصيبت يوم اليمامة، لما جعلت الاعراب تنهزم بالناس، نادت الأنصار: أخلصونا. فأخلصت الأنصار، فكنت معهم، حتى انتهينا إلى حديقة الموت، فاقتتلنا عليها ساعة، حتى قتل أبو دجانة على باب الحديقة، ودخلتها وأنا أريد عدو الله مسيلمة، فيعرض لى رجل، فضرب يدى فقطعها، فوالله ما كانت ناهية، ولا عرجت عليها، حتى وقفت على الخبيث مقتولا، وابنى عبد الله بن يزيد المازنى يمسح سيفه بثيابه، فقلت: أقتلته قال: نعم، فسجدت شكرا لله عز وجل وانصرفت.

قال الواقدى: وكان ضمرة بن سعيد يحدث عن جدته، وكانت قد شهدت أحدا تسقى الماء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم يقول يومئذ:

«لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان».

وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا. [قلت: ليت الراوى لم يكنَّ هذه الكناية، وكان يذكرهما باسمهما حتى لا تترامى الظنون إلى أمور مشتبهة ومن أمانة المحدث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتم منه شيئا، فما باله كتم اسم هذين الرجلين].

قال: فلما حضرت نسيبة الوفاة، كنت فيمن غسلها فعددت جراحها جرحا جرحا فوجدتها ثلاثة عشر، وكانت تقول إنى لأنظر إلى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها - وكان أعظم جراحها، لقد داوته سنة - ثم نادى منادى النبى صلى الله عليه - وآله - وسلم بعد انقضاء أحد: إلى حمراء الأسد فشدت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم، ولقد مكثنا ليلتنا نكمد الجراح، حتى أصبحنا، فلما رجع رسول الله من حمراء الأسد، لم يصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازنى يسأل عنها، فرجع إليه فأخبره بسلامتها، فسر بذلك.

قال الواقدى: وحدثنى عبد الجبار بن عمارة بن غزية، قال: قالت أم عمارة: لقد رأيتنى وانكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم فما بقى إلا نفير ما يتمون عشرة، وأنا وأبنائى وزوجى بين يديه نذب عنه، والناس يمرون عنه منهزمين، فرآنى ولا ترس معى، ورأى رجلا موليا معه ترس، فقال يا صاحب الترس، ألق ترسك إلى من يقاتل. فألقى ترسه فأخذته، فجعلت أترس به على النبى صلى الله عليه - وآله - وسلم، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، ولو كانوا رجّالة مثلنا أصبناهم، فيقبل رجل على فرس، فضربنى وترست له، فلم يصنع سيفه شيئا، وولى وأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبى صلى الله عليه - وآله - وسلم يصيح:

«یا بن عمارة، أمک، أمک».

قالت فعاوننی علیه حتی أوردته شعوب.

قال الواقدی: وحدثنی ابن أبی سبرة، عن عمرو بن یحیی، عن أبیه، عن عبد الله بن زید المازنی، قال: جرحت جرحا فی عضدی الیسری، ضربنی رجل کأنه الرقل ولم یعرج علی، ومضی عنی، وجعل الدم لا یرقأ، فقال رسول الله صلی الله علیه - وآله - وسلم أعصب جرحک، فتقبل أمی إلی، ومعها عصائب فی حقویها قد أعدتها للجراح، فربطت جرحی والنبی صلی الله علیه - وآله - وسلم واقف ینظر، ثم قالت انهض یا بنی، فضارب القوم، فجعل رسول الله صلی الله علیه - وآله - وسلم یقول:

«ومن یطیق ما تطیقین یا أم عمارة».

قالت: وأقبل الرجل الذی ضربنی، فقال رسول الله صلی الله علیه - وآله - وسلم: هذا ضارب ابنک، فاعترضت أمی له، فضربت ساقه، فبرک، فرأیت النبی صلی الله علیه - وآله - وسلم تبسم حتی بدت نواجذه، ثم قال:

«استقدت یا أم عمارة».

ثم أقبلنا نعلوه بالسلاح حتی أتینا علی نفسه، فقال النبی صلی الله علیه - وآله - وسلم: الحمد لله الذی ظفرک وأقر عینک من عدوک، وأراک ثأرک بعینک.

قال الواقدی: وروی موسی بن ضمرة بن سعید، عن أبیه، قال: أتی عمر ابن الخطاب فی أیام خلافته بمروط کان فیها مرط واسع جید، فقال بعضهم إن هذا المرط بثمن کذا، فلو أرسلت به إلی زوجة عبد الله بن عمر صفیة بنت أبی عبید،

وذلک حدثان ما دخلت علی ابن عمر، فقال بل أبعث به إلی من هو أحق منها، أم عمارة نسیبة بنت کعب سمعت رسول الله صلی الله علیه – وآله – وسلم یوم أحد یقول: ما التفت یمینا وشمالا إلا وأنا أراها تقاتل دونی.

قال الواقدی: وروی مروان بن سعید بن المعلی، قال: قیل لام عمارة یا أم عمارة، هل کن نساء قریش یومئذ یقاتلن مع أزواجهن فقالت: أعوذ بالله، لا- والله ما رأیت امرأة منهن رمت بسهم ولا حجر، ولکن رأیت معهن الدفاف والأکبار یضربن ویذکرن القوم قتلی بدر، ومعهن مکاحل ومراود، فکلما ولی رجل أو تکعکع ناولته إحداهن مرودا ومکحلة، ویقلن إنما أنت امرأة، ولقد رأیتهن ولین منهزمات مشمرات، ولها عنهن الرجال أصحاب الخیل، ونجوا علی متون خیلهم، وجعلن یتبعن الرجال علی أقدامهن، فجعلن یسقطن فی الطریق، ولقد رأیت هندا بنت عتبة، وکانت امرأة ثقیلة، ولها خلق، قاعدة خاشیة من الخیل، ما بها مشی، ومعها امرأة أخری، حتی کثر القوم علینا، فأصابوا منا ما أصابوا، فعند الله نحتسب ما أصابنا یومئذ من قبل الرماة ومعصیتهم لرسول الله صلی الله علیه – وآله – وسلم.

قال الواقدی: وحدثنی ابن أبی سبرة، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبی صعصعة، عن الحارث بن عبد الله، قال: سمعت عبد الله بن زید بن عاصم، یقول: شهدت أحداً مع رسول الله صلی الله علیه – وآله – وسلم، فلما تفرق الناس عنه، دنوت منه، وأمی تذب عنه، فقال:

«یا بن عمارة».

قلت نعم، قال:

«إرم».

فرميت بين يديه رجلا من المشركين بحجر، وهو على فرس، فأصيبت عين الفرس، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه، وجعلت أعوله بالحجارة، حتى نضدت عليه منها وقرا، والنبى صلى الله عليه - وآله - وسلم ينظر إلى ويتبسم، فنظر إلى جرح بأمى على عاتقها، فقال:

أمک أمک أعصب جرحها، بارک الله عليكم من أهل بيت لمقام أمک خير من مقام فلان وفلان».

ومقام ربيبک - يعنى زوج أمه - خير من مقام فلان، رحمكم الله من أهل بيت فقالت: أمى ادع لنا الله يا رسول الله أن نرافقک فى الجنة.

فقال:

«اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة»)(1).

إلا أن جميع ما جاءت به هذه الصحابية لم يكن قد حدث فى يوم عاشوراء فلم يأذن الإمام الحسين عليه السلام لأى امرأة كانت سواء أمن عياله أم من عيال أصحابه، وعيال بنى عمومته، مما يجعلنا ندور حول السؤال الذى تصدر هذا البحث: لماذا أخرج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى أرض كربلاء وهو يعلم ما يجرى عليه وعليهن، فضلن عن عدم قيامهن بما كانت تقوم به النساء عند خروجهن إلى الحرب سواء أفى زمن الجاهلية أم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

1- (1) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج 14، ص 365-369.

المسألة الرابعة: إخراج النساء فی قتال الإمام علی (علیه السلام) للناکثین والقاسطین والمارقین

اشارة

إن أشـهر ظهور للمرأة فی حروب الإمام علی علیه السلام، هی حرب الجمل فی قتاله علیه السلام للناکثین والتی خاضتها عائشة زوج النبی صلی الله علیه وآله وسـلم فی حربها أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام ولقد کانت علی جمل أدبب اتخذت الحرب أسمها منه؛ حتی سقط فیها قتلی کثیرون.

ولقد صـرّح رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم بخروج عائشة إلی حرب أمیر المؤمنین علیه السلام فی جملة من الأحادیث التی تکشف عن حقیقة مؤلمة ترکت آثارها علی العقیدة الإسـلام إلی یومنا هذا ولا أظنها تنتهی لاسیما وأن عائشة قد خرجت لحرب من کان حبه عنوان صحیفة المؤمن وأن بغضه نفاق کما هو ثابت فی صحاح المسلمین علی اختلاف مشاربهم الفقهیة.

1 - فقد أخرج أحمد فی المسند، عن قیس بن أبی حازم عن عائشة قالت: (لما أتت علی الحوأب سمعت نباح الکلاب فقالت: ما أظننی إلا راجعة، أن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال لنا:

«أیتکن ینبح علیها کلاب الحوأب».

فقال لها الزبیر: ترجعین! عسی الله عزّ وجل یصلح بک بین الناس)(1).

2 - روی البزاز والهیثمی، عن ابن عباس قال: (قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لنسائه:

1- (1) مسند أحمد بن حنبل: حدیث السیدة عائشة، ج 6، ص 97؛ المستدرک للحاکم النیسابوری: ج 3، ص 120.

«لیت شعری أیتکن صاحبة الجمل الأدبب، تخرج فینبحها کلاب الحوأب، یقتل عن یمینها وعن یسارها قتلی کثیر، ثم تنجو بعد ما کادت»(1).

أولا: دور المرأة فی معرکة الجمل

اختزن التراث الإسلامی فی مواضع کثیرة منه سواء ما کتب فی الحدیث أو التفسیر أو التاریخ أو التراجم أو سواء ما کتب فی العقیدة وعلم الکلام أمر خروج عائشة إلی البصرة للمطالبة بدم عثمان بن عفان ویمکن أن نوجز هذه الحادثة بما اختصره الحافظ العینی فی شرحه لصحیح البخاری، ثم نتوقف فی دور المرأة فی ساحة المعرکة وآثار ذلک علی المستوی النفسی والعسکری والعقائدی لما تحتله عائشة من موقعیة فی الإسلام بکینونة ارتباطها برسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بعلقة الزوجیة التی فرضت علیها حدوداً خاصة جاء بها القرآن الکریم فی سورة الأحزاب، قال تعالی:

یا نِساءَ النَّبِیِّ لَسْتُنَّ کَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَیْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَیَطْمَعَ الَّذِی فِی قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِیَّةِ الْأُولی وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِینَ الزَّکاةَ وَ أَطِعْنَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً وَ اذْکُرْنَ ما یُتْلی فِی بُیُوتِکُنَّ مِنْ آیاتِ اللّهِ وَ الْحِکْمَةِ إِنَّ اللّهَ کانَ لَطِیفاً خَبِیراً2 .

1- (1) مجمع الزوائد: ج 7، ص 234؛ فتح الباری لابن حجر: ج 13، ص 45.

وعليه: كـان خروجهـا إلى قتال أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السـلام قـد شـكل مفصـلاً من مفاصل الحركـة الفكريـة للمسـلمين تجاذبت فيها الأقلام والأعناق آثار هذا الخروج وانعكاساته على عقيدة المسلم.

قال الحافظ العينى(1):

(كانت وقعة الجمل عام ستة وثلاثين من الهجرة وكان قتل عثمان بن عفان سنة خمس وثلاثين وكانت عائشة بمكة وكذلک أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج فى سنة خمس وثلاثين فرارا من الفتنة ولما بلغ أهل مكة أن عثمان قد قتل أقمن بمكة.

ثم لمـا بويع على - عليه السـلام - كـان أحظى الناس عنـده بحكم الحال لا عن اختيار على لـذلک رؤوس أولئک الـذين قتلوا عثمان وفر جماعـة من بنى أميـة وغيرهم إلى مكـة وخرج طلحـة والزبير فى الاعتمار وتبعهم خلق كثير وجم غفير وقـدم إلى مكـة أيضا فى هذه الأيام يعلى بن أمية ومعه سـتمائة ألف ألف درهم وستمائة بعير فأناخ بالأبطح وقيل كان معه ستمائة ألف دينار وقدم ابن عامر من البصرة بأكثر من ذلک.

فاجتمع بنو أميـة بالأبطـح وقامت عائشة فى الناس تحضـهم على القيام بطلب دم عثمان وطاوعوها فى ذلک وخرجوا وتوجهوا نحو البصـرة وكانت عائشة تحمل

1- (1) محمود بن أحمـد بن موسـى بن أحمـد، بـدر الـدين العينى الحنفى، مؤرخ علامة من كبار المحدثين أصـله من حلب ومولده فى غيناب وإليها نسـبته أقام مدة فى حلب ومصـر ودمشق والقدس وولى فى القاهرة الحسـبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرب من الملک المؤيد حتى عد من أخصائه ولما ولى الأشرف سامره ولزمه توفى بالقاهرة سنة 855 (الأعلام للزركلى: ج 7، ص 163)..

فى هودج على جمل اسـمه عسـكر اشتراه يعلى بن أميـة من رجل من عرينـة بمائتى دينار وكان هـذا هو الـذى يدلهم على الطريق وكانوا لا يمرون على ماء ولا واد إلا سألوه عنه حتى وصـلوا إلى موضع يسـمى حوأب بفتـح الحاء المهملـة وسـكون الواو وفتح الهمزة وفى آخره باء موحدة وهو ماء قريب من البصرة فنبحت كلابه فقالوا:

أى ماء هـذا قال الـدليل هذا ماء الحوأب فحين سـمعت عائشة بذلك صـرخت بأعلى صوتها وضـربت عضد بعيرها فأناخته فقالت أنا والله صاحبـة الحوأب ردونى ردونى تقول ذلك فأناخوا حولها وهم على ذلك وهى تأبى المسـير حتى إذا كانت الساعة التى أناخت فيها من الغد جاءها عبد الله بن الزبير فقال النجاء النجاء، فقد أدرككم على بن أبى طالب فعند ذلك رحلوا.

وأما حديث الحوأب فأخرجه أحمد فى مسنده عن عائشة قالت إن رسول الله قال لى ذات يوم:

«كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب».

فعرفت الحال عند ذلك فأرادت الرجوع، وأما على - عليه السلام - فإنه خرج فى آخر شهر ربيع الآخر فى سنة ست وثلاثين من المدينة فى تسـعمائة مقاتل وقيل لما بلغ عليا مسـير عائشـة وطلحـة وزبير إلى البصـرة سار نحوهم فى أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعمائة ممن بايعوا تحت الشـجرة وثمانمائـة من الأنصار ورايته مع ابنه محمـد بن الحنفية وعلى ميمنته الحسن بن على وعلى ميسـرته الحسـين بن على وعلى الخيل عمار بن ياسر وعلى الرجالة محمد بن أبى بكر وعلى مقدمته

عبد الله بن عباس ثم اجتمعوا كلهم عند قصر عبيد الله بن زياد ونزل الناس فى كل ناحية وقد اجتمع مع على – عليه السلام – عشرون ألفا والتفت على عائشة ومن معها نحو من ثلاثين ألفا وقامت الحرب على ساقها فتصافوا وتصاولوا وتجاولوا وكان من جملة من يبارز الزبير وعمار فحمل عمار نحوه بالرمح والزبير كاف عنه لقول رسول الله:

«تقتلك الفئة الباغية».

وقتل ناس كثير ورجع الزبير عن القتال وقال الواقدى كان زمام الجمل بيد كعب بن سور وما كان يأخذ زمام الجمل إلا من هو معروف بالشجاعة ما أخذه أحد إلا قتل وحمل عليه عدى بن حاتم ولم يبق إلا عقره ففقئت عين عدى واجتمع بنو ضبة عند الجمل وقاتلوا دونه قتالا لم يسمع مثله فقطعت عنده ألف يد وقتل عليه ألف رجل منهم وقال ابن الزبير جرحت على زمام الجمل سبعاً وثلاثين جراحة وما أحد أخذ برأسه إلا قتل أخذه عبد الرحمن بن عتاب فقتل ثم أخذه الأسود بن البحترى فقتل وعد جماعة وغلب ابن الزبير من الجراحات فألقى نفسه بين القتلى ثم وصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين فجعلت تنادى الله الله يا بنى اذكروا يوم الحساب ورفعت يديها تدعو على أولئك القوم من قتلة عثمان فضج الناس معها بالدعاء وأولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقى مثل القنفذ فجعلت الحرب تأخذ وتعطى فتارة لأهل البصرة وتارة لأهل الكوفة وقتل خلق كثير ولم تر وقعة أكثر من قطع الأيدى والأرجل فيها من هذه الوقعة.

ثم حملت عليه السائبة والأشتر يقدمها وحمل بجير بن ولجة الضبى الكوفى وقطع بطانه وعقره وقطع ثلاث قوائم من قوائمه فبرك ووقع الهودج على الأرض

ووقف عليهـا على – عليه السـلام – فقال السـلام عليک يا أماه فقالت وعليک السـلام يا بنى فقال يغفر الله لک فقالت ولک وانهزم من كان حوله من الناس وأمر على – عليه السلام – أن يحملوا الهودج من بين القتلى وأمر محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر أن يضربا عليه قبة.

ولما كان آخر الليل خرج محمد بعائشة فأدخلها البصرة وأنزلها فى دار عبد الله ابن خلف الخزاعى وبكت عائشة بكاء شديدا وقالت: وددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان يسلمون عليها ثم أن عليا – عليه السلام – أقام بظاهر الكوفة ثلاثة أيام وصلى على القتلى من الفريقين.

وقال ابن الكلبى قتل من أصـحاب عائشة ثمانية آلاف وقيل ثلاثة عشـر ألفا ومن أصـحاب على ألف وقيل قتل من أهل البصـرة عشرة آلاف ومن أهل الكوفة خمسة آلاف وكان فى جملة القتلى طلحة بن عبيد الله أحد العشـرة المبشـرين بالجنة ثم دخل على البصـرة يوم الاثنين ثم جهز عائشـة أحسن الجهـاز بكـل شـىء ينبغى لهـا من مركب وزاد ومتـاع وأخرج معها كل من نجا من الوقعـة ممن خرج معها واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصـرة المعروفات ووقف على معها حتى ودعها وكان خروجها يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين وشيعها على أميالا وسرح بنيه معها يوما.

وقال الواقـدى أمر على النساء اللاتى خرجن مع عائشة بلبس العمائم وتقليد السـيوف ثم قال لهن لا تعلمنها أنكن نسوة وتلثمن مثل الرجال وكن حولها من بعيد ولا تقربنها وسارت عائشة على تلک الحالة حتى دخلت مكة وأقامت

حتى حجت واجتمع إليها نساء أهل مكة يبكين وهى تبكى وسئلت عن مسيرها فقالت لقد أعطى على فأكثر وبعث معى رجالا وبلغ النساء فأتينها وكشفن عن وجوههن وعرفنها الحال فسجدت وقالت والله ما يزداد ابن أبى طالب إلا كرما)(1).

أقول:

إن هـذا الظهور للسـيدة عائشـة فى ساحـة المعركـة وهى تحتل منها محل القطب من الرحى وبهـذه العـدة الممثلـة بنوع المركب (الجمل الأدبب)(2)، وفى داخل الهودج اكسـبها تحكما بسير المعركة وشحذ المقاتلين الذين استماتوا من حول الجمل الذى قتل من حوله (خلق كثير ولم تر وقعة أكثر من قطع الأيدى والأرجل فيها من هذه الوقعة)(3).

ويمكن ملاحظة بعض الآثار لوجود عائشة فى المعركة.

1 - كونها زوج رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم قد أكسبها مقام تحريم الرجال عليها حرمة أبدية فلا يحق لرجل من المسلمين الزواج بأى امرأة من أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم إذ جعلهن القرآن بمنزلة الأم لقوله تعالى:

اَلنَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ 4 .

ولذا: نجدها تنادى فى الناس: (الله الله، يا بنى أذكروا يوم الحساب)، حينما

1- (1) عمدة القارى للعينى: ج 15، ص 49-50.

2- (2) فتح البارى لابن حجر: ج 13، ص 45؛ مجمع الزوائد للهيثمى: ج 7، ص 234.

3- (3) عمدة القارى: ج 15، ص 50.

وصـلت النبال إلى هودجها، بمعنى: أن وجودها فى المعركـة أكسب الحرب سـمة عقائدية فضـلاً عن كونها خصـماً فى هذه الحرب لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

2 – فضلاً عن كونها فى المنزلة السابقة فإن وجودها على رأس الهرم فى هذه الحرب وهى امرأة جالسة فى الهودج يدفع بالرجال من الناحية النفسية إلى الدفاع عنها وإظهار مظاهر الشجاعة التى أظهرها بنو ضبة فوقعت فيهم مقتلة عظيمة.

إلا أن وجود أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام فى الجهة المقابلة وتحت أمرته أربعمائة ممن بايعوا تحت الشجرة وثمانمائة من الأنصار أحدث اختلالا فى ميزان القوى لما يشـكله هذا النسـيج العقائدى الممثل بشـخص الإمام على عليه السـلم والمهاجرين والأنصار وسبطى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم ليجعل نهاية هذه الحرب لصالح أمير المؤمنين عليه السلام على الرغم من أن عدد المقاتلين من أهل البصرة الذين التفوا حولها كانوا ثلاثين ألفاً، أى بما يفوق أهل الكوفة والمدينة ومكة بعشرة آلاف مقاتل.

إذن:

تعطى وقعة الجمل مفهوماً جديداً لدى العسكريين والاجتماعيين يرتكز على معطيات جديدة فى الحروب، وهى كالآتى:

1 – إن حضور المرأة فى المعركـة فى المجتمع العربى يعطى زخمـاً قتالياً للمقاتل لما تفرضه التنشـئة العربيـة على الإنسان العربى من قيم الرجولة والحمية وصون الحرم؛ إذ يشكل وجود المرأة فى المعركة بما تحمله من ضعف فى بنيتها الجسدية

والعاطفية شعاراً بالانتقاص من ذكوريته ورجولته، ولذا يجد نفسه ملزماً بالدفاع عنها ومواجهة أقرانه.

2 – إن المرأة حينما تحتل مركزاً عقائدياً وتكون على دفة القيادة فإن ذلک يدفع بالمقاتلين إلى التضحية والاستبسال بين يديها، ولعل التاريخ العربی غير غريب عليه هذه الحقيقة فقد مثل وجود زنوبيا ملكة تدمر، وبنات النعمان بن المنذر بعداً استراتيجيا فی المعركة.

ثانيا: دور المرأة فی معركة صفين وقتال علی عليه السلام القاسطين

اشارة

لقد شكل وجود المرأة فی معركة صفين تحولاً جديداً فی تاريخ الحروب عند العرب خاصة والمسلمين عامة؛ وذلک لما شكله وجود المرأة من تعبئة عسكرية وعقيدة قتالية انعكست علی المسلمين بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بعقود علی الرغم من تمكن معاوية بن أبی سفيان من الجلوس علی الحكم، بل لم يتمكن سلطان معاوية ونشوة العرش من إزالة صور تلک النساء اللاتی وقفن يزرعن فی نفوس الرجال الهمم والروح القتالية التی ظلت مرارتها فی حلق معاوية وأشياعه إلی يوم هلاكه.

ولعل الاكتفاء ببعض الشواهد من أولئک النسوة يغنی اللبيب عن البحث عن دور المرأة فی تغير مستوی الحرب بما يشكله وجودها من عقيدة قتالية مرتكزة علی ما فطر عليه الإنسان العربی من صون للحرم.

فكيف إذا كانت هذه الحرم تنادی بالتوحيد وتصرخ بالموالاة لرسول الله صلی الله عليه وآله وسلم.

1 - سودة بنت عمارة (رحمها الله تعالى)

يمكن الوقوف على أدوار هذه النساء فى معركة صفين من خلال دخولهنّ على معاوية بعد مضى سنين عديدة من جلوسه على كرسى الحكم فى الشام وكشفه لتلك الآثار من خلال حديثه معهنّ.

روى ابن طيفور عن محمد بن عبيد الله قال: (استأذنت سودة بنت عمارة بن الأسک الهمدانية على معاوية بن أبى سفيان فأذن لها فلما دخلت عليه قال:

هيه يا بنت الأسک ألست القائلة يوم صفين:

شمر كفعل أبيک يا ابن عمارة يوم الطعان وملتقى الأقران

وانصر عليا والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان

إن الإمام أخو النبى محمد علم الهدى ومنارة الإيمان

فقه الحتوف وسر أمام لوائه قدما بأبيض صارم وسنان

قالت: أى والله ما مثلى من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب، قال لها: فما حملک على ذلک؟ قالت: حب على عليه السلام وإتباع الحق.

قال فوالله ما أرى عليک من اثر على شيئا، قالت: أنشدک الله يا أمير المؤمنين وإعادة ما مضى وتذكار ما قد نسى، قال: هيهات ما مثل مقام أخيک ينسى وما لقيت من أحد ما لقيت من قومک وأخيک، قالت: صدق فوک لم يكن أخى ذميم المقام ولا خفى المكان كان والله كقول الخنساء:

إن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

قال: صدقت لقد كان كذلک، فقالت: مات الرأس وبتر الذنب وبالله اسأل

أمير المؤمنين إعفائى مما استعفيت منه، قال: قد فعلت، فما حاجتک؟

قالت: انک أصبحت للناس سيداً ولأمرهم متقلدا والله سائلک من أمرنا وما افترض عليک من حقنا ولا يزال يقدم علينا من ينوه بعزک ويبطش بسلطانک فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة هذا بسر بن أرطاة قدم علينا من قبلک فقتل رجالى واخذ مالى يقول لى فوهى بما استعصم الله منه وألجأ إليه فيه ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإما عزلته عنا فشكرناک وأما لا فعرفناک.

فقال معاوية: أتهددينني بقومک؟ لقد هممت أن أحملک على قتب أشرس فأردک إليه ينفذ فيک حكمه فأطرقت تبكى ثم تقول:

صلى الإله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغى به بدلا فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال لها: ومن ذلک؟ قالت: على بن أبى طالب عليه السلام، قال: وما صنع بک حتى صار عندک كذلک؟ قالت: قدمت عليه فى رجل ولاه صدقتنا قدم علينا من قبله فكان بينى وبينه ما بين الغث والسمين فاتيت عليا عليه السلام لأشكو إليه ما صنع بنا فوجدته قائما يصلى فلما نظر إلىّ انفتل من صلاته ثم قال لى برأفة وتعطف:

«ألک حاجة؟».

فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال:

«اللهم انک أنت الشاهد علىّ وعليهم إنى لم آمرهم بظلم خلقک ولا بترک حقک».

ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كهيأة طرف الجواب فكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ وَ لا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ 1 .

وما أنا عليكم بحفيظ إذا قرأت كتابى فاحتفظ بما فى يديک من عملنا حتى يقدم عليک من يقبضه منک والسلام».

فأخـذته منه والله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فقراته، فقال لها معاوية: لقد لمظكم ابن أبى طالب الجرأة على السـلطان فبطيأ ما تفطمون، ثم قال: اكتبوا لها برد مالها والعـدل عليها، قالت: إلىّ خاص أم لقومى عام، قال: ما أنت وقومک؟ قالت: هى والله إذن الفحشاء واللوم إن لم يكن عدلا شاملا وإلاّ فأنا كسائر قومى، قال: اكتبوا لها ولقومها.

2 - الزرقاء بنت عدى رحمها الله تعالى

وقال عيسى بن مهران، حدثنى العباس بن بكار، قال: حدثنى محمد بن عبيد الله عن الشعبى، قال: وحدثنى أبو كر الهذلى عن الزهرى، قال: حـدثنى جماعـة من بنى أميـة ممن كان يسـمر مع معاوية، وذكر أبو إسـحاق إبراهيم بن عبد الله بن عبد ربه بن القاسم بن يحيى مقدم، قال: اخبرنى محمد بن فضل المكى الضبى، قال: أخبرنا محمد الشافعى صاحب الرأى، عن أبيه محمد بن إبراهيم،

عن خالـد بن الوليد المخزومى، عن سـعد بن حذافة الجمحى قال: سـمر معاوية ليلة فذكر الزرقاء بنت عدى بن غالب بن قيس امرأة كانت من أهل الكوفة وكانت ممن يعين عليا عليه السلام يوم صفين فقال لأصحابه:

أيكم يحفظ كلام الزرقاء؟ فقال: القوم كلنا نحفظه يا أمير المؤمنين، قال: فما تشيرون علىّ فيها؟ قالوا: نشير عليک بقتلها، قال: بئس ما أشرتم علىّ به، أيحسن بمثلى أن يتحدث الناس أنى قتلت امرأة بعد ما ملكت وصار الأمر لى.

ثم دعا كاتبه فى الليل فكتب إلى عامله فى الكوفـة أن أوفد إلىّ الزرقاء ابنة عدى مع ثقة من محرمها وعدة من فرسان قومها ومهدها وطاء لينا واسترهـا بستر حصـيف، فلمـا ورد عليه الكتـاب ركب إليها فاقرأها الكتاب فقالت أما أنا فغير زائغـة عن طاعـة وإن كان أمير المؤمنين جعل المشيئة إلىّ لم ارم بلدى هذا وان كان حكم الأمر فالطاعة له أولى بى، فحملها فى هودج وجعل غشاءه حبرا مبطنا بعصب اليمن ثم أحسن صحبتها وفى حديث المقدمى فحملها فى عمارية جعل غشاءها خزا أدكن مبطنا بقوهى.

فلما قدمت على معاوية قال لها: مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالک يا خالة وكيف رأيت مسـيرک؟ قالت: خير مسـير كأنى كنت ربيبـة بيت أو طفلا ممهـدا، قال: بذلک أمرتهم فهل تعلمين لم بعثت إليک؟ قالت: سـبحان الله إنى لى بعلم ما لم اعلم، وهل يعلم ما فى القلوب إلاّ الله! قال: بعثت إليک أن أسألک ألست راكبـة الجمل الأحمر يوم صـفين بين الصـفين توقدين الحرب وتحضـين على القتال فما حملک على ذلک؟

قالت: يا أمير المؤمنين إنه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر، قال لها: صدقت فهل تحفظين كلامک يوم صفين؟ قالت: ما أحفظه، قال: ولكنى والله أحفظه، لله أبوک لقد سمعتک تقولين: (أيها الناس انكم فى فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيا لها من فتنة عمياء صماء يسمع لقائلها ولا ينظر لسائقها أيها الناس إن المصباح لا يضىء فى الشمس وان الكوكب لا يقد فى القمر وان البغل لا يسبق الفرس وإن الزف لا يوازن الحجر ولا يقطع الحديد إلاّ الحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن استخبرنا أخبرناه إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها فصبرا يا معشر المهاجرين والأنصار فكان قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة العدل وغلب الحق باطله فلا يعجلن

أحد فيقول كيف وأنى ليقضى الله أمرا كان مفعولا ألا إن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير فى الأمور عواقبا أيها إلى الحرب قدما غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده).

ثم قال معاوية والله يا زرقاء لقد شركت عليا عليه السلام فى كل دم سفكه، فقالت: أحسن الله بشارتک يا أمير المؤمنين وأدام سلامتک مثلک من بشر بخير وسر جليسه، قال لها: وقد سرک ذلک، قالت: نعم، والله لقد سرنى قولک فأنى بتصديق الفعل، فقال معاوية: والله لوفاؤكم له بعد موته أحب من حبكم له فى حياته، أذكرى حاجتک.

قالت: يا أمير المؤمنين إنى قد آليت على نفسى أن لا أسأل أميرا أعنت عليه

شيئا أبـدا ومثلک أعطى عن غير مسألـة وجاد عن غير طلب، قال: صـدقت فاقطعها ضـيعة أغلتها فى أول سـنة عشـرة آلاف درهم وأحسـن صفدها وردها والذين معها مكرمين.

3 - بكارة الهلالية

حدثنى عبد الله بن عمرو قراءة من كتابه على قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن المفضل، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعى، عن محمـد بن إبراهيم، عن خالـد الوليـد، عمن سـمعه من حذافـة الجمحى، قال: دخلت بكارة الهلالية على معاوية بن أبى سـفيان بعد أن كبرت سـنها ودق عظمها ومعها خادمان لها وهى متكئة عليهما وبيدها عكاز فسـلمت على معاوية بالخلافة فأحسن عليها الرد وأذن لها فى الجلوس وكـان عنـده مروان بن الحكم وعمرو بن العـاص فابتـدأ مروان فقـال: أتعرف هـذه يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن هى؟ قال: هى التى كانت تعين علينا يوم صفين وهى القائلة:

يا زيد دونک فاستتر من دارنا سيفا حساما فى التراب دفينا

قد كان مذخورا لكل عظيمة فاليوم أبرزه الزمان مصونا

فقال عمرو بن العاص: وهى القائلة يا أمير المؤمنين:

أترى ابن هند للخلافة مالكا هيهات ذاک وما أراد بعيد

منتک نفسک فى الخلاء ضلالة أغراک عمرو للشقا وسعيد

فارجع بأنكد طائر بنحوسها لاقت عليها أسعد وسعود

فقال سعيد: يا أمير المؤمنين وهى القائلة:

قد كنت آمل أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمية خاطبا

فالله أخر مدتى فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبا

فى كل يوم لا يزال خطيبهم وسط الجموع لآل أحمد عائبا

ثم سكت القوم، فقالت بكارة: نبحتنى كلابک يا أمير المؤمنين واعتورتنى فقصر محجنى وكثر عجبى وعشى بصرى، وأنا والله قائلة ما قالوا لا ـ ادفع ذلک بتكذيب فامض لشأنک فلا خير فى العيش بعد أمير المؤمنين، فقال معاوية: انه لا يضعک شىء فاذكرى حاجتک تقضَ، فقضى حوائجها وردها إلى بلدها.

(وحدثنى) عيسى بن مروان، قال: حدثنى محمد بن عبد الله الخزاعى، عن الشعبى، قال: استأذنت بكارة الهلالية على معاوية فأذن لها فدخلت وكانت امرأة قد أسنت وعشى بصرها وضعفت قوتها فهى ترعش بين خادمين لها فسلمت ثم جلست، فقال معاوية: كيف أنت يا خالة؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين غيرک قال: غيرک الدهر، قالت: كذلک هو ذو غير من عاش كبر ومن مات قبر، ثم ذكر الحديث على ما رواه سعد بن حذافة فى حديث عبد الله بن عمرو ومن قول عمرو وسعيد ومروان ورواية فى الحديث، قالت: إن عشى بصرى وقصرت حجتى فانا قائلة ما قالوا وما خفى عليک أكثر، فضحک معاوية وقال: ليس بما نعى من برک يا خالة غير عدم مجيئک قالت: أما الآن فلا كلام أم الخير بنت الحريش البارقية.

حدثنى عبد الله بن سعد، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله المقدمى، قال: أخبرنا محمد بن الفضل المكى، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد الشافعى، عن خالد ابن الوليد المخزومى، عن سعد بن حذافة الجمحى وحدثونيه، عن العباس بن

بكار، عن عبيد الله بن عمر الغسانى، عن الشعبى، قال: كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن أوفد على أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية رحلة محمودة الصحبة غير مذمومة العاقبة واعلم أنى مجازيک بقولها فيک بالخير خيرا وبالشر شرا فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها فأقرأها إياه، فقالت أم الخير: أما أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج فى صدرى تجرى مجرى النفس يغلى بها غلى المرجل بحب البلسن يوقد بجزل السمر، فلما حملها وأراد مفارقتها قال: يا أم الخير إن معاوية قد ضمن لى عليه أن يقبل بقولک فى بالخير خيرا وبالشر شرا فانظرى كيف تكونين، قالت: يا هذا لا يطمعک والله برک بى فى تزويقى الباطل ولا يؤنسنک معرفتک إياى أن أقول فيک غير الحق، فسارت خير مسير فلما قدمت على معاوية أنزلها مع الحرم ثلاثا ثم أذن لها فى اليوم الرابع وجمع لها الناس فدخلت عليه فقالت: السلام عليک يا أمير المؤمنين، فقال: وعليک السلام، وبالرغم والله

منک دعوتنى بهذا الاسم، فقالت: مه يا هذا فإن بديهة السلطان مدحضة لما يحب علمه، قال: صدقت يا خالة وكيف رأيت مسيرک؟ قالت: لم أزل فى عافية وسلامة حتى أوفدت إلى ملک جزل وعطاء بذل فأنا فى عيش أنيق عند ملک رفيق، فقال معاوية: بحسن نيتى ظفرت بكم وأعنت عليكم، قالت: مه يا هذا لک والله من دحض المقال ما تردى عاقبته، قال: ليس لهذا أردناک، قالت: إنما أجرى فى ميدانک إذا أجريت شيئا أجريته فاسأل عما بدا لک.

قال: كيف كان كلامک يوم قتل عمار بن ياسر، قالت: لم أكن والله رويته قبل ولا زورته بعد وإنما كانت كلمات نفثهن لسانى حين الصدمة فإن شئت أن

أحدث لک مقالا ـ غير ذلک فعلت، قال: لا ـ أشاء ذلک، ثم التفت إلى أصحابه فقال: أيكم حفظ كلام أم الخير؟ قال رجل من القوم: أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظى سورة الحمد، قال: هاته، قال: نعم، كأنى بها يا أمير المؤمنين وعليها برد زبيدى كثيف الحاشية، وهى على جمل أرمک، وقد أحيط حولها حواء، وبيدها سوط منتشر الضفر، وهى كالفحل يهدر فى شقشقته، تقول: (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم، إن الله قد أوضح الحق وأبان الدليل ونور السبيل ورفع العلم، فلم يدعكم فى عمياء مبهمة، ولا سوداء مدلهمة، فإلى أين تريدون رحمكم الله، أفرارا عن أمير المؤمنين، أم فرارا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتدادا عن الحق، أما سمعتم الله عزّ وجل يقول:

وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصّابِرِينَ وَ نَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ 1 .

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهى تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشر الرعب، وبيدک يا رب أزمة القلوب، فاجمع إليه الكلمة على التقوى، وألّف القلوب على الهدى، واردد الحق إلى أهله، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل، والوصى الوفى، والصديق الأكبر، إنها إحن بدرية، وأحقاد جاهلية، وضغائن أحدية، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرک بها ثارات بنى عبد شمس، ثم قالت: قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون صبرا، معشر الأنصار والمهاجرين قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، وكأنى بكم

غـدا لقد لقيتم أهل الشام كحمر مسـتنفرة، لا تدرى أين يسـلک بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضـلالة بالهدى، وباعوا البصـيرة بـالعمى، عمـا قليل ليصـبحن نادمين حتى تحل بهم الندامـة فيطلبون الإقالـة، إنه والله من ضل عن الحق وقع فى الباطل، ومن لـم يسـكن الجنـة نزل النار، أيها الناس إن الأكياس استقصـروا عمر الدنيا فرفضوها، واسـتبطأوا مدة الآخرة فسـعوا لها، والله أيها الناس لولا أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش، وطيبه فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم، وزوج ابنته، وأبى ابنيه، خلق من طينته، وتفرع من نبعته، وخصه بسره، وجعله باب مدينته، وعلم المسـلمين، وأبان ببغضه المنافقين، فلم يزل كذلک يؤيده عزّ وجل بمعونته، ويمضـى على سنن استقامته لا يعرج لراحة الدأب، ها هو مفلق الهام، ومكسـر الأصنام، إذ صلى والناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون، فلم يزل كذلک حتى قتل مبارزى بدر، وأفنى أهل أحـد، وفرق جمع هوازن، فيا لها من وقائع زرعت فى قلوب قوم نفاقا وردة شـقاقا، قد اجتهدت فى القول، وبالغت فى النصـيحة، وبالله التوفيق وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته).

فقال معاوية: والله يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى والله لو قتلتک ما حرجت فى ذلک، قالت: والله ما يسوؤنى يا ابن هند أن يجرى الله ذلـک على يـدى من يسـعدنى الله بشـقائه، قـال هيهـات يـا كثيرة الفضول ما تقولين فى عثمان بن عفان، قالت وما عسـيت أن أقول فيه استخلفه الناس وهم له كارهون، وقتلوه وهم راضون، فقال معاوية: إيها يا أم الخير هذا والله أصلک الذى تبنين عليه،

قالت: لكن الله يشـهد بما انزل إليک انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا، ما أردت لعثمان نقصا ولكن كان سباقا إلى الخيرات وانه لرفيع الدرجة.

قال: فما تقولين فى طلحـة بن عبيـد الله، قالت: وما عسـى أن أقول فى طلحة اغتيل من مأمنه وأوتى من حيث لم يحذر وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم الجنة، قال: فما تقولين فى الزبير؟ قالت: يا هذا لا تدعنى كرجيع الصبيغ يعرک فى المركن، قال حقا لتقولن ذلک وقد عزمت عليک، قالت: وما عسيت أن أقول فى الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحواريه، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم الجنة، ولقد كان سـباقا إلى كل مكرمة فى الإسلام، وأنى أسألک بحق الله يا معاوية فإن قريشا تحدث انک أحلمها فأنا أسألک بان تسـعنى بفضل حلمک وأن تعفينى من هذه المسائل وأمض لما شئت من غيرها، قال: نعم، وكرامة قد أعفيتک وردها مكرمة إلى بلدها)(1).

وعليه:

يمكن إيجاز الملاحظة فى وجود النساء فى حروب الإمام على عليه السلام بما يأتى:

1 - لم يكن هناک - بحسب الروايـة التاريخية المتوفرة لدينا - وجود للأطفال؛ بمعنى لم يتم إخراج الأطفال إلى دار الحرب لا فى حروب الإمام على عليه السـلام ولا فى حياة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم سوى ما كان من أمر مالک بن عوف فى حربه لرسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة حنين.

2 - إنّ رتبة القرابة لهؤلاء النسوة مع المقاتلين كانت تنحصر فى الأخت

1- (1) بلاغات النساء لابن طيفور: ص 30-39.

والأم، أو من لم يكن لها قرابة مع أحد سوى القرابة الولائية لعلى بن أبى طالب عليه السلام ورابط المودة للعترة المحمّدية صلوات الله عليهم أجمعين.

بمعنى: أن المقاتلين حرصوا على إبعاد حلائلهم وأطفالهم عن دار الحرب ما استطاعوا كى يكونوا فى مأمن تام فضلاً عن صون حرمة الزوجة بما تفرضه العلاقة الزوجية على الرجل العربى من خصوصية.

من هنا نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أشار إلى هذا المعنى فى حديثه مع عائشة بعد أن انتهت معركة الجمل قائلاً:

«يا حميراء! هل رسول الله أمرك بهذا الخروج علىّ؟ ألم يأمرك أن تقرى فى بيتك؟ والله ما أنصفك الذين أخرجوك عن بيتك، إذ صانوا حلائلهم وأبرزوك!!»(1).

3 - انحصار خروج الزوجة وأولادها إلى دار الحرب فى عاشوراء، وهذه خصوصية لم تلحظ فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أمير المؤمنين عليه السلام، بل لعلها الوحيدة فى تاريخ الأمم سواء على المستوى الرسالى المرتبط بالسماء أو المستوى السياسى المرتبط بالملوك والحكام والقادة.

وعليه: فما هى تلك الآثار التى ترتبت على هذا التميز العاشورائى؟ وما هى النتائج التى حققها هذا الوجود لحرم الإمام الحسين عليه السلام فى يوم الطف على المستويات كافة؟

هذه التساؤلات سنعرض لها فى المباحث اللاحقة.

1- (1) كتاب الجمل لضامن بن شدقم المدنى: ص 146؛ مروج الذهب للمسعودى: ج 2، ص 367، ط بيروت، بلفظة (إذ صانوا عقائلهم وأبرزوك).

المبحث الثانی: معنی السبی وتاریخه

اشارة

ص:63

المسألة الأولى: معنى السبى لغة

قال أهل اللغة: السبى: النهب وأخذ الناس عبيداً وإماء؛ والسبية: المرأة المنهوبة، فعيلة، بمعنى مفعولة، وجمعها السبايا(1).

ولا يقتصر نهب المرأة المسبية على سلب مالها، أى: زينتها مقنعتها وملخصتها التى تغطى بها ظهرها أو سائر جسدها وإنما كل ما له ارتباط بها كالزوج والابن والابنة فتكون بذلک والهة.

و (الوله): ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد، وقد وله بالكسر يوله، ولها، وولهان أيضاً، بفتح اللام، ورجل واله، وامرأة واله أيضا ووالهة.

والتوليه: أن يفرق بين المرأة وولدها؛ وفى الحديث:

«لا توله والدة بولدها».

أى: لا تجعل والها وذلک فى السبايا(2).

1- (1) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير: ج 2، ص 340.

2- (2) مختار الصحاح لمحمد عبد القادر: ص 376؛ كتاب العين للخليل الفراهيدى: ج 4، ص 88؛ لسان العرب لابن منظور: ج 3، ص 561.

المسألة الثانية: الجذور التاريخية لسبى المرأة

اشارة

إن الإحاطة بتاريخ السبايا يلزم منا أن نفرد كتاباً مستقلاً - حسب ما يمليه منهج البحث - إلا أن ذلک لا يمنع من الوقوف على الجذور التاريخية لظهور هذه الحالة الاجتماعية وانعكاساتها على الإنسان ومحيطه الذى يحيا فيه والغرض من ذلک الوقوف على معرفة الأسباب التى أدت إلى ظهور السبى فى المجتمع العربى لتسرى به بعد ذلک إلى المجتمع الإسلامى مما يجعل المتتبع أمام حقيقة مرة وهى عدم تمكن هؤلاء الأعراب من التخلص من الجاهلية وسننها والتعلق بمظاهرها وعاداتها.

فضلاً عن معرفة كونها سنة دخيلة على المجتمع العربى أو أنها عربية المنشأ والتصدير إلى الحد الذى لم يتمكن المسلمون من التخلص منها حتى بعد إسلامهم.

أولاً: أول من سبى السبايا من العرب

إن الوقوف على جذور السبى فى الجزيرة العربية يدل على أنه، أى: السبى، كان منذ مدة ليست بالقصيرة قبل ظهور الإسلام، إذ يروى اليعقوبى فى تاريخه قائلا:

(أول من سبى السبايا من العرب: سبا بن يعرب بن قحطان، وكان اسم (سبا) عبد شمس، وهو أول من ملک ملوک العرب وسار فى الأرض وسبا السبايا)(1).

ويبدو من مراجعة بعض النصوص أن سبا بن يعرب لم يكن قد ابتدع هذه السنة فى العرب بل إن الأمم السابقة والتى أحاطت بالجزيرة العربية قد كانت تتعامل مع المرأة فى الحروب بهذه الكيفية فضلاً عن امتلاک الرجال لنزعة الغزو والاقتناص والظفر بالمال والنساء.

1- (1) تاريخ اليعقوبى: ج 1، ص 195.

ثانيا: سبى المرأة فى الأمم السابقة

من المعلوم أن الإسـلام قد كافح هذه الحالة الطبيعة فى المجتمع الإسلامى الناتجة عن الرق بعد أن كان الرقيق يعاملون بأسوأ المعاملة؛ إذ تُملك المرأة المسبية فتكون مملوكة لمن سـباها وأسـرها وتحرم من جميع حقوقها الحياتية وتعامل كما تعامل الشاة يقدم لها العلف والماء ليؤخذ منها كل ما يمكن الانتفاع منه، فبدنها ملك وولدها ملك لمن وضع يده عليها تباع وتشترى كما يباع غيرها مما يمتلكه الرجل.

كل هذه المعاناة والآلام حاربها الإسلام ووضع لها قانوناً جديداً يرتكز على حفظ كرامة الإنسان ولاسيما المرأة مع تقنين عملية الرق القائم على حفظ الحقوق الإنسانية أولاً وكسب الخدمة من الرق المملوك وحفظ حق المالك.

إلا أن هـذا الجهـد الكبير لم يكن موازياً لتلك الترسـبات التاريخية التى ضـربت فى المجتمع الإنسانى سواء كان فى أرض الرافدين أو عند ارض النيل أو الرومان وغيرهم.

(ففى شريعة حمورابى أن أولاد الرجل من جاريته لا يعدون أولاداً شرعيين، إلا إذا نسبهم إليه فإذا نسبهم إليه كان لهم حق الإرث، وإلا فلا ميراث، لكنهم يعتقون.

والرومان كانوا يعدون أولاد السبايا عبيداً كأمهاتهم.

وقد حدث (هيرودوت) عن اللاسـيين أنهم كانوا يلقبون أولاد الإماء بأسـماء أمهاتهم لا آبائهم، فلو سـئل أحدهم عن اسمه ذكر اسمه واسم أمه ثم جدته لأمه.

ص:67

وأعجب من هذا أن المرأة الحرة إذا تزوجت عبداً عد أولادها أحراراً.

أما إذا كان الزوج حرا وامرأته أمة فأولادها رقيق، وإن كان أبوه أعظم رجل فى المملكة.

وكان (اليهود) لا ينسبون ابن الجارية إلى أبيه وإن تهود، لقول الكتاب: (عصوا الله وجاءوا بنسل غريب) لذلک كان من الطبيعى ألا يرث.

وجرى (الآشوريون) على حرمان أبناء السبايا من الميراث إلا إذا لم يكن للأب أولاد من زوجة حرة.

وكذلک (البابليون) لم يورثوا ابن الأمة إلا إذا اعترف به أبوه أمام شهود.

وعدّ اليونان حرية هذا الابن إذا ادعاه أبوه ناقصة، لأنه من الجائز بعد موت أبيه أن يعود إلى الرق.

ولم تسم أمة بأبناء الإماء كما سمت مصر، لأن (المصريين) كانوا يسوونهم بأبناء الزوجات الشرعيات، حتى فى التربية والميراث.

أما العرب قبل الإسلام فكانوا لا يلحقون أبناءهم من الإماء بنسبهم، فلا يرثون إلا إذا ادعوهم، وأشهدوا على أنهم ألصقوا بهم نسبهم، فإن لم يلحق الرجل ابنه بنسبه استعبده، وإذاً فقد كان أبناء الإماء عبيداً فى نظر العرب واليونان والرومان واللاسيين واليهود والبابليين.

وكانوا محرومين من الميراث فى عرف العرب وشريعة حمورابى واليهود والآشوريين والبابليين، وكانوا لا يلحقون بنسب الآباء فى هذه الأمم إلا إذا ادعوهم.

ولم يغاير فى هذا العرب إلا المصريون القدماء، وأرسطو)(1).

فهذا الرصيد التاريخى للسبايا والسبى والرق قد ضرب فى الجزيرة العربية بكل قوة ونشأت حالة طبقية كبيرة فى المجتمع العربى تعتمد على الغزو والأسر والسبى كى تروى ظمأ شهوات الرجال وتطفئ نيران غرائزهم وتشفى سقم سطوتهم على الضعفاء من الناس لاسيما المرأة.

ولذا: فقد واجه النبى صـلى الله عليه وآله وسلم هذه النفوس بصبر وتأنٍ وحزم وجهد وجهاد حتى استطاع أن يغير كثيراً مما علق بالمجتمع الذى بعث فيه.

المسألة الثالثة: كيف كان يتعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع السبايا؟

اشارة

تكشف لنا النصوص التاريخية الأسـلوب الذى كان يتعامل به رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم مع السبايا هذا الأسلوب المتميز يظهر خصائص كثيرة، منها:

1 - التغيير الجذرى للطبقية الاجتماعية.

2 - إظهار الرحمة والعطف على المرأة المسبية.

3 - حفظ الحقوق الإنسانية.

4 - العفو سمة ملازمة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وغيرها من الخصائص التى رافقت هذه المشاهد التاريخية، فكان منها:

1- (1) شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين للسيد على القبانجى: ص 455.

أولاً: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع جويرية بنت الحارث

ترجم ابن سعد فى الطبقات لها قائلاً: (عن عائشة قالت: أصاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - نساء بنى المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس فأعطى الفرس سهمين والرجل سهما، فوقعت جويرية بنت الحارث ابن أبى ضرار فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى، وكانت تحت ابن عم لها يقال له صفوان بن مالك بن جذيمة ذو الشفر فقتل عنها، فكاتبها ثابت بن قيس على نفسها على تسع أواق، وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه.

فبينا النبى، صلى الله عليه - وآله - وسلم، عندى إذ دخلت عليه جويرية تسأله فى كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبى، صلى الله عليه - وآله - وسلم، وعرفت أنه سيرى منها مثل الذى رأيت.

فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابنى من الأمر ما قد علمت فوقعت فى سهم ثابت بن قيس فكاتبنى على تسع أواق، فأعنى فى فكاكى، فقال:

«أو خير من ذلك؟».

فقالت: ما هو؟ فقال:

«أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك».

قالت: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله:

«قد فعلت».

وخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله، صلى الله عليه – وآله – وسلم، يسترقون! فأعتقوا ما كان فى أيديهم من سبى بنى المصطلق فبلغ عتقهم مائة أهل بيت بتزويجه إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها، وذلک منصرفه من غزوة المريسيع.

أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا منصور بن أبى الأسود وسفيان بن عيينة عن زكريا عن الشعبى قال: كانت جويرية من ملک اليمين فأعتقها رسول الله، صلى الله عليه – وآله – وسلم، وتزوجها)(1).

أقول:

الرواية واضحة الدلالة على غيرة عائشة من كل امرأة فيها جمال لدرجة الخوف من دخول أم المؤمنين جويرية عليه، وهذا فضلاً عن التعريض بشخص النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى تصفه الرواية بأنه سريع الانجذاب للمرأة الجميلة كما تصف عائشة. فى حين أن النبى لم يطلب منها الزواج ولم يعرض عليها ذلک بل أبوها الذى افتداها كما افتدى بنو المصطلق نساءهم من المسلمين فلم تبقَ امرأة مسبية، كما يدل عليه ما رواه ابن سعد أيضاً:

فقال: أخبرنا محمد بن عمر حدثنا عبد الله بن أبى الأبيض مولى جويرية عن أبيه قال: سبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنى المصطلق فوقعت جويرية فى السبى فجاء أبوها فافتداها ثم أنكحها رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – بعد(2).

1– (1) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 8، ص 116.

2– (2) المصدر نفسه.

وفى لفظ آخر يكشف كيفية تعامل رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – مع السبايا، فيقول ابن سعد:

(وكان السبى منهم من منّ عليه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – بغير فداء، ومنهم من افتدى، فافتديت المرأة والذرية بسبب فرائض وقدموا المدينة ببعض السبى فقدم عليهم أهلوهم فافتدوهم فلم تبق امرأة من بنى المصطلق إلا رجعت إلى قومها)(1).

ثانيا: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع عمة عدى بن حاتم لما سباها المسلمون

وهذا مشهد آخر من مشاهد الرحمة والعفو الذى كان يتفجر من جوانح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما سبى المسلمون امرأة من أرض الشام.

قال الطبرانى وهو يروى عن الشعبى عن عدى بن حاتم، قال: (لما قدم النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – المدينة وهاجر إليها جعل يبعث السرايا فلا يزال إبل قوم قد أغارت عليها خيلة فلما رأيت ذلك قلت والله لو خلفت إجمالا من ابلى فكانت تكون قريبا فوالله ما شعرت ذات يوم إذ راعى الإبل قد جاء يعدو بعصاه قلت: ويلك ما لك، قال: أغير والله على النعم، قلت: من أغار عليها، قال: خيل محمد، قلت: لنفسى هذا الذى كنت أحذر فوثبت أرحل اجمالى أنجو بأهلى وكنت نصرانيا ولى عمة فدخلت فقلت: ما ترى يصنع بها وحملت امرأتى وجاءتنى عمتى فقالت: يا عدى أما تتقى الله أن تنجو بامرأتك وتدع عمتك فقلت ما عسى ان يصنعوا بها امرأة قد خلى من سنها فمضيت ولم التفت إليها حتى

1- (1) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 2، ص 64.

وردت الشام فانتهيت إلى قيصر وهو يومئذ بحمص فقلت: انى رجل من العرب وأنا على دينک وان هذا الرجل ليتناولنا فكان المفر إليک.

قال اذهب فأنزل مكان كذا وكذا حتى نرى من رأيک فذهبت فنزلت المكان الذى قال لى فكنت به حينا فبينا أنا ذات يوم إذا أنا بظعينة متوجهة إلينا حتى انتهت إلى بيوتنا فإذا هى عمتى فقالت لى: يا عدى أما اتقيت الله أن نجوت بامرأتک وتركت عمتک قلت قد كان ذلک فأخبرينا ما كان بعدنا، قالت: إنكم لما انطلقتم أتتنا الخيل فسبونا وذهب بى فى السبى حتى انتهيت إلى المدينة وكنا فى ناحية من المسجد فمر علينا رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم عند القائلة وخلفه رجل يتبعه وهو على بن أبى طالب فأومأ إلى ذلک الرجل أن كلميه فهتفت به فقلت: يا رسول الله هلک الولد وغاب الوافد فمنّ على منّ الله عليک، فقال رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم:

«ومن وافدک».

قلت عدى بن حاتم، قال:

«الذى فر من الله ورسوله».

ثم مضى ولم يلتفت إلى حتى كان الغد فمر بى نحو تلک الساعة وخلفه ذلک الرجل فأومأ إلى أن كلميه فهتفت به فقلت: يا رسول الله هلک الولد وغاب الوافد فمنّ على منّ الله عليک، قال:

«ومن وافدک».

قلت عدى بن حاتم الطائى، قال:

«الذى فر من الله ورسوله».

ولم يلتفت إلى فلما كان اليوم الثالث نحوا من تلك الساعة مر وخلفه ذاک يعنى عليا فأومأ أن كلميه فأومأت إليه بيدى أن قد كلمته مرتين فأومأ كلميه أيضا فهتفت به فقلت: يا رسول الله هلک الولد وغاب الوافد فمنّ على منّ الله عليک، قال:

«ومن وافدک».

قلت عدى بن حاتم، قال:

«الذى فر من الله ورسوله».

ثم قال:

«اذهبى فأنت حرة لوجه الله عز وجل فإذا وجدت أحدا يأتى أهلک فأخبرينا نحملک إلى أهلک».

قالت: فانطلقت فإذا أنا برفقة من تنوخ يحملون الزيت فباعوا زيتهم وهم يرجعون فحملنى على هذا الجمل وزودنى.

قال عدى ثم قالت لى عمتى: أنت رجل أحمق أنت قد غلبک على شرفک من قومک من ليس مثلک ائت هذا الرجل فخذ بنصيبک، فقلت: وإنه لقد نصحت لى عمتى فوالله لو أتيت هذا الرجل فإن رأيت ما يسرنى أخذت وان رأيت غير ذلک رجعت وكنت أضن بدينى فأتيت حتى وصلت المدينة فى غير جوار فانتهيت إلى المسجد فإذا أنا فيه بحلقة عظيمة ولم أكن قط فى قوم إلا عرفت فلما انتهيت إلى الحلقة سلمت فقال لى رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم:

«من أنت».

قلت: أنا عدى بن حاتم الطائى، وكان أعجب شىء إليه أن يسلم عليه أشراف العرب ورؤوسهم، فوثب من الحلقة فأخذ بيدى فوجه بى إلى منزله فبينا هو يمشى معى إذ نادته امرأة وغلام معها يا رسول الله إن لنا إليک حاجة فخلوا به قائما معهما حتى أويت له من طول القيام قلت فى نفسى أشهد أنک برىء من دينى ودين النعمان بن المنذر وإنک لو كنت ملكا لم يقم معه صبى وامرأة طول ما أرى فقذف الله فى قلبى له حبا حتى انتهيت إلى منزله فألقى إلى وسادة حشوها ليف فقعدت عليها وقعد هو على الأرض فقلت: فى نفسى وهذا، ثم قال لى:

«ما أفرک من المسلمين إلا أنک سمعتهم يقولون لا إله إلا الله وهل من إله إلا الله وما أفرک من المسلمين إلا انک سمعتهم يقولون الله أكبر فهل تعلم شيئا هو أكبر من الله عز وجل».

فلم يزل حتى أسلمت وأذهب الله عز وجل ما كان فى قلبى من حب النصرانية)(1).

ثالثا: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع سبايا اليهود

لم يزل حبيب الرحمان صلى الله عليه وآله وسلم يغدق الناس بالرحمة ويحنو على الضعاف لاسيما المرأة والطفل دون النظر إلى العرق أو اللون أو المعتقد.

فها هو يرحم سبايا اليهود ويؤنّب بلالاً لأنه مرّ بامرأتين يهوديتين على قتلاهما فى فتح خيبر ليجل التاريخ أعظم المشاهد الإنسانية فى تاريخ الأمم وحضارات الشعوب.

1- (1) الأحاديث الطوال للطبرانى: ص 14-16.

روى المجلسى رحمه الله فى فتح خيبر:

(وأخذ على فيمن أخذ صفية بنت حيى، فدعا بلال فدفعها إليه وقال له: لا تضعها إلا فى يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يرى فيها رأيه، فأخرجها بلال ومرّ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على القتلى وقد كادت تذهب روحها جزعاً.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنزعت منک الرحمة يا بلال؟».

ثم اصطفاها - صلى الله عليه وآله وسلم - لنفسه ثم أعتقها وتزوّجها)(1).

ويروى ابن إسحاق جانباً من هذا المشهد فيقول:

(لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حصن ابن أبى الحقيق أتى بصفية ابنة حيى ومعها ابنة عم لها جاء بها بلال فمرّ بهما على قتلى من اليهود فلما رأتهم التى مع صفية صكت وجهها وصامت وحثت التراب على رأسها.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم غربوا هذه الشيطانة عنى وأمر بصفية خلفه وغطى عليها ثوبه فعرف به الناس أنه اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبلال حيث رأى من اليهودية ما رأى:

«يا بلال نزعت منک الرحمة حين تمر بامرأتين على قتلاهما»)(2).

وبعد هذه الشواهد من الرحمة والإنسانية التى يرويها التاريخ عن سيد

1- (1) البحار للمجلسى: ج 21، ص 22.

2- (2) سيرة ابن إسحاق: ج 5، ص 246.

الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يكون حاله مع المرأة المسلمة التى تضام وتهان وتذل بما لم تذل به نساء اليهود والديلم؟!

والسؤال الذى يفرض نفسه فى البحث: إذا كان نبى الإسلام هكذا يتعامل مع اليهود والمشركين، فكيف يكون حاله وهو يرى بناته سبايا بأيدى المسلمين؟ قد قتلوا أبناءهن وإخوانهن وأزواجهن ونهبوا حجابهن وحليهن وربطوهنّ بالحبال وساقوهن بالسياط؟!!!

لعل الجواب معلوم لدى أصحاب الضمائر الحية، أما من مات ضميره فلن يسأل عن شىء.

المسألة الرابعة: أبو بكر أول من سن سبى المرأة المسلمة

لعل الكثيرين لا يروق لهم العنوان لاسيما وهو ابن ثقافة موروثة صنعتها يد الساسة التى سخرت جميع طاقاتها من أجل رسم صورة مخالفة لما جاء به القرآن الكريم والنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا: قد يصعب على بعض من المسلمين أن يتصور أن أول من سن سبى المرأة المسلمة هو أبو بكر بن أبى قحافة، ولا يصعب عليه سبى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرضه ولحمه ودمه فهاهن بنات على بن أبى طالب تتقدمهن زينب بنت فاطمة الزهراء عليهم السلام وهن مكشوفات الرؤوس مربطات بالحبال تعلوهن سياط المسلمين ويطاف بهن فى بلاد المسلمين.

عجيب هذا المسلم الذى ينتفض لهذا العنوان ولا تحرك سبايا آل محمد غيرته

على دينه وشرفه!! بل وإنسانيته، إن بقى من إنسانيته شىء بعد ذبح الطفل الرضيع من أبناء محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا: ليس من الغريب على المسلمين أن يشاهدوا المسلمات وهن سبايا بعد أن شاهدوا خالد بن الوليد يقتل المسلمين ويزنى بنسائهم فى الليلة نفسها كما حدث لمالك بن النويرة وزوجته، ولعل اعتراض عمر بن الخطاب على هذه الجريمة وموقفه من خالد بن الوليد يعطى صورة واضحة عن تلك الجريمة والانتهاكات التى حدثت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكما يروى الطبرى قائلاً:

(وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجراً بعمامة له قد غرز فى عمامته أسهما فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال: أرئاء؟! قتلت امرأً مسلما ثم نزوت على امرأته. والله لأرجمنك بأحجارك.

ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظن إلا أن رأى أبى بكر على مثل رأى عمر فيه حتى دخل على أبى بكر فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وتجاوز عنه ما كان فى حربه تلك.

قال: فخرج خالد حين رضا عنه أبو بكر وعمر جالس فى المسجد فقال: هلم إلى يا ابن أم شملة قال: فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه، فلم يكلمه ودخل بيته)(1).

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 2، ص 504؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج 6، ص 355؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 17، ص 207؛ أسد الغابة: ج 4، ص 296؛ إمتاع الأسماع للمقريزى: ج 14، ص 240؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج 2، ص 359.

وفی قول آخر أن عمر بن الخطاب حینما سمع الخبر قبل مجیء خالد إلی المدینة، قال: (عدو الله عدا علی امرئ مسلم فقتله ثم نزا علی امرأته)(1).

ولقد تحدثت بعض المصادر الأخری عن صورة جدیدة لهذه الحادثة التی لم تشأ کثیر من المصادر إظهارها کی لا یلحقهم العار بمن یتولون ویأتمون.

فقد روی الراوندی (المتوفی سنة 573 ه -) قائلا: (لما قعد أبو بکر بالأمر بعث خالد بن الولید إلی بنی حنیفة لیأخذ زکاة أموالهم فقالوا لخالد: إن رسول الله صلی الله علیه وآله کان یبعث کل سنة من یأخذ صدقات الاموال من الاغنیاء من جملتنا، ویفرقها فی فقرائنا، فافعل أنت کذلک.

فانصرف خالد إلی المدینة وقال لأبی بکر: إنهم منعوا (من) الزکاة، فأعطاه عسکرا (فرجع خالد) وأتی بنی حنیفة وقتل رئیسهم، وأخذ زوجته ووطئها فی الحال وسبی نسوانهم ورجع بهن إلی المدینة، وکان ذلک الرئیس صدیقا لعمر (فی الجاهلیة)، فقال عمر لأبی بکر: اقتل خالدا به، بعد أن تجلده الحد بما فعل بامرأته.

فقال له أبوبکر: إن خالدا ناصرنا، تغافل، وأدخل السبایا فی المسجد وفیهن خولة، فجاءت إلی قبر الرسول صلی الله علیه وآله والتجأت به وبکت وقالت: یا رسول الله نشکو إلیک أفعال هؤلاء القوم، سبونا من غیر ذنب ونحن مسلمون.

ثم قالت: أیها الناس لم سبیتمونا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلی الله علیه وآله؟

1- (1) تاریخ الطبری: ج 2، ص 504؛ خزانة الأدب للبغدادی: ج 2، ص 26؛ تاریخ الإسلام للذهبی: ج 3، ص 36.

فقـال أبوبكر: منعتم الزكـاة، قـالت: ليس الأمر على ما زعمت، إنما كان كـذا وكـذا، وهب الرجال منعوكم الزكاة بزعمكم، فما بال النسوان المسلمات سبين)(1).

وفى روايـة أخرى تفصـح هـذه المرأة عن حقيقـة هـذه الحرب التى شُنّت ضـدهم والتى كـان ظاهرها إمضاء رأى أبى بكر فى جمع الزكاة وتحويله إلى يديه ينفقه حسب ضـروریاته خلافاً لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى إنفاقه فى الفقراء من بنى حنيفة ليكون المال منهم وإليهم فتقول خولة الحنفية وقد توجهت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخاطبه: (السلام عليک هؤلاء أُمتک سبتنا سبى الترک والديلم، والله ما كان لهم من ذنب إلا الميل على أهل بيتک فحولت الحسنة سيئة والسيئة حسنة، فسبينا...)(2).

وعليه:

يتضح من ذلک أن المسـلمين قد ألفوا سبى النساء المسلمات بعد أن سن لهم أبو بكر ذلک ليتعدى الأمر إلى أعظم رزایاه فى يوم عاشوراء. وعلى أعقاب أبى بكر يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد فكانت مشاهد لم يشـهد لها التاريخ نظيراً منذ أن اصطفى الله تعالى آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم. قال تعالى:

وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصّابِرِينَ وَ نَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ 3 .

1- (1) الخرائج والجرائح للراوندى: ج 2، ص 563-564؛ بحار الأنوار: ج 41، ص 302-303.
2- (2) مسند الإمام الرضا عليه السلام للشيخ عزيز الله عطاردى: ج 1، ص 117.

المبحث الثالث: معنى المشيئة الإلهية، وهل هذه المشيئة تعطل العقاب الإلهى ؟

اشارة

ص:81

إنّ حضور المرأة فی کربلاء ومن خلال الدراسة فی التاریخ الحربی للعرب والمسلمین یعد حضوراً متمیزا وفریدا وملهما ومؤسساً لأصول عقائدیة وحیاتیة جدیدة لم یعهدها الإنسان قبل کربلاء ولم یتهیأ له مستقبلاً نظیر لها، وذلک لما جمع فی کربلاء من مقومات اختارتها المشیئة الإلهیة لتکون محوراً وسطیاً لهذه الأمة فی بناء العقیدة والإصلاح.

من هنا: نجد أن الإمام الحسین علیه السلام حینما اعترضه محمد بن الحنفیة عند خروجه إلی العراق مستفهما منه عن العلة فی إخراجه لهؤلاء النسوة فأجابه علیه السلام:

«قد شاء الله أن یراهن سبایا».

لم یکن قوله علیه السلام إسکاتاً لما بدا علی ابن الحنفیة من تساؤلات عدیدة لم یشأ أن یبوح بها فاختزلها بقوله: فما بال حملک لهذه النسوة؟ فقال هذه الکلمات القلیلة التی فی ظاهر الروایة التاریخیة إنها أسکتته فلم یبُحْ بعدها بکلمة حتی بدا للقارئ أن المراد هو هذه النتیجة.

فی حین أن الإمام الحسین علیه السلام قد کشف لأخیه أحد أعظم الحقائق التی ارتبطت بهذا الخروج، وما أشبه هذا القول منه علیه السلام بقوله تعالی لأم

موسى حينما بدا عليها الخوف وتملكتها الحيرة فى التعامل مع ولدها موسى ماذا تصنع به! فجاء الجواب:

فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَ لا تَخافِى وَ لا تَحْزَنِى إِنّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ 1 .

وليت شعرى: أى المقامين أعظم؟! فإن كان الملقى فى أحضان البحر فرداً واحداً فإن أبناء محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد ألقوا فى أخاديد الحراب وافترشوا نصال النبال وعانقوا السيوف؛ وهل رد ابن فاطمة لأمه سالماً معافىً أو رد إليها مقطع الأعضاء؟! لله الأمر من قبل ومن بعد.

إلا أن الآثار والنتائج التى حققها هذا الخروج لم تكن أقل شأناً من آثار إلقاء موسى فى البحر ونتائج ذلک إن لم تفقها فى مواضع كثيرة، فكم من فرعون وفرعون دكت العقيلة زينب عروشه إلى يوم القيامة، وكم من دفاع عن التوحيد ونبذ للشرک قد أثبتته الظعينة التى أخرجها الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن الدفاع عن الولاية والنبوة وإعادة الإسلام إلى مساره الذى وضعه له الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه: قد يجد القارئ ضرورة فى بيان معنى الإشاءة التى تصدرت كلام الإمام الحسين عليه السلام، وما الفرق بينها وبين الإرادة، وهل إن الإشاءة الإلهية تعنى رفع العقاب عن القتلة لأن الله شاء أن يراهن سبايا؟

وجوابه فى مسائل:

المسألة الأولى: معنى المشيئة الإلهية

اشارة

هنا ينبغى بنا أن نضع بين يدى القارئ المراد من المشيئة الإلهية كى يتضح لدينا المراد من قول الإمام الحسين عليه السلام:

«قد شاء الله أن يراهن سبايا».

وهـل تكون المشـيئة الإلهيـة معطلـة للعقاب بكينونـة أن الله تعالى قـد شاء ذلک ومن ثم لا يعاقب الجانى؟ فهـذا السؤال وغيره يمكن لنا الإجابـة عنه من خلال الوقوف على معنى المشـيئة الإلهيـة، وذلک من خلال اللغة والقرآن والسـنة ولو من قبيل الإشارة كى لا نسـهب فى البيان.

أولاً: المشيئة لغة

لا يختلف معنى الإرادة عند أهل اللغة عن معنى المشيئة، فكلاهما يدل على معنى واحد(1) ؛ ف - (المشيئة) مهموزة: الإرادة، وقد شئت الشيء أشاؤه(2) ، وقيل: إن المشيئة أخص من الإرادة(3).

وإنمـا فرق بين قول ما شاء الله وشـئت، وما شاء الله ثم شـئت، لأن الواو تفيـد الجمع دون الترتيب، وثم تجمع وترتب، فمع الواو يكون قد جمع بين الله وبينه فى المشيئة، ومع (ثم) يكون قد قدم مشيئة الله على مشيئته(4).

1- (1) القاموس المحيط للفيروز آبادى: ج 1، ص 296.

2- (2) لسان العرب لابن منظور: ج 1، ص 104.

3- (3) مختار الصحاح لعبد القادر: ص 186.

4- (4) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير: ج 2، ص 517.

ومنها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما شاء الله ثم شئت»(1).

وقيل: إن الفرق بين الإرادة والمشيئة: إن الإرادة هى العزم على الفعل أو الترك بعد تصور الغاية المترتبة عليه من خير، أو نفع، أو لذة ونحو ذلک؛ وهى أخص من المشيئة، لأن المشيئة ابتداء العزم على الفعل فنسبتها إلى الإرادة نسبة الضعف إلى القوة، والظن إلى الجزم، فإنک ربما شئت شيئاً ولا تريده لمانع عقلى أو شرعى.

وأما الإرادة فمتى حصلت صدر الفعل لا محالة(2).

ثانيا: المشيئة فى القرآن

أما القرآن الكريم فقد اشتمل على آيات كثيرة حول المشيئة مما يجعل تتبعها وبيان معانيها ودلالاتها يعد فى حد ذاته بحثاً مستقلاً؛ إلا أن خير ما يمكن أن يظهر معنى المشيئة فى القرآن وبشكل موجز ما تناوله الشريف المرتضى فى أحدى رسائله العقائدية، فكان كلامه بحق وافياً لمن أراد أن يحيط بمعنى المشيئة وعلاقتها بالإيمان، فقال رحمه الله تعالى وتحت عنوان: الإيمان وحقيقة المشيئة ما يأتى:

(فإن سألوا عن معنى قوله تعالى:

وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لآمَنَ مَنْ فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ 3 .

1- (1) النهاية فى ترتيب الحديث لابن الأثير: ج 2، ص 517.

2- (2) الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى: ص 35.

قيـل لهم: معنى ذلـک لو شـاء ربـک لألجـأهم إلى الإيمـان، لكنه لو فعل ذلک، لزال التكليف، فلم يشأ ذلک بل شاء أن يطيعوا على وجه التطوع والإيثار لا على وجه الإجبار والاضطرار، وقد بين الله ذلک فقال:

أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ .

يريد إنى أنا أقدر على الإكراه منک ولكنه: لا إِكْراهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ 1 .

وكذلک الجواب فى قوله:

وَ لَوْ شاءَ اللّهُ ما فَعَلُوهُ 2 .

وقوله تعالى:

وَ لَوْ شاءَ لَهَداكُمْ 3 .

وقوله:

وَ لَوْ شاءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ وَ لكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ4 .

ولو شـاء لحـال بينهم وبين ذلـک، ولو فعـل ذلـک لزال التكليف عن العبـاد، لأـنه لاـ يكون الأـمر والنهى إلاـ مع الاختيـار لاـمع الإلجاء والاضطرار.

وقد بين الله (ذلک) بما ذكرنا من قوله:

إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ 1 .

فأخبر أنه لو شاء لأكرههم على الإيمان.

وقد بين ذلک ما ذكرناه من قصة فرعون وغيره أنه لم ينفعهم الإيمان فى وقت الإكراه.

وقد بين الله فى كتابه العزيز أنه لم يشأ الشرک، وكذب الذين أضافوا إليه ذلک، فقال تعالى:

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْ ءٍ2 .

فأخبروا أنهم إنما أشركوا بمشيئة الله تعالى فلذلک كذبهم: ولو كانوا أرادوا أنه لو شاء الله لحال بيننا وبين الإيمان لما كذبهم الله، قال الله تكذيبا لهم:

كَذلِکَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّى ذاقُوا بَأْسَنا.

يعنى عذابنا.

قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا .

يعنى هل عندكم من علم أن الله يشاء الشرک ثم قال:

إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ تَخْرُصُونَ .

يعنى تكذبون.

كقوله:

قُتِلَ الْخَرّاصُونَ 1 .

وقال عز وجل:

ما لَهُمْ بِذلِکَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاّ يَخْرُصُونَ 2 .

يعنى يكذبون.

وقال عز وجل:

وَ قالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَیْ ءٍ نَحْنُ وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَیْ ءٍ كَذلِکَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ 3 .

خبر أن الرسل قد دعت إلى الإيمان، فلو كان الله تعالى شاء الشرک لكانت الرسل قد دعت خلاف ما شاء الله، فعلمنا أن الله لم يشأ الشرک.

فإن قال بعض الأغبياء: فهل يشاء العبد شيئا أو هل تكون للعبد إرادة؟

قيل له:

نعم قد شاء ما أمكنه الله من مشيئته ويريد ما أمره الله بإرادته، فالقوة على الإرادة فعل الله والإرادة فعل العبد.

والدليل على ذلک قول الله تعالى:

وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنّا أَعْتَدْنا لِلظّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها1 .

وقال تعالى:

فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً2 .

وقال:

فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً3 .

وقال:

تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِي إِلَيْکَ مَنْ تَشاءُ4 .

وقال:

وَ كَذلِکَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ5 .

وقال:

فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما6 .

وقال:

فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنّى شِئْتُمْ 1 .

وقال:

لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً2 .

وقال فيما بين أن العبد قد يريد ما يكره الله من إرادته فقال:

تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ 3 .

وقال:

وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً4 .

وقال:

وَ لَوْ أَرادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً 5 .

فأخبر أنهم لو أرادوا لفعلوا كما فعل من أراد الخروج.

وقال:

يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللّهِ 6 .

وقال:

وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً1 .

وقال:

إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ2 .

وما أشبه ما ذكرنا أكثر من أن نأتى عليه فى هذا الموضع.

فإن قال: فما معنى قوله:

وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ 3 .

قيل له: إن الله ذكر هذا المعنى فى موضعين، وقد بينهما ودل عليهما بأوضح دليل وأشفى برهان على أنها مشيئته فى الطاعة، فقال:

لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ 4 .

فهو عز وجل شاء الاستقامة ولم يشأ الاعوجاج ولا الفكر، وقال فى موضع آخر:

إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ 5 .

فالله قد شاء اتخاذ السبيل ولم يشأ العباد ذلک إلا وقد شاء الله لهم، فأما الصد عن السبيل وصرف العباد عن الطاعة فلم يشأ عز وجل)(1).

وفيها هـذا البيان الوافى والشافى يتضـح لنا أن المشـيئة الإلهية بريئة مما يقوله العصاة والظالمون فيما يصدر عنهم من أفعال قبيحة ومخالفة للشريعة بأن الله تعالى هو الذى أراد لهم ذلک فتعال الله عما يصفون علواً كبيراً بل هم الذين أرادوا هذا الفعل.

ثالثا: المشيئة فى السنة

قـد لا يخفى على كثيرٍ من أهل المعرفة أن المراد بالسـنة عند مذهب الإمامية هو: قول رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وفعله وتقريره وقول عترته أهل بيته الـذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين فرض مودتهم على الخلائق وأوجب على الخلق كافة طاعتهم فهم حجج الله تعالى على البرايا وأوصياء خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

فقول الأئمة الإثنى عشر مع قول أمهم فاطمة بضعة النبوة وفعلهم وتقريرهم هو المراد به بالسنة.

وعليه:

فقد ورد فى السنة المحمدية أحاديث كثيرة تظهر معنى المشيئة وتدل على مفهومها ومصداقها.

ومنها:

1- (1) رسائل المرتضى للشريف المرتضى: ج 2، ص 234-238.

1 – أخرج الشيخ الكلينى عن سليمان الديلمى، (عن على بن إبراهيم الهاشمى: قال سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول:

«لا يكون شىء إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى».

قلت: ما معنى شاء؟ قال:

«ابتدأ الفعل».

قلت: ما معنى قدر؟ قال:

«تقدير الشىء من طوله وعرضه».

قلت: ما معنى قضى؟ قال:

«إذا قضى أمضاه، فذلک الذى لا مرد له»)(1).

2 – وعنه رحمه الله تعالى، (عن واصل بن سليمان، عن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:

«أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر، أمر أبليس أن يسجد لآدم وشاء أن لا يسجد، ولو شاء لسجد، ونهى آدم عن أكل الشجرة، وشاء أن يأكل منها، ولو لم يشأ لم يأكل»)(2).

3 – وعنه رحمه الله، (عن فتح بن يزيد الجرجانى: عن أبى الحسن عليه السلام قال:

«إن لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن لا يأكلا من الشجرة وشاء

1- (1) الكافى للشيخ الكلينى، باب: المشيئة والإرادة، ج 1، ص 150.
2- (2) المصدر نفسه.

ذلک، ولو لم یشأ أن یأکلا لما غلبت مشیئتهما مشیئة الله تعالی وأمر إبراهیم أن یذبح إسحاق ولم یشأ أن یذبحه ولو شاء لما غلبت مشیئة إبراهیم مشیئة الله تعالی»)(1).

4 – وعنه رحمه الله، عن فضیل بن یسار قال سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول:

«شاء وأراد ولم یحب ولم یرض شاء ألا یکون شیء إلا بعلمه، وأراد مثل ذلک، ولم یحب أن یقال: ثالث ثلاثة، ولم یرض لعباده الکفر».

5 – وعنه رحمه الله عن أبی نصر قال: قال أبو الحسن الرضا علیه السلام، قال الله:

«یا ابن آدم بمشیئتی کنت أنت الذی تشاء لنفسک ما تشاء وبقوتی أدیت فرائضی، وبنعمتی قویت علی معصیتی، جعلتک سمیعاً بصیراً، قویا، ما أصابک من حسنة فمن الله، وما أصابک من سیئة فمن نفسک، وذاک أنی أولی بحسناتک منک، وأنت أولی بسیئاتک منی، وذاک أننی لا أسألک عما أفعل وهم یسألون»(2).

وتدل هذه الأحادیث الشریفة علی أن الاختیار فی الطاعة والمعصیة للعبد وأن البیان لطریق الخیر والشر علی الله تعالی، ولذا بعث الأنبیاء والرسل، ولو شاء لجعل الناس علی عماهم لکن أراد لبنی آدم الکرامة فبعث لهم الأنبیاء والمرسلین لیزکیهم ویهدیهم صراطه المستقیم فمن شاء منهم أن یؤمن فقد آمن، ومن شاء منهم أن یکفر، فقد کفر.

1- (1) الکافی للشیخ الکلینی، باب: المشیئة والإرادة: ج 1، ص 150.
2- (2) الکافی للکلینی فی باب: المشیئة والإرادة، ج 1، ص 151.

المسألة الثانية: المشيئة التشريعية والمشيئة التكوينية

بقى أن نورد ما يتعلق بالمشـيئة وأنها فى حقيقة تكوينها تنقسم إلى (المشـيئة التشريعية و (المشيئة التكوينية) واللتين يتضح بهما معنى قول الإمام الحسين عليه السلام:

«قد شاء الله أن يرانى قتيلاً، وقد شاء الله أن يراهن سبايا».

فنقول:

إن الله تعالى قد شاء أن يجعل الأرض دار اختبار وبلاء، وشاء أن يجعل فيها خليفة وأنبياء ورسـلاً وأئمة، وشاء أن يجعل هذا الإنسان مكوناً من غرائز وشهوات وعقل وهذا وما شابهه كله من الإشاءة التكوينية.

وأما الإشاءة التشـريعية: فهى أن الله تعالى قد شاء أن يعبد وحده لا شـريک له، وأن يؤمن برسله وأنبيائه، وكتبه، وشاء سبحانه من عباده طاعة هؤلاء الأنبياء، وشـاء أن فرض عليهم العبـادات والمعاملاـت وشـاء أن لاـ يظلم الإنسـان الإنسـان وشاء أن يتراحموا ويتباروا وغيرها من التشريعات الإلهية وكلها ضمن مشيئته سبحانه.

إلا أن الإنسان خلط بين المشـيئة التكوينيـة والمشـيئة التشـريعية؛ كى يجـد مبرراً وعذراً لا يقترفه من ذنوب ومعاصٍ وتعدٍ للحدود فيجعل وعلى سبيل المثال؛ القتل غرضاً للسرقة أو للوصول إلى السلطة ثم يقول لو شاء الله لـم يقتل فلان أو لـم أكن قاتلاً فى حين أن الإنسان القاتل هو الذى شاء قتل أخيه بعد أن انقاد لشهواته وغرائزه؛ فالموت هنا: مشيئة تكوينية، لكن طريقة الموت وهو القتل

مشيئة تشريعية بمعنى: أن الله تعالى شاء حرمة القتل ونهى عنه وحذر منه وعاقب عليه لكن القاتل بيده شاء ذلک.

من هنا:

نجـد أن القرآن الكريم يتعرض فى أكثر من موضع لهذه الحقيقة وأن المشـيئة، هى مشـيئتان، مشـيئة تكوينية ومشـيئة تشـريعية، وذلک من خلال قوله تعالى:

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ 1 .

وفى بيان هذه المسألة يقول العلامة الطباطبائى رحمه الله:

(وقوله:

قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللّهُ أَطْعَمَهُ .

جوابهم للـدعوة إلى الانفاق، وإنما أظهر القائل – الـذين كفروا – ومقتضـى المقام الإضـمار للإشارة إلى أن كفرهم بالحق وإعراضـهم عنه باتبـاع الشـهوات هو الـذى دعـاهم إلى الاعتـذار بمثل هـذا العـذر المبنى على الاعراض عما تـدعو إليه الفطرة من الشـفقة على خلق الله وإصلاح ما فسد فى المجتمع كما أن الاظهار فى قوله: (الذين آمنوا) للإشارة إلى أن قائل (أنفقوا مما رزقكم الله) هم الذين آمنوا.

وفى قولهم: (أنطعم من لو يشـاء الله أطعمه) إشـعار بـأن المؤمنين إنمـا قالوا لهم: (أنفقوا مما رزقكم الله) بعنوان أنه مما يشاؤه الله ويريـده حكما دينيا فردوه بأن إرادة الله لا تتخلف عن مراده فلو شاء أن يطعمهم أطعمهم أى وسع فى رزقهم

وجعلهم أغنياء.

وهـذه مغالطـة منهم خلطوا فيه بين الإـرادة التشـريعية المبنيـة على الابتلاـء والامتحان وهدايـة العباد إلى ما فيه صـلاح حالهم فى دنياهم وآخرتهم، ومن الجائز أن تتخلف عن المراد بالعصيان، وبين الإرادة التكوينية التى لا تتخلف عن المراد. ومن المعلوم أن مشيئة الله وإرادته المتعلقـة بإطعام الفقراء والانفاق عليهم من المشـيئة التشـريعية دون التكوينيـة فتخلفها فى مورد الفقراء إنما يدل على عصـيان الذين كفروا وتمردهم عما أمروا به لا على عدم تعلق الإرادة به وكذب مدعيه.

وهذه مغالطة بنوا عليها جل ما افتعلوه من سنن الوثنية وقد حكى الله سبحانه ذلک عنهم فى قوله:

وَ قالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَیْ ءٍ نَحْنُ وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَیْ ءٍ كَذلِکَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ 1 .

وقوله:

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَیْ ءٍ2 .

وقوله:

وَ قالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ 3 .

وقوله:

إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ 1 .

من تمام قول الذين كفروا يخاطبون به المؤمنين أى إنكم فى ضلال مبين فى دعواكم أن الله أمرنا بالانفاق وشاء منا ذلک)(1).

وبهذا يتضح أن الله تعالى قد شاء أن يرى بنات الرسالة سـبايا مشيئة تكوينية ليرى سبحانه وهو العالـم بحقائق الأشياء ومحيط بدقائق الأمور صبرهن وطاعتهن ليكون ذلک، أى الصبر ضمن المشيئة التشريعية، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية: قد شاء سـبحانه فى المشيئة التشريعية أن يبتلى الأمة بمودة آل محمد فكان سبيهن انتهاكا للمشيئة التشريعية لأن الله تعالى لا يشرع الظلم والقتل.

وعليه:

فإن انتهاک حرمتهم وقتلهم وسبى نسائهم وأطفالهم من أعظم الانتهاكات التشـريعية لما يترتب على ذلک من تعد على الله ورسوله صـلى الله عليه وآله وسلم وجميع الرسالات والتشريعات الإلهية.

1- (2) تفسير الميزان للسيد الطباطبائى: ج 17، ص 93-94.

المبحث الرابع: من هم عيال الإمام الحسين عليه السلام ؟ وما هو عددهم ؟

اشارة

ص:101

ليس من السـهل على الباحث الوقوف عند العدد الحقيقى للنساء اللاتى أخرجهن الإمام الحسـين عليه السـلام معه إلى كربلاء، وذلک لما أحاطت به البيوت النبوية من الحشمة والعفة.

لاسـيما أن هؤلاء النساء قد انحصـر ارتباطهن بعلى أمير المؤمنين عليه السلام من جهة، ومن جهة أخرى ببنات الإمام الحسين عليه السلام وأزواجه ومن ثم يكون الرجوع إلى على بن أبى طالب عليه السلام، فى كلا الحالين.

وهـذا يلزم المرأة الامتثال للخلق النبوى والكمال المحمـدى والحياء الفاطمى والعزة العلوية فالمرأة التى تحيا بين أحضان العترة وتنمو بين دفتى الـذكر الحكيم لحرى بهـا أن لاـ يرى الرجـال شخصـها ولا يسـمعوا همسـها، أى: التعـذر فى معرفتهن وتشخيصـهن وهو ما واجهه النسابون والمؤرخون حينما أرادوا الوقوف عند معرفة أسـماء بنات أمير المؤمنين على عليه السلام اللاتى أخرجهن معه الإمام الحسين عليه السـلام معرفـة قطعيـة، فما أكثر الاختلاف فى تشـخيص أى منهن كانت أم كلثوم، وهل هو كنيـة أو اسم، وهل هو لامرأة واحدة أو لأكثر، فضلاً عن اختلافهم فيمن تسمت منهن بزينب، فكان منهن الكبرى والصغرى والوسطى(1).

1- (1) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج 3، ص 484.

ولذا:

كان إخراجهنّ إلى كربلاء من أعظم المصائب على الهاشـميين، بل وعلى كل مسـلم غيور على حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف به على قلب الإمام الحسين عليه السلام، وهو العالم بنتيجة هذا الخروج وما سيجرى عليه وعليهن فى كربلاء.

ولذلک:

لم يجد محمد بن الحنفية(1) ، بعد طول صراع بين ما يراه من إخراجهن وبين

1- (1) ترجم له السيد محسن الأمين فى أعيانه بقوله: أبو القاسم، أو أبو عبد الله بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية هو من الطبقة الأولى من التابعين ولد بعد وفاة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم وتوفى سنة 81 ه - فى أيام عبد الملک بن مروان وعمره خمس وسـتون سـنة واختلفوا فى أى مكان توفى على ثلاثـة أقوال: أحـدهما بأيلة، والثانى بالمدينة، وصـلى عليه أبان بن عثمان بإذن ابنه أبى هاشم ودفن بالبقيع، والثالث بالطائف.غلبت عليه النسـبة إلى أمه خولة الحنفية من بنى حنيفة وهى خولة بنت جعفر بن قيس بن مسـلمة بن عبيـد بن ثعلبـة بن يربوع بن ثعلبـة بن الـدؤل بن حنيفـة بن لجيم بن صـعب بن على بن بكر بن وائل.قال ابن أبى الحديد فى شـرح النهج ما حاصـله: اختلف فى امرها فقيل أنها سبية من سـبايا حنيفة على يد خالد ابن الوليد أيام أبى بكر أقول وبذلک قد يحتج بعضـهم على اعتراف أمير المؤمنين على عليه السـلام بصـحة سبيها وفيه أن الحال فى ذلک لا يمكن الجزم بها ولا دعوى العلم بأنه كيف تزوجها لجواز أن يكون عقـد عليهـا مع أن المؤرخين مختلفون فى أمرها كما سـمعت وستسـمع فكيف يمكن الاحتجاج بأمر مختلف فيه إذ متى وجـد الاحتمال سقط الاسـتدلال على أن عمر نفسه لم يعترف بصحة سبى بنى حنيفة وكان يطلب إلى الخليفة أن يقيم الحد على خالد قال: وقال قوم منهم أبو الحسن على بن محمد بن سـيف المدايني هى سبية فى أيام رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم قالوا بعث عليا إلى اليمن فأصاب خولة فى بنى زبيـد وقد ارتدوا مع عمر بن معديكرب وكانت زبيد سـبتها من بنى حنيفة فى غارة لهم عليهم فصارت فى سـهم على فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن ولدت منک غلاما فسمه

علمه بمنزلة الإمام الحسين عليه السلام من الدين وبين مبادرته بالسؤال عن العلة فی هذا الخروج، قائلاً لسبط رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بعد أن وصله الخبر بخروجه من المدينة عند السحر من الليل، (فأتاه، فأخذ بزمام ناقته التی ركبها، فقال له: يا أخی ألم تعدنی النظر فيما سألتک؟

قال عليه السلام:

«بلی».

قال: فما حداک علی الخروج عاجلاً؟ فقال عليه السلام:

«أتانی رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم بعد ما فارقتک، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراک قتيلاً».

فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنی حملک هؤلاء النساء معک وأنت تخرج علی مثل هذه الحال؟

فقال له:

«قد قال لی إن الله قد شاء أن يراهن سبايا»)(1).

1- (1) اللهوف فی قتلی الطفوف للسيد ابن طاووس: ص 41؛ المحتضر لحسن بن سليمان الحلی: ص 83؛ البحار: ج 44، ص 364.

ولعل حال ابن الحنفية بعد سماعه هذا الجواب كان أعظم من حيرته فی معرفة خروجهن إلی العراق.

إلا أن ذلک لم يكن بمانعٍ عن التتبع والبحث عن وجود هؤلاء النسوة والأطفال الـذين أخرجهم سـبط رسول الله صـلی الله عليه وله وسـلم إلی العراق وذلک من خلال جملة من الشواهد والقرائن:

ألف: كقوله عليه السـلام لأخيه العباس وولـده علی عليهما السـلام، لما سـمعن خطبته فعلا صوتهن بالبكاء، واللفظ للطبری: (فلما سـمع (أخواته) كلامه هذا صحن وبكين، وبكی (بناته) فارتفعت أصواتهن، فأرسل إليهن أخاه العباس ابن علی وعليا ابنه، وقال لهما:

[وهـذا يـدل علی أنهن كن مجموعـة من بنـات أمير المؤمنين علی بن أبی طالب عليه السـلام كما يـدل علی وجود أكثر من بنت من بنات الإمام الحسين عليه لسلام].

«أسكتاهن فلعمری ليكثر بكاؤهن»(1).

باء: قول العقيلة زينب عليها السلام لما مروا بها علی القتلی، صاحت:

(«يا محمداه، هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتک سبايا...»).

وهذا يدل علی الكثرة سواء كن بنات علی عليه السـلام أو بنات الحسين عليه السلام، فكلهنّ بنات رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وهو المفجوع الأول وصاحب العزاء الأكبر، والمخصوص بهذه المصيبة العظيمة.

1- (1) تاريخ الطبری: ج 4، ص 322؛ مقتل الحسين لأبی مخنف الأزدی: ص 117.

المسألة الأولى: كم أخرج الإمام الحسين من أخواته إلى كربلاء؟

أولاً: عدد أخواته من أبيه اللاتى خرجن معه عليه السلام

اشارة

إن إخراج الإمام الحسين عليه السلام لبعض أخواته كان قطعياً لا يرد إليه الظن، وذلک من خلال النصوص التاريخية الكثيرة التى دوّنت هذا الخروج لحرم الرسالة والنبوة، وهنّ كالآتى:

1 - السيدة أم كلثوم بنت على بن أبى طالب عليه السلام

تناول كثير من النصوص اسم أم كلثوم ابنة أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام فيمن كنّ فى معركة الطف، ولقد أورد لها المؤرخون وأصحاب المقاتل خطبة فى الكوفة؛ قال ابن نما الحلى: (وخطبت أم كلثوم بنت على من وراء كلة وقد غلب عليها البكاء...)(1).

ولقد اختلفوا كثيراً فى تحديد هوية أم كلثوم هذه التى كانت فى كربلاء، وذلک يعود إلى تسمّى أو تكنّى أربع من بنات أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الاسم، فقد قال السيد محسن الأمين: (أم كلثوم زوجة مسلم بن عقيل(2) ، لعلها الوسطى، وأم كلثوم الصغرى، وأم كلثوم الكبرى زوجة عمر بن الخطاب التى تزوجها بعده عون بن جعفر ثم أخوه محمد، ثم أخوهما عبد الله بن جعفر.

وهناک زينب الصغرى المكناة أم كلثوم المنسوب إليها القبر الذى فى قرية رواية شرقى دمشق فيمكن أن تكون هى زينب الصغرى، وتكون هى وأم كلثوم الصغرى واحدة، ويكون المكنيات بأم كلثوم ثلاثا، ويمكن أن تكون غيرها، فيمكن أربعا، فيكون لنا زينب الكبرى، وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم، وأم كلثوم الكبرى، وأم كلثوم

1- (1) مثير الأحزان لابن نما: ص 68؛ البحار: ج 45، ص 112.

2- (2) عمدة الطالب لابن عنبة: ص 32.

الصغرى، والأخيرة اسمها كنيتها أم كلثوم زوجة مسلم بن عقيل والله أعلم.

ثم أن أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام التى كانت مع أخيها الحسين عليه السلام بكربلاء، لا يُدرى أيهن هى فيمكن أن تكون هى زوجة مسلم بن عقيل فتكون قد خرجت مع أخيها الحسين عليه السلام، كما خرجت معه أختها زينب، وزوجها عبد الله بن جعفر حى بالمدينة، فخرجت معه هى وولداها عون وجعفر، وهذه كان قد خرج زوجها مسلم إلى الكوفة وخرج أولاده مع الحسين، ويمكن أن يكون فيهم من هو من أولادها فهى أحق بالخروج مع أخيها الحسين من كل امرأة، ويمكن أن تكون هى الصغرى ويمكن على بعد أن تكون الكبرى جاءت مع أخيها مع وجود زوجها)(1).

فيما أشار البرى إلى أن أم كلثوم التى كانت مع أخيها هى ليست من أمه فاطمة عليها السلام(2).

أقول:

فنحن نأخذ من هذه الأقوال التى ذكرها المؤرخون قولاً واحداً وعدّ هذه الشخصية شخصية واحدة دفعاً للإشكال فى إثبات أيتهن كانت فى كربلاء بشكل قطعى، ولعلهن كن جميعاً فبذلك تكون بنات أمير المؤمنين عليه السلام اللاتى

1- (1) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج 3، ص 484.

2- (2) الجوهرة فى نسب الإمام على وآله للبرى: ص 45.

خرجن مع أخيهن الإمام الحسين عليه السلام واللاتى تسمين أو تكنين ب - (أم كلثوم) أربعاً، ولكن كما أسلفنا ودفعاً للاعتراض احتملنا أنها شخصية واحدة.

2 - فاطمة بنت على بن أبى طالب عليهما السلام

يعد أمر وجودها فى ركب الإمام الحسين عليه السلم أمراً قطعياً، وذلک لما نصت عليه كتب التاريخ والحديث.

أما كتب التاريخ فقد ذكرت ما جرى بينها وبين الرجل الشامى حينما أمر الطاغية يزيد (لعنه الله) بإدخالهم إلى قصره؛ فقد روى الطبرى عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت على عليهما السلام قالت:

(لما أجلسنا بين يدى يزيد بن معاوية رق لنا وأمر لنا بشىء وألطفنا(1).

قالت: ثم إن رجلا- من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين هب لى هذه يعنينى وكنت جارية وضيئة فأرعدت وفرقت وظننت أن ذلک جائز لهم وأخذت بثياب أختى زينب. قالت: وكانت أختى زينب أكبر منى وأعقل وكانت تعلم أن ذلک لا يكون. فقالت:

«كذبت والله ولؤمت ما ذلک لک وله».

فغضب يزيد فقال: كذبت والله إن ذلک لى ولو شئت أن أفعله لفعلت، قالت:

1- (1) لا شک ان هذه الرقة التى أظهرها الطاغية كان الهدف منها امتصاص غضب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ هذا من جانب ومن جانب آخر يريد الطاغية أن يظهر لمن حضر مجلسه من أعيان دمشق ورجال المملكة ان النساء والأطفال لا جناح عليهم الا ان هذا المكر افتضحه الله تعالى حينما نطق هذا الرجل الشامى مطالباً يزيد باتخاذ احدى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جارية مملوكة له حالها حال من يقوم المسلمون بسبيها؛ بل ان الحالة التى كانت عليها بنات الرسالة تنطق بانهن سبايا، ولذا طلبها الرجل الشامى.

«كلا والله ما جعل الله ذلک لک إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا».

قالت: فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياى تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوک وأخوک، فقالت زينب:

«بدين الله ودين أبى ودين أخى وجدى اهتديت أنت وأبوک وجدک».

قال: كذبت يا عدوة الله قالت:

«أنت أمير مسلط تشتم ظالما وتقهر بسلطانک».

قالت: فو الله لكأنه استحيا فسكت)(1).

فضلاً عن كونها متزوجة من أبى سعيد بن عقيل(2) فولدت له: حميدة.

وقد روت عن أبيها فقال: قال أبى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من أعتق نسمة مسلمة أو مؤمنة وقى الله بكل عضو منها عضواً منه من النار»(3).

ولقد أمد الله فى عمرها فقال ابن حجر: توفيت سنة مائة وسبع عشر وقد تجاوزت الثمانين(4).

وروى عنها الإمام الباقر عليه السلام فقال:

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 4، ص 353؛ الأمالى للصدوق: ص 231.

2- (2) البحار للمجلسى: ج 42، ص 94؛ المجدى فى أنساب الطالبيين للعلوى: ص 18؛ تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 12، ص 393؛ تهذيب الكمال للمزى: ج 35، ص 261؛ الطبقات لابن سعد: ج 8، ص 466.

3- (3) الطبقات لابن سعد: ج 8، ص 466.

4- (4) تقريب التهذيب لابن حجر: ج 2، ص 654.

«إن فاطمة بنت على بن أبى طالب لما نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها على ابن الحسين بنفسه من الدأب بالعبادة أتت جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصارى، فقالت له:

يا صاحب رسول الله، إن لنا عليكم حقوقا، ومن حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلک نفسه اجتهادا أن تذكروه الله وتدعوه إلى البقيا على نفسه، وهذا على بن الحسين بقية أبيه الحسين، قد انخرم أنفه، وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه دأبا منه لنفسه فى العبادة».

فأتى جابر بن عبد الله باب على بن الحسين عليهما السلام، وبالباب أبو جعفر محمد بن على عليهما السلام فى أغيلمة من بنى هاشم قد اجتمعوا هناک، فنظر جابر إليه مقبلا، فقال: هذه مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسجيته، فمن أنت يا غلام؟ قال: فقال:

«أنا محمد بن على بن الحسين».

فبكى جابر بن عبد الله رضى الله عنه، ثم قال: أنت والله الباقر عن العلم حقا، أدن منى بأبى أنت وأمى، فدنا منه فحل جابر أزراره ووضع يده فى صدره فقبله، وجعل عليه خده ووجهه، وقال له: أقرئک عن جدک رسول الله صلى الله عليه وآله السلام، وقد أمرنى أن أفعل بک ما فعلت، وقال لى:

«يوشک أن تعيش وتبقى حتى تلقى من ولدى من اسمه محمد يبقر العلم بقرا».

وقال لى:

«إنک تبقى حتى تعمى ثم يكشف لک عن بصرک».

ثم قال لى: ائذن لى على أبيک، فدخل أبو جعفر على أبيه فأخبره الخبر،

وقال:

«إن شيخا بالباب، وقد فعل بى كيت وكيت».

فقال عليه السلام:

«يا بنى ذلک جابر بن عبد الله».

ثم قال: أمن بين ولدان أهلک قال لک ما قال وفعل بک ما فعل؟ قال: نعم إنا لله، إنه لم يقصدک فيه بسوء، ولقد أشاط بدمک.

ثم أذن لجابر، فدخل عليه فوجده فى محرابه، قد أنضته العبادة، فنهض على عليه السلام فسأله عن حاله سؤالا حفيا، ثم أجلسه بجنبه، فأقبل جابر عليه يقول: يا بن رسول الله، أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذى كلفته نفسک؟ قال له على ابن الحسين عليهما السلام:

«يا صاحب رسول الله، أما علمت أن جدى رسول الله صلى الله عليه وآله، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهاد له، وتعبد - بأبى هو وأمى - حتى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر لک ما تقدم من ذنبک وما تأخر! قال: أفلا أكون عبدا شكورا».

فلما نظر جابر إلى على بن الحسين عليهما السلام وليس يغنى فيه من قول يستميله من الجهد والتعب إلى القصد، قال له: يا بن رسول الله، البقيا على نفسک، فإنک لمن أسرة بهم يستدفع البلاء، وتستكشف اللاواء، وبهم تستمطر السماء.

فقال:

«يا جابر، لا أزال على منهاج أبوى مؤتسيا بهما صلوات الله عليهما حتى ألقاهما؟».

فأقبل جابر على من حضر فقال لهم: والله ما أرى فى أولاد الأنبياء مثل على بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب عليهما السلام، والله لذرية على بن الحسين عليهما السلام أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب، إن منهم لمن يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا)(1).

3 - السيدة رقية بنت على بن أبى طالب عليه السلام

ذكر ابن حبيب البغدادى (المتوفى سنة 245 ه -) وأبو الفرج الأصفهانى اسمها فى ترجمته لعبد الله بن مسلم بن عقيل(2) ، وهو خلاف المشهور فى كونها زوجة لمسلم بن عقيل، ولعلها كانت مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام، فاشتبه على الرواة بينها وبين أختها زينب الصغرى.

ولعل هناك غيرهن فى ركب الإمام الحسين عليه السلام إذ عدم ذكر أسماء بعضهن لا يعنى عدم وجودهن.

4 - خديجة بنت على بن أبى طالب عليه السلام

ومما يدل على وجودها فى كربلاء وإنها خرجت مع أخيها الحسين عليه السلام هو أنها كانت متزوجة من عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب(3) ، الذى

1- (1) الأمالى للطوسى: ص 636-637.

2- (2) كتاب المحبر لابن حبيب: ص 56؛ مقاتل الطالبيين: ص 63؛ شرح الأخبار للقاضى المغربى: ج 3، ص 195؛ البحار للمجلسى: ج 42، ص 93.

3- (3) المحبر لابن حبيب البغدادى: ص 56؛ أنساب الأشراف للبلاذرى: ص 194.

خرج مع سيد الشهداء وكان ممن استشهدوا يوم عاشوراء قتله عمر بن خالد بن أسد الجهنى (لعنه الله)(1).

5 - رقية الصغرى بنت على أمير المؤمنين عليه السلام

ذكر ابن حبيب البغدادى أنها كانت متزوجة من محمد بن عقيل بن أبى طالب(2).

ومما يدل على إخراجها إلى كربلاء استشهاد ولدها جعفر بن محمد بن عقيل فى حمل آل أبى طالب يوم عاشوراء(3).

6 - أم هانئ بنت على بن أبى طالب عليه السلام

ذكر ابن حبيب أنها كانت عند عبد الله بن عقيل بن أبى طالب(4) ، ولقد ذكر ابن شهر آشوب أنه كان ممن استشهدوا يوم الطف مع الإمام الحسين عليه السلام(5) ، وهذا يدل على وجودها مع زوجها وأخيها فى كربلاء.

7 - أم الحسن بنت على بن أبى طالب عليه السلام

ذكر البلاذرى وابن حبيب وغيرهما أنها كانت عند جعدة بن هبيرة

1- (1) مقاتل الطالبيين للأصفهانى: ص 61؛ إبصار العين للسماوى: ص 92؛ أنصار الحسين لشمس الدين: ص 151؛ الإرشاد للمفيد: ج 2، ص 107.

2- (2) المحبر لابن حبيب: ص 56.

3- (3) المناقب لابن شهر: ج 3، ص 259؛ مقاتل الطالبيين: ص 62؛ مقتل الخوارزمى: ج 2، ص 47؛ مستدركات علم رجال الحديث: ج 2، ص 208.

4- (4) المحبر: ص 56.

5- (5) المناقب لابن شهر: ج 3، ص 259؛ أنصار الحسين لشمس الدين: ص 134.

المخزومی، ثم تزوجها جعفر بن عقیل بن أبی طالب علیهما السلام(1) ، الذی استشهد یوم الطف، مما یدل علی وجودها معه(2).

8 - رملة بنت علی بن أبی طالب علیه السلام

ذکر ابن حبیب البغدادی(3) ، وعلی بن محمد العلوی وغیرهما: أنها کانت متزوجة من عبد الله بن أبی سفیان بن الحارث بن عبد المطلب.

وذکر الشیخ المفید والشاهرودی أن عبد الله بن أبی سفیان کان من شهداء الطف(4) ، مما یرجح وجودها فی کربلاء ومشارکتها أخواتها تلک المصائب والرزایا التی حلت ببنات الرسالة.

وقد اشتهر عبد الله بن أبی سفیان بأشعاره الولائیة لعترة النبی صلی الله علیه وآله وسلم ونصرة أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام فضلاً عن حضوره فی معارک أمیر المؤمنین وجهاده بین یدیه علیه السلام.

وهو القائل:

وکان ولی الأمر بعد محمد علی وفی کل المواطن صاحبه

وصی رسول الله حقا وجاره وأول من صلی ومن لان جانبه(5)

وغیر خفی علی المتتبع ما لعبد الله بن أبی سفیان بن الحارث بن عبد المطلب

1- (1) أنساب الأشراف: ص 193؛ المحبر: ص 56.

2- (2) تاریخ الطبری: ج 4، ص 341؛ معجم رجال الحدیث للسید الخوئی: ج 5، ص 50.

3- (3) المحبر: ص 56؛ المناقب لابن شهر: ج 3، ص 90؛ المجدی فی أنساب الطالبیین: ص 18.

4- (4) الدرجات الرفیعة: ص 189؛ مستدرکات علم رجال الحدیث: ج 4، ص 470.

5- (5) الفصول المختارة للشریف المرتضی: ص 269.

من مواقف يزأر فيها بالحق ويعلن فيها عن حقيقة جهاده وتصديه للظالمين حتى ختم هذه السيرة الجهادية بالشهادة فى ساحة الطف يوم عاشوراء لنصرة سيد الشهداء عليه السلام.

حتى باتت تلك المواقف شواهد للأحرار والثائرين على الطغاة ومنهلاً للباحثين عن حقيقة تلك الرموز.

ومنها ما أخرجه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه فقال:

(بلغ عبد الله بن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أن عمرو بن العاص يعيب بنى هاشم ويقع فيهم وينتقصهم وكان يكنى أبا الهياج فغضب لذلک وزور كلاما يلقى به عمرا ثم قدم على معاوية ليس أكثر سفره إلا ليشتم عمرو بن العاص فدخل على معاوية مرارا لم يتفق له ما يريد ثم دخل عليه يوما وعنده عمرو فجاء الإذن فقال: هذا عبد الله بن جعفر قد قدم وهو بالباب، قال ائذن له فقال عمرو: يا أمير المؤمنين لقد أذنت لرجل كثير الخلوات للتمنى والطربات للتغنى صدوف عن السنان محب للقيان كثير مزاحه شديد طماحه ظاهر الطيش ليس العيش أخاذ للسلف صفاق للشرف فقال عبد الله بن أبى سفيان كذبت يا عمرو وأنت أهله ليس هو كما وصفت ولكنه لله ذكور ولبلائه شكور وعن الخنا زجور سيد كريم ماجد صميم جواد حليم إن ابتدأ أصاب وإن سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا فاحش غياب كذلک قضى الله فى الكتاب فهو كالليث الضرغام الجرىء المقدام فى الحسب القمقام ليس بدعى ولا دنى كمن اختصم فيه من قريش شرارها فعلت عليه حرارها فأصبح ينوء بالذليل ويأوى فيها إلى القليل

مذبذب بين حيين كالساقط بين المهدين لا المعترى إليهم قبلوه ولا الظاعن عنهم فقدوه فليت شعرى بأى حسب بنازل للنصال أم بأى قديم يعرض للرجال أبنفسک فأنت الجبان الوغد الزنيم أم بمن تنتمى إليه فأهل السفه والطيش والدناءة فى قريش لا يشرف فى الجاهلية شهر ولا تقديم فى الإسلام ذكر غير أنک تنطق بغير لسانک وتنهض بغير أركانک وأيم الله إن كان لأسهل للوعث وألم للشعث أن يكمعک معاوية عن ولوغک بأعراض قريش كعام الضبع فى وجارها فإنک لست لها بكفى ولا لأعراضها بوفى.

قال فتهيأ عمرو للجواب فقال له معاوية نشدتک الله أبا عبد الله أما كففت فقال عمرو يا أمير المؤمنين دعنى أنتصر فإنه لم يدع شيئا فقال معاوية أما فى مجلسک هذا فدع الانتصار وعليک بالاصطبار)(1).

9 - زينب الصغرى بنت على بن أبى طالب عليه السلام

أمها أم ولد وقد ذهب كثير من المؤرخين والنسابة إلى أنها كانت متزوجة من محمد بن عقيل بن أبى طالب(2) ، مما يشير إلى أن رقية الصغرى التى مرّ ذكرها قد تكون هى نفسها زينب الصغرى إلا أن البلاط الأموى غير غافل عن تلک الشخصية ومن ثم فاحتمال كونهما شخصيتين احتمال قوى.

وقد ولدت السيدة زينب الصغرى لمحمد بن عقيل من الأبناء: عبد الله، والقاسم، وجعفر، وحميدة، ولقد مضى عبد الله وأخوه جعفر شهداء فى يوم

1- (1) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 29، ص 74-75؛ الغدير للعلامة الأمينى: ج 2، ص 125.

2- (2) عمدة الطالب لابن عنبة: ص 32؛ مستدركات علم رجال الحديث: ج 5، ص 254؛ تاريخ دمشق: ج 32، ص 357؛ تهذيب الكمال: ج 16؛ ص 78.

عاشوراء، مما يدل على وجودها مع ولديها(1).

فهؤلاء تسع من بنات على أمير المؤمنين عليه السلام قد خرجن مع أخيهن الإمام الحسين عليه السلام، فمنهن من قدمت زوجها شهيداً فى الطف، ومنهن من قدمت أبناً أو أبنين فضلاً عن افتجاعها بأخيها الإمام الحسين وبقية أخوانها.

وعليه:

فإن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام قد فجع فى يوم الطف بما لم يفجع به وصى من الأوصياء فضلاً عن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أجمعين أنفسهم فليس فيهم من قد أصيب بكل هذا العدد من الأبناء والأحفاد وهتك الحرمات فى القتل والسلب والنهب والحرق والضرب والسوق وتسفير النسوة باديات الوجوه مكشوفات الرؤوس وكأنهن من الترك والعجم أو أهل الذمة – فإنا لله وإنا إليه راجعون –.

ثانيا: عدد شقيقاته اللاتى خرجن معه إلى كربلاء

أجمع المؤرخون والمحدثون الذين تناولوا فاجعة كربلاء واستشهاد ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن عقيلة بنى هاشم السيدة زينب الكبرى بنت فاطمة وعلى أمير المؤمنين عليهما السلام كانت فيمن أخرجهن الإمام الحسين عليه السلام من أخواته إلى كربلاء، بل إن وجودها كان كوجود أخيها فى رتبة واحدة فمن شك فى ذلك الخروج شك فى خروجه عليه السلام واستشهاده.

1- (1) مستدركات علم رجال الحديث: ج 5، ص 254.

ثالثا: العلة فی اختصاص العقیلة زینب علیها السلام بهذه المصائب دون غیرها من بنات علی أمیر المؤمنین علیه السلام

لعل القارئ والمتتبع لهـذا البحث یرد علی ذهنه سؤال مفاده: ما هی العلـة فی اختصاص العقیلة زینب علیها السـلام بهذه المصائب حتی کادت أن تکون هی الوحیدة التی أصـیبت من بین أخواتها العشـر، أو لعل القارئ لواقعة الطف وسـیرة سـید الشهداء علیه السلام یرتکز فی ذهنه بأن العقیلة زینب علیها السلام هی الوحیدة التی أخرجها الإمام الحسین علیه السلام معه إلی کربلاء.

فما هی العلة التی جعلت هذا المعنی یرتکز فی ذهن القارئ لفاجعة الطف؟

وأقول: إن ذلک یعود لجملة من الأسباب:

1 - إن العقیلـة زینب الکبری هی أکبر أخواتها سـناً فقـد ولـدت فی السـنة السادسـة للهجرة النبویـة فی المدینة النبویة(1) ، ومـن ثم فهی أکبرهنّ جمیعاً.

2 - إنّ الإمام الحسین علیه السلام قد أوکل إلیها أمر العیال وحفظهم وهذه واحدة من خصائصها علیها السلام.

3 - إنها برتبة من الفهم والعلم ما جعلها المؤهلة لتحمل تلک الخطوب العظیمة والرزایا الجسیمة التی تندک من حملها الجبال.

ولقد نص علی ذلک قول حجة الله تعالی الإمام زین العابدین علیه السلام لها:

«أنت بحمده عالمة غیر معلمة وفهمة غیر مفهمة».

1- (1) مستدرک سفینة البحار: ج 4، ص 316.

4 – إنها الوحيدة من بين بنات أمير المؤمنين عليه السلام كانت أمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومما يدل عليه:

ألف: إن أختها أم كلثوم التى أشارت المصادر إلى وجودها فى كربلاء وتناولت خطبتها فى الكوفة لم يقطع المؤرخون أو النسابة أو غيرهم من الباحثين نسبة انتسابها لفاطمة عليها السلام.

نعم هناک من الروايات ما تدل على وجود هذه الشخصية، أى: أم كلثوم بنت على عليه السلام لكن لم يجزم أحد بأنها ابنة فاطمة عليها الصلاة والسلام.

باء: ذهاب كثير من المحدثين والباحثين إلى أن أم كلثوم بنت فاطمة صلوات الله عليها قد توفيت فى المدينة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وقد شيعها الحسن والحسين عليهما السلام مما يرجح عدم وجودها فى الطف وأن أم كلثوم التى خرجت إلى كربلاء هى إحدى بنات على عليه السلام وأمها أم ولد – كما سيمر بيانه –.

بمعنى: إن المقصودة فى هذه الحرب هى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن لم يكن مع السلف فى الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، فهو اليوم يهجم على ابنتها، ومن فاته سلب فاطمة فى المدينة فقد سلب ابنتها فى كربلاء.

ولذلک: نجدها – بأبى وأمى – لما قام عبيد الله بن زياد بإدخال عيال الحسين عليه السلام إلى قصر الإمارة فى الكوفة (دخلت زينب العقيلة فى جملتهم متنكرة وعليها أرذل ثيابها، فمضت حتى دخلت ناحية من القصر، وحفت بها إماؤها،

فقال ابن زياد:

من هذه التى انحازت ناحية ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد ثانية وثالثة يسأل عنها، فقال له بعض إمائها:

هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فأقبل عليها ابن زياد وقال لها: الحمد لله الذى فضحكم، وقتلكم، وأكذب أحدوثتكم فقالت: زينب عليها السلام:

«الحمد الذى أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وطهرنا من الرجس تطهيرا، وإنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله»)(1).

إذن:

لكونها ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوحيدة فى كربلاء كما صرح بذلك إماؤها توجه إليها عدو الله ورسوله بهذا الكلام، ولكونها ابنة رسول الله توجه يزيد إلى ضرب شفتى ريحانة رسول الله بالقضيب كى يحرق قلبها، وقلب أمها فاطمة، وقلب جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقلب أبيها على أمير المؤمنين.

بقى أن أقول:

إن التفاف النساء والأطفال حولها، واهتمام سيد الشهداء بها، وحرصه الشديد عليها، وتفانى العباس وأخوته فى صونها، وتسابق الأنصار للذود عنها، إنما لكونها ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنها البقية

1- (1) الإرشاد للشيخ المفيد: ج 2، ص 116.

الباقية من فاطمة فهى الوحيدة التى كان وجودها هو وجود قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروحه التى بين جنبيه ومَنْ مِنَ المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحرص على إحراز رضا فاطمة واجتناب غضبها، فسلام على زينب العقيلة يوم ولدت ويوم رزيت وفجعت وسبيت، ويوم ماتت ويوم تبعث حية لتشكو إلى ربها وجدّها ما نزل بها.

فلتلك الخصوصية وغيرها ارتكز فى ذهن كل متتبع لمأساة كربلاء أنّ العقيلة زينب عليها السلام، كأنها هى الوحيدة التى كانت من بنات أمير المؤمنين عليه السلام فى يوم عاشوراء.

المسألة الثانية: أزواج الإمام الحسين عليه السلام وبناته اللاتى خرجْنَ معه إلى العراق

اشارة

بعد أن تبين من خلال المسألة الأولى أن عدد بنات أمير المؤمنين عليه السلام اللاتى خرجن مع أخيهن الإمام الحسين عليه السلام كُنَّ عشر أخوات، فلنأتِ الآن إلى معرفة أزواج الإمام الحسين وبناته وأولاده الذين خرجوا معه إلى كربلاء.

أولا: عدد أزواجه عليه السلام، ومن خرجت منهنّ معه عليه السلام

1 - ليلى بنت أبى مرة

وهى ليلى بنت أبى مرة بن عروة بن مسعود الثقفى، وأمها ميمونة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية، وتكنى (أم شيبة)(1).

1- (1) مقاتل الطالبيين للأصفهانى: ص 52.

وقد ولدت للإمام الحسين عليه السلام ولده علياً الأكبر الشهيد فى كربلاء عليه السلام(1).

وقد اختلف المؤرخون فيما بينه وبين الإمام على زين العابدين عليه السلام أيهما الأكبر، فذهب قوم إلى أنه أصغر من أخيه الإمام زين العابدين عليه السلام(2)، الذى منعه المرض من الجهاد بين يدى أبيه يوم عاشوراء وكان معه أيضا ولده الإمام محمد الباقر وكان له من العمر سنتان(3).

فى حين ذهب أبناء العامة: إلى أن المقتول فى كربلاء هو أكبر ولد الإمام الحسين عليه السلام وإن علياً زين العابدين أصغر منه(4).

ألف: اختلاف النصوص فى أيهما كان بكر الإمام الحسين عليه السلام

إن الاختلاف بين المؤرخين فى تحديد أى العليين أكبر يعود إلى اختلاف النصوص الواردة فى ذلك، فقد ورد عن الإمام زين العابدين ما يشير إلى أنه كان أصغر من أخيه الشهيد فى كربلاء حينما (سأله عبيد الله بن زياد (لعنه الله): ما اسمك؟ قال:

«على بن الحسين».

1- (1) مقاتل الطالبيين للأصفهانى: ص 52.

2- (2) دلائل الإمامة للطبرى (الشيعى): ص 181؛ المناقب لابن شهر: ج 3، ص 309؛ الاستغاثة للكوفى: ج 1، ص 7، ترجمة المؤلف.

3- (3) شرح الأخبار للقاضى المغربى: ج 3، ص 153.

4- (4) الإصابة لابن حجر: ج 3، ص 412؛ البداية والنهاية: ج 9، ص 103؛ الأخبار الطوال للدينورى: ص 254؛ لوائح الأنوار للشعرانى: ج 1، ص 23؛ المعارف لابن قتيبة: ص 93؛ الكامل لابن الأثير: ج 4، ص 30؛ الروض الأنف للسهيلى: ج 2، ص 326؛ تاريخ الطبرى: ج 6، ص 260.

قال: ألم يقتل الله علياً؟ قال:

«كان لى أخ يقال له على، أكبر منى قتله الناس»)(1).

فى حين أخرج الشيخ الطوسى فى غيبته عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال:

«لما توجه الحسين عليه السلام إلى العراق دفع إلى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم الوصية والكتب وغير ذلک، وقال لها: إذا أتاک أكبر ولدى فادفعى إليه ما قد دفعت إليک، فلما قتل الحسين عليه السلام أتى على بن الحسين عليه السلام أم سلمة فدفعت إليه كل شىء أعطاها الحسين عليه السلام».(2)

وهذه الرواية تنفى أن يكون على الأكبر الشهيد فى كربلاء أكبر من الإمام زين العابدين عليه السلام.

وعليه: يبقى الخلاف قائماً بين الباحثين فى إثبات أيهما الأكبر على الرغم من أن ذلک لا يقدم فى شأنية كل منهما سوى كون أحدهما بكر سيد الشهداء عليه السلام.

باء: الإختلاف فى وجود ليلى بنت مرة فى كربلاء

لقد ذهب بعض المتأخرين كالمحدث الشيخ عباس القمى (طيب الله ثراه) إلى خلاف ما عليه السيرة الحسينية فى مختلف البلاد الإسلامية التى تقام فيها ذكرى عاشوراء والتى تتناول وجود أم على الأكبر عليه السلام فى كربلاء ودعاءها لولدها حينما خرج إليه بكر بن غانم ليقاتله فدخلت حينها ودعت له فرد الله لها

1- (1) التمهيد لابن عبد البر: ج 9، ص 156؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 5، ص 212؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 41، ص 367؛ المنتخب من ذيل المذيل للطبرى: ص 119؛ شرح إحقاق الحق للمرعشى: ج 28، ص 190.
2- (2) إكسير العبادات للدربندى: ج 2، ص 641.

علياً الأكبر فى هذه الجولة من القتال(1).

ولقد بيّن الشيخ عباس القمى السبب فى هذا الرأى فقال: (لم أظفر بشىء يدل على مجىء ليلى إلى كربلاء)(2).

أقول: إن عدم الظفر بشىء يدل على وجودها فى كربلاء لا يدفع بالباحث إلى القطع بعدم وجودها أصلاً بل لا يرقى ذلك حتى إلى الاحتمال مع وجود مجموعة من القرائن التى تدل على وجودها.

1 - إن إهمال التاريخ لذكرها فى كربلاء لا يعنى عدم وجودها، فقد أهمل التاريخ جوانب مهمة من حياة سيد المرسلين بلغت ثلاث عشرة سنة وهى من سنة مبعثه إلى هجرته، فقد اختصر لنا الرواة هذه السنين بصفحات لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، التى ملأوها بسيرة بعض المسلمين وكيف أسلموا وتغافلوا عن جهاد رسول الله وبنى هاشم ومن آمن بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم من العبيد والمستضعفين وجهاد أم المؤمنين خديجة عليها السلام فى شعب أبى طالب وغيره، فى حين نجد المؤرخين قد أجادوا فى ذكر مجالس قريش وأنديتها ومآثر رجالاتها فضلاً عن شغفهم بأشعارها.

2 - ليس التاريخ - وعلى فرضية أنه منصف - بتلك الدقة بحيث يسجل كل شاردة وواردة فى حياة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى المقابل كان على رأس الحكم معاوية بن أبى سفيان وإعلامه المعادى وحصاره المضروب على أبناء على عليه السلام.

1- (1) إكسير العبادات للدربندى: ج 2، ص 641.

2- (2) نفس المهموم للشيخ عباس القمى: ص 167؛ إكسير العبادات للدربندى: ج 2، ص 641، (الهامش).

3 – لا يوجـد مانع من إخراجها إلى العراق وكما يقال: إرتفاع المانع ووجود المقتضـى، أى: إن مقتضـيات خروجها متحققة وليس الموانع، فمن هذه المقتضيات:

ألف: خروج زوجها والمرأة تتبع زوجها فى انتقاله لاسيما قد أخرج غيرها من أزواجه كالرباب.

باء: خروج ولدها على الأكبر مما يزيد فى تعلقها فى الخروج، فلا زوجها بقى ولا ولدها، ومن ثم: لا يطيب لها مقام بغيرهما.

جيم: كونها متزوجة من إمام مفترض الطاعة تسقط ولايتها على نفسها فضلاً عن الولاية الزوجية.

4 – قد أخرج الإمام الحسـين عليه السلام من هى أعظم حرمة وأكبر شأنا وهى العقيلة زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا: لا يوجد مانع من خروجها بل المانع فى بقائها مع هذه المقتضيات فى الخروج.

2 – الرباب بنت امرئ القيس بن عدى من أهل الشام

روى ابن حجر إنّ امرئ القيس بن عـدى كان رجلاً نصـرانياً قـدم المدينـة فى خلافـة عمر بن الخطاب فلما دخل عليه (حياه بتحية الخلافة، فقال من أنت؟

قال: امرئ نصرانى وأنا امرؤ القيس بن عدى الكلبى، فلم يعرفه عمر.

فقال له رجل: هذا صاحب بكر بن وائل الذى أغار عليهم فى الجاهلية، قال: فما تريد؟

قال: أريد الإسلام، فعرضه عليه فقبله، ودعا له برمح فعقد له على من أسلم من قضاعة، فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه.

قال عوف ما رأيت رجلاً لم يصلِّ صلاة أمر على جماعة من المسلمين قبله، قال: ونهض على وإبناه حتى أدركه فقال له:

«أنا على بن أبى طالب ابن عم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهذان ابناى من ابنته، وقد رغبنا فى صهرك فأنكحنا».

قال: قد أنكحتك يا على الحياة ابنة امرئ القيس؛ وأنكحتك يا حسن سلمى بنت امرئ القيس، وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ القيس)(1).

وقد ولدت الرباب للإمام الحسين عليه السلام سكينة، وعبد الله الرضيع، الذى استشهد فى يوم الطف(2) ، وكان اسم سكينة أميمة(3) ، وسكينة لقب؛ وفى الرباب وسكينة يقول الإمام الحسين عليه السلام:

لعمرك إننى لأحب داراً تحل بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالى وليس لعاتب عندى عتاب(4)

ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً حياتى أو يغيبنى التراب(5)

1- (1) الإصابة لابن حجر: ج 1، ص 355، برقم (487)؛ الغارات للثقفى: ج 2، ص 817؛ تاريخ مدينة دمشق: ج 69، ص 120.

2- (2) المنتخب من ذيل المذيل للطبرى: ص 225؛ مستدركات علم رجال الحديث: ج 8، ص 574؛ قاموس الرجال للتسترى: ج 12، ص 255.

3- (3) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 69، ص 120.

4- (4) الإصابة لابن جر: ج 1، ص 355؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 69، ص 120.

5- (5) المنتخب من ذيل المذيل للطبرى: ص 25.

ولقد عُرفت الرباب بنت امرئ القيس بوفائها للإمام الحسين عليه السلام وعظم صبرها على فقده وفقد ولدها الرضيع الذى ذبح من الوريد إلى الوريد؛ حتى سجل موقفها وصبرها أعظم الصور الإنسانية التى لم تزل تلهم الشعراء والكتاب والأحرار دروساً فى التضحية والثبات من أجل المبدأ.

وقد روى التاريخ عن حالها بعد رجوعها إلى المدينة من مأساة الطف، إنها لم تستظل بظل بل بعثت خلف البنّاء وطلبت منه أن يقلع سقف الدار وجلست لا تستظل بظل، لا فى صيف أو شتاء حتى ماتت بعد سنة من استشهاد حجة الله الإمام الحسين عليه السلام(1).

ولقد حاول كثير من الرجال خطبتها فقابلتهم بالرفض فلما ألحوا عليها قالت:

(ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)(2).

وكانت ترثى الحسين عليه السلام فتقول:

إن الذى كان نورا يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون

سبط النبى جزاك الله صالحة عنا وجنبت خسران الموازين

قد كنت لى جبلا صعبا ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائلين ومن يغنى ويأوى إليه كل مسكين(3)

1- (1) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 69، ص 397؛ الكامل فى التاريخ: ج 4، ص 88؛ الأعلام للزركلى: ج 3، ص 14.

2- (2) كتاب المحبر لابن حبيب البغدادى: ص 397؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 69، ص 120؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج 4، ص 88.

3- (3) الوافى للوفيات للصفدى: ج 14، ص 53.

والله لا أبتغى صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرحل والطين(1)

وهذا كله يدل بشكل قطعى على وجودها فى كربلاء يوم عاشوراء فتكون بذلك ثانى زوجة لسيد الشهداء عليه السلام فيمن أخرجهن معه إلى العراق.

3 - أم إسحاق بنت طلحة

كانت أم إسحاق قبل أن يتزوجها الإمام الحسين عند أخيه الإمام الحسن عليه السلام فلما حضرته الوفاة أوصى أخاه الإمام الحسين أن يتزوجها، وقد ولدت له فاطمة وعبد الله(2).

إذن:

يكون عدد أزواجه ثلاثاً وهن: ليلى الثقفية، والرباب بنت امرئ القيس، وأم إسحاق.

أما شاه زنان فهى أم الإمام زين العابدين عليه السلام وهى فارسية وتكون بنت شرويه بن كسرى ملك الفرس إلا أنها لم تكن حاضرة فى يوم عاشوراء، وذلك لأنها توفيت فى أثناء ولادتها للإمام زين العابدين عليه السلام.

أما كيف تزوج بها الإمام الحسين عليه السلام فقد قيل: إن حريث بن جابر الحنفى حينما ولاه الإمام على عليه السلام خراسان بعث إليه ببنتى يزدجر، فنحل ابنه الحسين عليه السلام شاه زنان فأولدها زين العابدين عليه السلام، ونحل الثانية

1- (1) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشى: ج 27، ص 5؛ أعيان الشيعة للأمين: ج 6، ص 449.

2- (2) المنتخب من ذيل المذيل للطبرى: ص 24؛ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ص 17.

محمد بن أبی بکر فولدت له القاسم بن محمد بن أبی بکر فهما إبنا خالة(1).

وقیل: (لما ورد سبی الفرس إلی المدینة أراد عمر بن الخطاب بیع النساء وأن یجعل الرجال عبیدا، فقال له أمیر المؤمنین علیه السلام:

«إن رسول الله صلی الله علیه وآله قال: أکرموا کریم کل قوم».

فقال عمر: قد سمعته یقول: إذا أتاکم کریم قوم فأکرموه وإن خالفکم، فقال له أمیر المؤمنین:

«هؤلاء قوم قد ألقوا إلیکم السلام ورغبوا فی الإسلام ولا بد أن یکون لهم فیهم ذریة وأنا أشهد الله وأشهدکم أنی قد أعتقت نصیبی منهم لوجه الله تعالی».

فقال جمیع بنی هاشم: قد وهبنا حقنا أیضا لک، فقال:

«اللهم اشهد أنی قد أعتقت ما وهبوا لی لوجه الله».

فقال المهاجرون والأنصار: وقد وهبنا حقنا لک یا أخا رسول الله، فقال:

«اللهم اشهد أنهم قد وهبوا لی حقهم وقبلته، وأشهدک أنی قد أعتقتهم لوجهک».

فقال عمر: لم نقضت علی عزمی فی الأعاجم وما الذی رغبک عن رأیی فیهم؟

فأعاد علیه ما قال رسول الله صلی الله علیه وآله فی إکرام الکرماء، فقال عمر: قد وهبت لله ولک یا أبا الحسن ما یخصنی وسائر ما لم یوهب لک، فقال أمیر المؤمنین:

1- (1) الإرشاد للمفید رحمه الله: ج 2، ص 137.

«اللهم اشهد على ما قالوه وعلى عتقى إياهم».

فرغب جماعة من قريش فى أن يستنكحوا النساء فقال أمير المؤمنين:

«هن لا يكرهن على ذلک ولكن يخيرن، ما اخترنه عمل به».

فأشار جماعـة إلى شـهربانويه بنت كسـرى فخيرت وخوطبت من وراء الحجاب والجمع حضور فقيل لها: من تختارين من خطابک؟ وهل أنت ممن تريدين بعلا؟

فسكتت، فقال أمير المؤمنين:

«قد أرادت وبقى الاختيار».

فقال عمر: وما علمک بإرادتها البعل؟ فقال أمير المؤمنين:

«إن رسول الله كـان إذا أتته كريمـة قوم لا ولى لها وقـد خطبت يأمر أن يقال لها: أنت راضـية بالبعل؟ فإن اسـتحيت وسـكتت جعلت أذنها صماتهـا وأمر بتزويجهـا، وإن قالت: لا، لم يكره على ما تختاره، وإن شـهربانويه أريت الخطاب فأومأت بيـدها واختارت الحسـين بن على عليهما السلام».

فأعيـد القول عليها فى التخيير فأشارت بيـدها وقالت: هـذا، إن كنت مخيرة، وجعلت أمير المؤمنين وليها وتكلم حذيفة بالخطبة، فقال أمير المؤمنين:

«ما اسمک؟».

فقالت: شاه زنان بنت كسرى، قال أمير المؤمنين:

«أنت شهربانويه وأختک مروارید بنت كسرى؟».

قالت: آريه)(1).

1- (1) الغارات للثقفى: ج 2، ص 826؛ دلائل الإمامة للطبرى (الشيعى) ص 196.

ثانيا: عدد بناته اللاتى أخرجهن إلى العراق

اشارة

لم تتفق المصادر التاريخيـة على رأى واحـد فى تحديد العدد الذى ينص على بنات الإمام الحسـين عليه السـلام اللاتى أخرجهن معه إلى العراق، ولذا: فنحن نستتبع كل إشارة تشير إلى واحدة منهن وأنها فجعت بأبيها وأخوتها يوم الطف.

1 - السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام

تناول كثير من المصادر التاريخية والحديثية السـيدة سـكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام فبين كونها ممن حضر وبين كونها قد روت عن أبيها وجدها بعض الأحاديث الشريفة.

إلاـ أننا هنا بصـدد وجودها فى كربلاء؛ والـذى يبـدو أن السـبب فى التركيز عليها دون أخواتها هو لعلاقتها المتميزة بأبيها لاسـيما وأنه عليه السلام قد أشار إلى ذلك الحب الأبوى فى شعره الذى خصها وأمها الرباب فيه وقد مرّ سابقا.

فضـلاً عن ذلك: فقد ذكرت المصادر ما دار بينها وبين أبيها الإمام الحسـين عليه السـلام فى الوداع الأخير له صلوات الله وسلامه عليه قبل خروجه للقتال والاستشهاد. فقد روى ابن شهر آشوب والقندوزى:

(ثم ودع النساء وكانت سكينة تصيح فضمها إلى صدره وقال:

سيطول بعدى يا سكينة فاعلمى منک البكاء إذا الحمام دهانى

لا تحرقى قلبى بدمعک حسرة ما دام منى الروح فى جثمانى

وإذا قتلت فأنت أولى بالذى تأتينه يا خيرة النسوان(1)

1- (1) مناقب آل أبى طالب لابن شـهر آشوب: ج 3، ص 257؛ ينابيع المودة للقندوزى: ج 3، ص 80؛ شرح إحقاق الحق: ج 11، ص 634.

2 – فاطمة الكبرى بنت الحسين عليه السلام

فاطمة الكبرى وهى غير فاطمة العليلة التى أودعها الإمام الحسين عند أم سلمة حينما خرج إلى العراق.

إذ أشارت بعض المصادر إلى وجودها فى كربلاء، وهى كالآتى:

1 – روى السيد ابن طاووس فى نزول الإمام الحسين أرض كربلاء، فجلس يصلح سيفه ويقول:

يا دهر أف لک من خليل كم لک بالإشراق والأصيل

من طالب وصاحب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل

وكل حى سالک سبيل ما أقرب الوعد من الرحيل

وإنما الأمر إلى الجليل

قال الراوى: فسمعت زينب بنت فاطمة عليها السلام ذلک، فقالت:

«يا أخى هذا كلام من أيقن بالقتل».

فقال:

«نعم يا أختاه».

فقالت زينب:

«وا ثكلاه ينعى الحسين إلىَّ نفسه».

قال: وبكى النسوة ولطمن الخدود وشققن الجيوب، وجعلت أم كلثوم تنادى: وا محمداه، وا علياه، وا أماه، وا أخاه، واحسيناه، وا ضيعتنا بعدک يا أبا عبد الله.

ص:134

قيل فعزاها الحسين وقال لها:

«يا أختاه تعزى بعزاء الله فإن سكان السماوات يفنون وأهل الأرض كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون».

ثم قال:

«يـا أختـاه يا أم كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا فاطمـة، وأنت يا رباب، أنظرن إذا أنا قتلت فلا تشـققن علىّ جيبا ولا تخمشن علىّ وجها، ولا تقلن هجرا»(1).

وهنا تنص الرواية على ذكرها فيما بين الأسماء التى توجه إليها الإمام عليه السلام بوصيته.

2 - أخرج الصفار عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام قال:

«إن حسـينا عليه السـلام لما حضـره الذى حضـره دعا ابنته الكبرى فاطمة فدفع إليها كتابا ملفوفا ووصـية ظاهرة ووصـية باطنة وكان على بن الحسـين مبطونا لا يرون إلا أنه لما به فدفعت فاطمة الكتاب إلى على بن الحسين ثم صار ذلک إلينا فقلت فما فى ذلک فقال فيه والله جميع ما يحتاج إليه ولد آدم إلى أن تفنى الدنيا»(2).

3 - فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام

أخرج لها الطبرى فى الاحتجاج خطبة فى الكوفة وأوردها باسم (فاطمة الصغرى) ولعلها غير فاطمة بنت الحسين عليه السلام التى تزوجت الحسن المثنى ابن الحسن السبط المجتبى عليه السلام، ولعل فاطمة الصغرى هى نفسها السيدة

1- (1) اللهوف فى قتلى الطفوف: ص 50؛ لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص 103.

2- (2) بصائر الدرجات للصفار: ص 183؛ الإمامة والتبصرة لابن بابويه: ص 64.

رقية وإن رقية هو لقبها من الرقة كما هو حال أختها سكينة فقد ورد أن اسمها أميمة أو أمينة وإن سكينة لقبها(1).

أما خطبتها لأهل الكوفة فقد أخرجها الطبرسی عن زيد بن موسی بن جعفر عن آبائه عليهم السلام، قال: خطبت (فاطمة الصغری عليها السلام) بعد أن ردت من كربلاء فقالت:

الحمد لله عدد الرمل والحصی، وزنة العرش إلی الثری، أحمده وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد: أن لا إله إلا الله، وحده لا شريک له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن أولاده ذبحوا بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، اللهم إنی أعوذ بک أن أفتری عليک الكذب، وأن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علی ابن أبی طالب عليه السلام، المسلوب حقه، المقتول من غير ذنب، كما قتل ولده بالأمس فی بيت من بيوت الله، وبها معشر مسلمة بألسنتهم، تعسا لرؤوسهم!

ما دفعت عنه ضيما فی حياته ولا عند مماته، حتی قبضته إليک محمود النقيبة، طيب الضريبة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فيک لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته يا رب للإسلام صغيرا، وحمدت مناقبه كبيرا، ولم يزل ناصحا لک ولرسولک صلی الله عليه وآله صلواتک عليه وآله حتی قبضته إليک، زاهدا فی الدنيا غير حريص عليها، راغبا فی الآخرة مجاهدا لک فی سبيلک، رضيته فاخترته، وهديته إلی طريق مستقيم.

أما بعد يا أهل الكوفة! يا أهل المكر والغدر والخيلاء، إنا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسنا، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجته فی الأرض

1- (1) مقاتل الطالبيين: ص 59؛ تاريخ ابن عساكر: ج 69، ص 205.

فی بلاـده لعبـاده، أکرمنـا الله بکرامته، وفضـلنا بنبیه صـلی الله علیه وآله علی کثیر من خلقه تفضـیلا، فکـذبتمونا، وکفرتمونـا، ورأیتم قتالنا حلالاـ وأموالنا نهبا، کأنا أولاد الترک أو کابل، کما قتلتم جـدنا بالأمس، وسـیوفکم تقطر من دمائنا أهل البیت لحقـد متقـدم، قرت بـذلک عیونکم، وفرحت به قلوبکم، اجتراءً منکم علی الله، ومکرا مکرتم والله خیر المـاکرین، فلا تـدعونکم أنفسـکم إلی الجـذل بما أصـبتم من دمائنا ونالت أیـدیکم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب الجلیلـة، والرزایا العظیمـة فی کتاب من قبل أن نبرأها إن ذلک علی الله یسـیر لکیلا تأسوا علی ما فاتکم ولا تفرحوا بما آتاکم والله لا یحب کل مختال فخور.

تبا لکم! فانتظروا اللعنـة والعـذاب، فکأن قـد حل بکم، وتواترت من السـماء نقمات فیسـحتکم بما کسـبتم ویذیق بعضـکم بأس بعض، ثم تخلـدون فی العذاب الألیم یوم القیامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله علی الظالمین، ویلکم أتدرون أیة ید طاعنتنا منکم، أو أیة نفس نزعت إلی قتالنـا، أم بأیـة رجل مشـیتم إلینا، تبغون محاربتنا؟ قست قلوبکم، وغلظت أکبادکم، وطبع علی أفئـدتکم، وختم علی سـمعکم وبصـرکم، وسول لکم الشیطان وأملی لکم وجعل علی بصرکم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تبا لکم یا أهل الکوفـة! کم تراث لرسول الله صـلی الله علیه وآله قبلکم، وذحوله لـدیکم، ثم غـدرتم بأخیه علی بن أبی طالب علیه السـلام جدی، وبنیه عترة النبی الطیبین الأخیار.

وافتخر بذلک مفتخر فقال: (نحن قتلنا علیا وبنی علی بسیوف هندیة ورماح، وسبینا نساءهم سبی ترک ونطحناهم فأی نطاح).

فقالت: بفيک أيها القائل الكثكث، ولک الأثلب، افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم، وأذهب عنهم الرجس، فاكظم واقعَ كما أقعى أبوک، وإنما لكل امرئ ما قدمت يداه، حسدتمونا ويلا لكم على ما فضلنا الله.

فما ذنبنا إنْ جاش دهر بحورنا وبحرک ساج لا يوارى الدعامصا

ذلِکَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ1 .

وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ2 .

قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا: حسبک يا بنت الطيبين! فقد أحرقت قلوبنا، وأنضجت نحورنا، وأضرمت أجوافنا.

فسكتت عليها وعلى أبيها وجدها السلام)(1).

ونجد هنا أن زيد بن موسى بن جعفر قد نص على كونها (الصغرى) مما يدل على وجود أخت لها سميت ب - (فاطمة الكبرى) تفريقا بينهما كما هو حال عمتها زينب فلوجود غيرها من أخواتها من قد تسمت بهذا الإسلام فقد سميت غيرها بزينب الصغرى أو كحال أخويها على الأكبر وعلى زين العابدين عليه السلام.

فضلاً عن رواية أبى الجارود التى تدل بوضوح على أن أكبر بناته عليه السلام كانت فاطمة ولعل كونها أكبرهن لقبت بالكبرى تفريقا بينها وبين فاطمة الصغرى التى خطبت بأهل الكوفة.

1- (3) الاحتجاج للطبرسى: ج 2، ص 27-29؛ اللهوف للسيد ابن طاووس: ص 89؛ البحار للمجلسى: ج 45، ص 110.

4 - رقية بنت الحسين عليه السلام

وهى صاحبة المصيبة العظيمة التى تلازمت مع مصائب الرأس الشريف، فماتت عنده، لما ألمَّ بها من المصاب فى خربة الشام حيث ضريحها الآن شامخٌ يحاكى أفئدة الأحرار ويخاطب عقول المفكرين أن ههنا تكمن الحياة حينما يكون الدفاع عن المقدسات بأنامل لا تجد غير اللعب لها مؤنساً.

والسيدة رقية عليها السلام على اشتهار مصابها بين المسلمين وشموخ ضريحها الذى يؤرخ لفاجعة أهل البيت فى الشام إلا أن البعض لم يزل يبحث عن مصدر من مصادر المسلمين يلتمس فيه ما يدفع الشك عنه بأنّها بنت للإمام الحسين عليه السلام.

وكأن بنى أمية حريصون على إثبات ذلك فى تواريخ المسلمين كى يجد الباحث عن مصيبة رقية موضعاً يرتشف منه تلك المأساة العظيمة.

ألا يكفى لبعض الباحثين ثبوت خروج الإمام الحسين عليه السلام بعياله من المدينة إلى مكة ثم العراق؟!!

أوَلا ـ يكفيهم ما جرى يوم الطف من المصائب، والخطوب، والمذابح، والقهر، والإرهاب، كى يلتمس ما يثبت نسبة هذه المظلومية إلى سجل إرهاب بنى أمية؟!!

أما بخصوص ورود اسمها فى المصادر الإسلامية:

فقد روى القندوزى، والإسفراييني، والحائرى والسيد المرعشى وغيرهم واللفظ للقندوزى:

(«ثم نادى: يا أم كلثوم، ويا سكينة، ويا رقية، ويا عاتكة، ويا زينب، يا أهل بيتى عليكن منى السلام...»)(1).

1- (1) ينابيع المودة للقندوزى: ج 3، ص 80؛ معالى السبطين للحائرى: ج 2، ص 22؛ نور العين فى مشهد الحسين: ص 58؛ أدب الحسين وحماسته: ص 45؛ إحقاق الحق للسيد المرعشى: ج 11، ص 633؛ أدب الحسين عليه السلام: ص 45؛ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص 590.

فهـذا النص الـذى رواه جملة من العلماء يدل بوضوح على وجودها فى كربلاء ولعله، أى هذا النص، يجد طريقه إلى ذوى الشـكوک فيدفع عنهم شـكهم ويريحهم من هـذا الهم، الـذى لم يبدده كل حجر وركن فى ضـريحها الصارخ بالمأساة فى خربة الشام. نعم فى خربة الشام وليس فى الصين أو المكسيک!!

5 - عاتكة بنت الحسين عليه السلام

وقـد نص على ذكرها القنـدوزى فى الرواية السابقة التى أوردناها آنفا وبذلک يكون عدد بنات الإمام الحسـين عليه السـلام اللاتى أخرجهن معه إلى كربلاء (خمس بنات).

المسألة الثالثة: نساء الأنصار

اشارة

لم يكن معسكر الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء قد اقتصر على بنات على أمير المؤمنين عليه السلام وبنات الإمام الحسين عليه السلام تتقدمهن العقيلة زينب بنت فاطمة الزهراء عليهما السلام بل قد ضم كذلک بعض نساء الأنصار إلا أن الفارق بينهن وبين بنات النبوة هو أن كثيراً منهن لم يرد لهن ذكر فى كتب التاريخ أو المقاتل، ولذلک فقد أصبح من المتعذر حصر عددهن الحقيقى كما يتعذر معرفة عدد أبنائهن إلا أن هذا لا يمنع من إيراد أسماء من ظهر لهن موقف مميز فى يوم عاشوراء ولذا نود أن نورد بعض هذه المواقف تيمناً للبحث، كى نقدم صورة واضحة عن تلک الآثار التى حققتها تلک النخبة من النسوة لاسيما بنات

النبوة والرسالة والتى يتضح من خلالها الحكمة فى إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعياله إلى كربلاء وهو ما سنختم به الدراسة ضمن المبحث الآتى:

1 - أم وهب

(سيدة من النمر بن قاسط، زوجة عبد الله بن عمير الكلبى، من بنى عليم، أخبر زوجته أم وهب بعزمه على المسير إلى الحسين عليه السلام، فقالت له: (أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك، إفعل وأخرجنى معك)، فخرج بها ليلا حتى أتى حسينا، فأقام معه.

ولما شارك زوجها فى القتال وقتل رجلين من جند عمر بن سعد (أخذت أم وهب امرأته عمودا، ثم أقبلت نحو زوجها تقول له: (فداك أبى وأمى، قاتل دون الطيبين ذرية محمد)، فأقبل إليها يردها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه، ثم قال: (إنى لن أدعك دون أن أموت معك) فناداها حسين، فقال:

«جزيتم من أهل بيت خيرا، ارجعى رحمك الله إلى النساء فاجلسى معهن، فإنه ليس على النساء قتال، فانصرفت إليهن».

وخرجت إلى زوجها بعد أن استشهد حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: (هنيئا لك الجنة)، فقال شمر بن ذى الجوشن لغلام يسمى رستم: (أضرب رأسها بالعمود)، فضرب رأسها فشدخه، فماتت مكانها)(1).

والنص التاريخى يدل بوضوح على حجب المرأة عن القتال وإن كانت فى دار الحرب، على الرغم من قلة الناصر وتعرض سيد شباب أهل الجنة إلى القتل هو وعياله.

1- (1) أنصار الحسين عليه السلام لمحمد مهدى شمس الدين: ص 76، برقم 4 - أم وهب.

إلا أننا نلمس فى حركة أم وهب الجهادية فى يوم عاشوراء الروح العقائدية والتوطين على بذل النفس فى نصـرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم والحرص على نيل الشـهادة وإن كانت غير مكلفة شـرعا بالقتال فى ساحة المعركة؛ ولذا فقد رزقها الله تعالى الشـهادة وأن تختم حياتها برفقة زوجها لتكون معه فى منزل واحد فى الآخرة.

2 - أم عمرو بن جنادة الأنصارى

وهـذه المرأة قدمت يوم عاشوراء صورة جديدة من صور حضور المرأة فى ساحة القتال قلما نجد له نظيراً إن لـم تكن قد تفردت بها وذلك أن عاطفـة الأمومـة، بما تفرضه على المرأة من قوى سايكلوجيـة وفايسـلوجية لتجعلها أسـيرة إلى ولـدها دون أن تدرك أنها مغلوبة على أمرها بواسطة هذه الغريزة، أى الأمومة.

ولـذا: قـد يعتاد الناظر إلى تشابه الصور الأموميـة عندما تفجع الأم بولدها فتكون بين الويل والصـراخ واحتضان هذا الفقيد العزيز الذى لا يعوض بشىء فهى الثكلى، ومن ثكلت انشغلت فى حين وقوع مصابها بما بين يديها من الألـم والمصاب.

أما أن نشهد أن الأم تحمل رأس ولدها فتمسح الدم والتراب عنه ثم تلثمه تقبيلا وشما لينتهى بها المقام إلى حمل رأس ولدها فتضرب العدو فتقتله من شدة الرمية وقوة الضربة فهذا محصور بيوم عاشوراء فقط.

ولذلك: تبقى المرأة فى كربلاء تحمل من الخصوصـيات والصور الجديدة الحاكية عن ثقافة المودة للعترة النبوية ما لـم يشـهدها المسلمون بل لـم تشهدها الإنسانية جمعاء.

ص:142

أما هذه الصورة الجديدة لأم عمرو بن جنادة الأنصارى فكانت كالآتى:

قال أصحاب المقاتل: (وجاء عمرو بن جنادة الأنصارى بعد أن قتل أبوه وهو ابن إحدى عشرة سنة يستأذن الحسين فأبى وقال:

«هذا غلام قتل أبوه فى الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلک».

قال الغلام: إن أمى أمرتنى فأذن له فما أسرع أن قتل ورمى برأسه إلى جهة الحسين فأخذته أمه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات، وعادت إلى المخيم فأخذت عموداً وقيل سيفاً وأنشأت:

إنى عجوز فى النسا ضعيفة خاوية بالية نحيفة

أضربكم بضربة عنيفة دون بنى فاطمة الشريفة

فردها الحسين عليه السلام إلى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلين)(1).

3 - أم عبد الله بن عمير الكلبى

وتحدث وقعة الطفوف عن أنموذج آخر للأمومة يحاكى فى تقاسيمه ملحمة الفداء والتضحية والصمود التى بنت بها الأمم مجدها وحضارتها.

قال أصحاب المقاتل: (وحمل شمر فى جماعة من أصحابه على ميسرة الحسين فثبتوا لهم حتى كشفوهم وفيها قاتل عبد الله بن عمير الكلبى فقتل تسعة عشر فارساً واثنى عشر راجلاً وشد عليه هانى بن ثبيت الحضرمى فقطع يده اليمنى وقطع بكر بن بجير ساقه فأخذ أسيراً وقتل صبراً فمشت إليه زوجته أم وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: هنيئا لک الجنة أسأل الله الذى رزقک

1- (1) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص 264.

الجنة أن يصحبنى معک فقال الشمر لغلامه رستم أضرب رأسها بالعمود فشدخه فماتت، فهى أول امرأة قتلت.

فهـذه بعض النماذج الفريدة كفرادة مأساة عاشوراء من نساء الأنصار اللاتى خرجن مع أزواجهن إلى كربلاء ولو أردنا أن نتتبّع هذه المشاهد لطال بنا المقال.

وهى تدل فى الوقت نفسه على كثرة وجود العنصر النسوى فى معركة الطف إلا أن حصر عددهن متعذر، وذلک لعدم تصريح الرواة بذلک، لاسيما فيما توفر لدينا من مصادر.

إلاـ أننـا يمكن أن نسـتدل على أن عـددهن كان كثيراً وذلک من خلال ما أشارت إليه روايـة الشـيخ المفيـد رحمه الله وابن كثير وابن الأثير الجزرى وتصف دخول العقيلة زينب إلى قصر الإمارة.

فقال: (ودخلت زينب أخت الحسين فى جملتهم متنكرة وعليها أرذل ثيابها فمضت حتى جلست ناحية من القصر وحفت بها إماؤها)(1).

وهذا اللفظ يدل بوضوح على كثرة العنصر النسوى، لاسيما من الإماء فإذا كانت العقيلة زينب ابنة فاطمة صلوات الله عليها تحف بها إماؤها فمن البديهى أن يكون لبنات أمير المؤمنين عليه السلام إماء، وكذا أزواج سيد شباب أهل الجنة عليه السلام ومن ثم يتعذر إحصاء عددهن.

ويبقى حينها السؤال الـذى بـدأنا به هذه الدراسة: ما هى العلة فى إخراج الإمام الحسـين عليه السـلام للنساء والأطفال إلى كربلاء؛ وما هى الآثار التى ترتبت على وجود هؤلاء النسوة والأطفال فى المعركة.

1- (1) الإرشاد للمفيد: ج 2، ص 115؛ البداية والنهاية: ج 8، ص 210؛ الكامل فى التاريخ: ج 4، ص 81.

المبحث الخامس: علّة إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعياله وآثار ذلک فی الأمة

اشارة

ص:145

المسألة الأولى: سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم صور ومشاهد

اشارة

قبل المضـى فى بيان بعض الصور التاريخية والمشاهد الروائية عن كيفية سبى بنات النبوة ونساء الرسالة نود أن نشير إلى أن هؤلاء النسوة قد شاء الله تعالى حفظهنّ من القتل ومن التعرض لعفتهن على الرغم من تعدد أنواع الظلم والوحشـية التى تعامل بها أعداء الله ورسوله صـلى الله عليه وآله وسلم معهن وذلک بدليل قول سيد الشهداء عليه السلام فى وداعه لهن فقال:

«اسـتعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميكم وحافظكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ويعذب عدوكم بأنواع العذاب ويعوّضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا ما ينقص من قدركم»(1).

1- (1) مقتل الإمام الحسـين عليه السـلام للمقرم: ص 290؛ موسوعة كلمات الإمام الحسـين عليه السـلام: ص 592، نقلا عن الدمعة الساكبة: ج 4، ص 346؛ جلاء العيون للمجلسى: ص 576؛ ناسخ التواريخ: ص 290.

أولاً: سلب سيد شباب أهل الجنة عليه السلام بعد قتله

إن القارئ لصفحات التاريخ الإسلامى وهو يمر على أحداث سنة 61 ه – ليجد نفسه مذهولاً لا يدرى أمام تلك المشاهد التى جرت فى كربلاء أهو أمام أرض إسلامية وأناس نطقوا بالشهادتين أم هو أمام قبيلة من قبائل الجن أو لعله يوهم نفسه أنه يقرأ لتاريخ قبائل الامزون وأكلة لحوم البشر الذين تجردوا من جميع القيم التى تربطهم ببنى جلدتهم فأمسوا لا يعرفون سوى رؤية الدم وهو يصبغ الأديم ولا تأنس آذانهم إلا بآهات النساء الوالهات وصراخ الأطفال الوجلين.

بل لم يشأ القارئ أن يصدق أن هؤلاء القوم لم يكتفوا بممارسة جميع أنواع التعذيب والرعب حتى تصارعوا على سلب ثوب مخرّق.

ويكفى من هذه المشاهد ما رواه أصحاب المقاتل عن سلب سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام على يدى هؤلاء القوم الذين لم يؤمنوا بوجود الجنة طرفة عين منذ أن أبصرت عيونهم الدنيا، ولذا انقضوا على سيد شبابها بهذه الصورة التى يريدها التاريخ قائلا:

(وأقبل القوم على سلبه عليه السلام فأخذ إسحاق بن حوية قميصه، وأخذ الأخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمى عمامته، وأخذ الأسود بن خالد نعليه وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأودى ويقال رجل من بنى تميم اسمه الأسود بن حنظلة.

وجاء بجدل فرأى الخاتم فى إصبعه والدماء عليه فقطع إصبعه وأخذ الخاتم وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته، وكان يجلس عليها فسمى قيس قطيفة، وأخذ ثوبه الخلق جعونة بن حوية الحضرمى وأخذ القوس والحلل الرحيل بن خيمثة

ص:148

الجعفی وهانی بن شبیب الحضرمی وجرجر بن مسعود الحضرمی وأراد رجل منهم أخذ تکة سرواله وکان لها قیمة، وذلک بعدما سلبه الناس یقول، أردت أن أنزع التکة فوضع یده الیمنی علیها فلم أقدر علی رفعها فقطعت یمینه! فوضع یده الیسری علیها فلم أقدر علی رفعها فقطعتها وهممت بنزع السروال فسمعت زلزلة فخفت وترکته وغشی علیّ، وفی هذه الحال رأیت النبی وعلیاً وفاطمة والحسن، وفاطمة تقول: یا بنی قتلوک، قتلهم الله، فقال لها: یا أم قطع یدی هذا النائم فدعت علیّ وقالت: قطع الله یدیک ورجلیک وأعمی بصرک وأدخلک النار فذهب بصری وسقطت یدای ورجلای فلم یبق من دعائها إلاّ النار)(1).

ثانیا: سلب بنات النبوة وسبیهن

قال أصحاب المقاتل:

(لما قتل أبو عبد الله الحسین علیه السلام مال الناس علی ثقله ومتاعه وانتهبوا ما فی الخیام وأضرموا النار فیها وتسابق القوم علی سلب حرائر الرسول صلی الله علیه وآله وسلم ففررن بنات الزهراء علیها السلام حواسر مسلبات باکیات وإن المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها وخاتمها من إصبعها وقرطها من أذنها والخلخال من رجلها، أخذ رجل قرطین لأم کلثوم وخرم أذنها وجاء آخر إلی فاطمة ابنة الحسین فانتزع خلخالها وهو یبکی قالت له: ما لک؟ فقال: کیف لا أبکی وأنا أسلب ابنة رسول الله قالت له: دعنی، قال: أخاف أن یأخذه غیری.

ورأت رجلا یسوق النساء بکعب رمحه وهن یلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ما

1- (1) مقتل الحسین علیه السلام للمقرم: ص 298-299.

عليهن من أخمرة وأسورة ولما بصر بها قصدها ففرت منه فأتبعها رمحه فسقطت لوجهها مغشياً عليها ولما أفاقت رأت عمتها أم كلثوم عند رأسها تبكى.

ونظرت امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها إلى بنات رسول الله بهذه الحال فصاحت يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله لا حكم إلا لله يا لثارات رسول الله فردها زوجها إلى رحله.

وانتهى القوم إلى على بن الحسين وهو مريض على فراشه لا يستطيع النهوض فقائل يقول لا تدعوا منهم صغيراً ولا كبيرا وآخر يقول لا تعجلوا حتى نستشير الأمير عمر بن سعد وجرد الشمر سيفه يريد قتله فقال له حميد بن مسلم: يا سبحان الله أتقتل الصبيان؟ إنما هو صبى مريض! فقال: إن ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين وبالغ ابن سعد فى منعه خصوصاً لما سمع العقيلة زينب ابنة أمير المؤمنين تقول: لا يقتل حتى أقتل دونه فكفوا عنه.

وأقبل ابن سعد إلى النساء فلما رأينه بكين فى وجهه! فمنع القوم عنهن وقد أخذوا ما عليهن ولم يردوا شيئا فوكل جماعة بحفظهن وعاد إلى خيمته.

وحائرات أطار القوم أعينها رعباً غداة عليها خدرها هجموا

كانت بحيث عليها قومها ضربت سرادقاً أرضه من عزهم حرم

يكاد من هيبة أن لا تطوف به حتى الملائک لولا أنهم خدم

فغودرت بين أيدى القوم حاسرة تسبى وليس لها من فيه تعتصم

نعم لوت جيدها بالعتب هاتفة بقومها وحشاها ملؤه ضرم

عجت بهم مذ على إبرادها اختلفت أيدى العدو ولكن من لها بهم(1)

1- (1) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص 314-317.

ثالثا: أم كلثوم بنت أمير المؤمنين على عليه السلام تصف سبى الأعداء لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قالت عليها السلام حينما أدخلت السبايا إلى الكوفة وقد اجتمع الناس للنظر إليهن، فقالت: يا أهل الكوفة أما تستحون من الله ورسوله أن تنظروا إلى حرم النبى صلى الله عليه وآله وسلم(1).

رابعاً: فاطمة بنت الحسين عليه السلام تصف سبى الأعداء لبنات المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

قالت فى خطبتها بجمع أهل الكوفة:

(فكذبتمونا، وكفرتمونا، ورأيتم قتلنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأننا أولاد ترك أو كابل كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم، قرت بذلك عيونكم، وفرحت به قلوبكم، إجتراءً منكم على الله، ومكرا مكرتم والله خير الماكرين، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة، والرزايا العظيمة:

فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ2)(2).

1- (1) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للمقرم: ص 325.

2- (3) الاحتجاج للطبرسى: ج 2، ص 28.

خامساً: العقيلة زينب عليها السلام تصف سبى الأعداء لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قالت عليها السلام وهى تخاطب يزيد بن معاوية فى مجلسه:

(أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرک حرائرک وإماءک، وسوقک بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، يحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناقل، ويبرزن لأهل المناهل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والغائب والشاهد، والشهيد)(1).

سادساً: الإمام زين العابدين عليه السلام يصف سبى الأعداء لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

قال عليه السلام فى خطبته فى مجلس يزيد:

«أيها الناس، من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا على بن الحسين ابن على بن أبى طالب، أنا ابن من انتهكت حرمه، وسلبت نعمته، وانتهب ماله، وسبى عياله....»(2).

سابعاً: كيف كانت حاله عليه السلام حينما أدخلوه وسبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على يزيد

قال ابن الأثير:

(ثم أمر بعلى بن الحسين عليه السلام فأدخل مغلولاً فقال:

1- (1) الاحتجاج للطبرسى: ج 2، ص 35.

2- (2) بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج 45، ص 112-113.

«لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مغلولين لفک عنا».

قال يزيد: صدقت، وأمر بفک غله عنه)(1).

قال السيد المقرم:

وجيء بعلى بن الحسين على بعير ظالع الجامعة فى عنقه ويداه مغلولتان إلى عنقه وأوداجه تشخب دماً فكان يقول:

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم يا أمة لم تراع جدنا فينا

لو أننا ورسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا؟

تسيّرونا على الأقتاب عارية كأننا لم نشيّد فيكم دينا!(2)

ولعل تتبع هـذه المشاهـد يخرجنا عن البحث إذ عُنى بها أصـحاب المقاتل؛ إلا أن فى ذكرنا كفايـة للبيب كى يـدرک ماذا جرى على بنات الرسالة وأهل بيت النبوة.

بقى أن نضع بين يـدى القارئ الآثار التى نتجت عن إخراج الإمام الحسـين عليه السـلام لعياله إلى كربلاء ليوقن أن الله تعالى قـد اصـطفى لشرعه عباداً مكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وليوقن أيضاً أن عاشوراء هى ثمرة الرسالات منذ آدم وإلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

1- (1) الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج 4، ص 86.

2- (2) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص 332-333، خطبة السجاد عليه السلام.

المسألة الثانية: آثار إخراج النساء إلى كربلاء فى الإسلام والمسلمين

اشارة

ليس من السهل على الباحث الوقوف بشكل دقيق - ليكون مطابقاً لعين الواقع - على الحكمة التى اقتضتها مشيئة الله تعالى فى إخراج عيال حجة الله تعالى الإمام الحسين عليه السلام إلى أرض المعركة التى كانت نتائجها العسكرية قطعية عند الإمام الحسين عليه السلام وهى استشهاده مع جميع أبنائه وأبناء عمومته وأصحابه ومن ثم سبى هؤلاء النسوة.

وعليه: أصبح أمر الوقوف على هذه الحكمة أقرب إلى المستحيل لاسيما ونحن نتعامل مع أدق القضايا الغيبية التى ارتبطت بدين الإسلام هذا الدين الذى أحيطت به خصائص خاصة جعلته الدين الذى ارتضاه الله لرسله وأنبيائه.

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ 1 .

وهو خير دين أخرج للناس.

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ2 .

من هنا:

نلمس بعمق أن هذه القضية، أى عاشوراء، هى من أدق القضايا الغيبية المرتبطة بالله تعالى وبرسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إلا أننا نستطيع أن ندور فى فلك هذه القضية ونقترب من نواتها الحكمية مرة

أو نبعد مرة أخرى، وذلک بحسب الآثار التی حققتها هذه المسألة، أی خروج النساء والأطفال، مستعينين بالله ورسوله صلی الله عليه وآله وسلم وصاحب هذه الرزية الإمام الحسين عليه السلام وبما يفتحه علينا من باب لطفه وعطائه وهو المأمور بالضيافة والإجارة وهو الذی أعطاه ربه سبحانه ما فاق عطاءه لسليمان إذ قال له ربه:

هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ بِغَيْرِ حِسابٍ 1 .

فمن جودک سيدی أبا عبد الله نلتمس العطاء.

وَ نَزْدادُ کَيْلَ بَعِيرٍ2 .

ثم لا غنی لنا فی حياتنا ومماتنا عن کتاب الله تعالی نستعين به علی معرفة بعض هذه الآثار التی حققها هذا الخروج والاصطحاب للنساء والأطفال، فضلاً عن الوقائع والأحداث التی تجلّی فيها هذا الأثر أو ذاک فی خروج هؤلاء النسوة.

الأثر الأول: اصطفاء الذرية للدفاع عن الشريعة، وشاهده القرآنی

إنّ أول هذه الآثار التی حققها وجود النساء والأطفال فی کربلاء والتی من خلالها تظهر بعض جوانب الحکمة فی إخراجهن إلی أرض الطفوف هو: أن الإمام الحسين عليه السلام أراد بيان حقيقة مفادها: أنه امتداد للأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وأن الله تعالی جعل فيه من السنن ما جعل فی أنبيائه من إشراک ذريتهم فی الاصطفاء لحفظ شريعة الله تعالی، وقد تجلی هذا الأثر جلياً حينما خرج علی

الأكبر عليه السلام فقد أرخى الإمام الحسين عليه السلام عينيه بالدموع وصاح بعمر بن سعد: ما لک؟ قطع الله رحمک كما قطعت رحمی ولم تحفظ قرابتی من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلط عليک من يذبحک على فراشک ثم رفع شيبته المقدسة نحو السماء وقال:

«اللهم اشهد على هؤلاء فقد برز إليهم أشبه الناس برسولک محمد خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيک نظرنا إليه، اللهم فامنعهم بركات الأرض وفرقهم تفريقا ومزقهم تمزيقاً واجعلهم طرائق قددا، ولا ترضِ الولاة عنه أبداً فإنهم دعونا ينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا ثم تلا قوله تعالى:

إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ 1 .

وعليه: فقد احتج عليه السلام بكتاب الله تعالى وبيّن لهم أنه وولده امتداد للأنبياء عليهم السلام فضلاً عن اصطفائهم على العالمين وأنهم ذرية بعضها من بعض ومن ثم فهم بذلک يكونون قد اعتدوا على جميع الأنبياء وأجرموا فی حقهم وانتهكوا حرماتهم.

الأثر الثانی: هواية القلوب للذرية، وشاهده القرآنی

يعرض القرآن الكريم شاهداً آخر من فلسفة وجود عنصری المرأة والأطفال فی حياة الأنبياء، ودفاعهم عن شريعة الله حتى يكاد القرآن لا يجعل فاصلة بين تضحية الأنبياء بأنفسهم عن تضحيتهم بنسائهم وأبنائهم فی حفظ الشريعة كما

حصل لنبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام حينما أخرج زوجته وولده الرضيع نبى الله إسماعيل إلى وادٍ غير ذى زرع يحف بهم الخطر من كل جانب فضلاً عن فقدان ضروريات الحياة والبقاء كالماء والمأوى قال تعالى على لسان نبى الله إبراهيم عليه السلام:

رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ یَشْکُرُونَ 1 .

فهـذه الآیـة المبارکـة تکشف جانباً من الحکمة فی إخراج إبراهیم الخلیل علیه السـلام لعیاله علی قلة عددهم فیما لو قیسوا مع عیال الإمام الحسـین علیه السـلام فشتّان بین أن یکون المعصوم علیه السلام مأموراً من الله تعالی بحمل امرأة واحدة وولد واحد کإبراهیم الخلیل علیه السـلام الذی خرج بزوجته هاجر وولدها الرضیع نبی الله إسماعیل علیه السلام، وإخراجهم من بیت المقدس إلی أرض مکة عند بیت الله الحرام، وبین إخراج الإمـام الحسـین علیه السـلام لعشـر من أخواته وخمس من بناته وأزواجه الثلاث فهؤلاء ثمانی عشـرة امرأة بین فتاة فی الرابعة من عمرها وبین عقیلة فی السادسة والخمسـین فضلاً عن مجموعة من الإماء اللاتی خرجن مع عقائل النبوة وبنات الوحی، ومن لحق بهن من نساء أصحاب الإمام الحسین علیه السلام اللاتی توقفت معاناة السبی لدیهن فی الکوفة حینما جاءت کل قبیلة فأخرجت نساءها من بین قافلة الهاشمیات.

ص:157

وعليه:

تظهر الآيـة المباركة التى تتحدث عن إخراج إبراهيم الخليل لذريته وإيداعهم فى أرض قاحلة جانباً من الحكمة فى هذا الخروج الذى ورثه ولده الحسـين بن بنت رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم والذى تلازم معه فى الدلالة والأثر مع الفارق فى المصائب والخطوب والرزايا التى ألمت بابن إبراهيم الحسين عليه السلام وبين ولده إسماعيل.

فعلى الرغم من توحد المصداق فى فداء بيت الله الحرام بين نبى الله إسـماعيل وحجة الله الحسين عليه السلام إلا أن المذبوح هو الحسين بنت رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم والمفـدى هو إسـماعيل بن إبراهيم عليهما السـلام لا عن تفاوت فى الشأنية بين رياضة الحبيب وولد الخليل وإنما لعظم البلاء الذى لا يتحمله قلب إبراهيم ورقّ له قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الممدوح بالذكر الحكيم:

ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى 1 .

وأما الأثر فى هذا الخروج الإبراهيمى والحسينى فهو إقامة الصلاة.

رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ 2 .

وحينما كانت الغاية إقامة الصلاة بدلالتها البنائية لا الأدائية كانت الهواية القلبية مقرونة بالذرية وهم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولعل المسلم اللبيب لا يحتاج دليلاً أو بياناً لمعرفة الشخص الذى تهوى إليه

الأفئدة أهو إسماعيل بن هاجر أم الحسين بن فاطمة عليهم السلام.

أم تراه لا يجد التشخيص بين رضيع إبراهيم المسقى بماء زمزم أم رضيع الحسين المسقى من دم الوريد فهذا الخروج لعيال الحسين كذا الخروج لعيال إبراهيم لكنما الأفئدة تهوى لآل الطفوف.

الأثر الثالث: إن الحسين وعياله خير أمة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ وشاهده القرآنى

لعل المرء يتوقف متأملاً فى هذا الأثر الذى حققه إخراج الحسين عليه السلام لعياله إلى أرض المعركة، ألا وهو كونهم من أهم الأدوات التى عملت على إحياء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على طول الدهر.

إذ يقتصر دور المرأة غالباً فى الاهتمام بشؤون الأسرة وإن سنح لها المجال ببعض الوقت وهى فى خضم تلك المسؤوليات أن تمارس هذا الدور فى الأسرة من خلال تنشئة أبنائها على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والذى لا يتعدى فى هذه الحال عن مجموعة من الأوامر والنواهى والمرغبات والمحذرات عن القيام ببعض الأعمال أو ترك بعض الأفعال للأبناء دون أن تلفظ المرأة هذه المفردات وأعنى (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) فى مسامع أبنائها.

والعلة فى ذاك محصورة بين رؤية الأم أو الأب لتصرفات الأبناء ضمن نطاق الحسن والقبيح ومدلولاتهما التربوية والأخلاقية.

لكننا هنا: فى ارض الطف نلمس نوعا جديداً من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يظهر فى المجتمع الإسلامى الذى أصبح فيه المسلم يرى المنكر معروفا

والمعروف منكراً، ذلک المجتمع الذی أخبر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم عن حاله حینما توجه إلی أصحابه قائلاً:

«کیف بکم إذا فسدت نساؤکم وفسق شبابکم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنکر».

فقیل له: ویکون ذلک یا رسول الله؟ فقال:

«نعم، وشر من ذلک کیف بکم إذا أمرتم بالمنکر ونهیتم عن المعروف».

فقیل له: یا رسول الله ویکون ذلک؟ قال:

«نعم، وشر من ذلک، کیف بکم إذا رأیتم المعروف منکراً والمنکر معروفاً»(1).

وعلیه:

لزم أن تکون هناک أدوات فاعلة ومؤثرة تحیی الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر وتصحح الأذهان فی تشخیصها للمعروف والمنکر فتأمر بالأول وتنهی عن الثانی.

ولذا: نجد أن سید الشهداء علیه السلام حینما خرج بعیاله قد أشرکهم فی الهدف من هذا الخروج وأدخلهم فی الغایة من تحرکه فقال علیه السلام:

«إنی لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالما إنما خرجت لطلب الإصلاح فی أمة جدی أرید أن آمر بالمعروف وأنهی عن المنکر»(2).

فکانوا مصداق قوله تعالی:

1- (1) الکافی للکلینی: ج 5، ص 59، ح 14؛ المعجم الأوسط للطبرانی: ج 20، ص 172، ح 11381.
2- (2) بحار الأنوار للعلامة المجلسی: ج 44، ص 329.

كُنْتُمْ خَيْرَ أَمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ1 .

ولعل الباحث أو القارئ حينما يستعرض تاريخ الأمم ومسيرة الأديان لا يجد أمة كالحسين وعياله قد خرجت وأُخرجت للناس، قد قدمت أرواحها ودماءها للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالكيفية التى جرت فى عاشوراء وبالصورة التى شهدتها كربلاء.

وإذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ 2 ، فكيف لا يكون الحسين وعياله عليهم السلام أمة.

الأثر الرابع: الأثر التصديقى؛ وشاهده القرآنى

إنّ من السنن التى يعرضها القرآن الكريم فى نهج الأنبياء عليهم السلام منهج الدفاع عن صدق دعوتهم، وبيان ذلک إلى الناس، فكان من خلال تقديم النساء والأطفال فى إلقاء الحجة على من لم يؤمن بهم، فضلاً عن المكذبين لهم؛ وهذا ما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حادثة المباهلة حينما كذبه النصارى فى دعواه بالنبوة حينما خاطبه البارى عزّ وجل:

اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ 3 .

وقد نص كثير من كتب التفسير والتاريخ، كتفسير الكشاف للزمخشرى، وتفسير الثعلبى، وتفسير العلامة الطباطبائى، ومجمع البيان، وتفسير البغوى،

والنسفی، والفخر الرازی وغیرها: علی أن الأثر الذی ترکه إخراج النبی صلی الله علیه وآله وسلم لنسائه ممثلاً ذلک فی بضعته النبویة فاطمة علیها السلام وذریته ممثلا بولدیه الإمامین الحسن والحسین علیهما السلام علی النصاری فی تصدیقهم بدعواه للنبوة وأنه خاتم الأنبیاء ما لم یکن تحقیقه فی المعجزة.

إذ قد یفسر هؤلاء المعترضون والمشککون فیما لو جاءهم صلی الله علیه وآله وسلم بمعجزة من المعاجز بأنها ضرب من السحر کما حصل ذلک لموسی الکلیم علیه السلام حینما سجد له السحرة فقال فرعون عند ذلک:

إِنَّهُ لَکَبِیرُکُمُ الَّذِی عَلَّمَکُمُ السِّحْرَ1 .

ولذلک لم یأتهم النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم بمعجزة ولو شاء لأمده الله تعالی بما لا طاقة لهم به، إلا أنه صلی الله علیه وآله وسلم وجد أن إخراجه ابنته فاطمة وزوجها علی بن أبی طالب وولدیه الحسن والحسین علیهم السلام، هو أمض أثراً وأشد تصدیقاً لهم بدعوته ورسالته.

فضلاً عن إشراکهم فی الدفاع عن رسالته ونبوته، وذلک بقوله لهم:

«إن أنا دعوت فأمنوا».

فکان ذلک بمسمع ومرأی من النصاری والصحابة الذین وقفوا ینظرون هذا الخروج المهیب، فما کان من النصاری ورهبانهم وقادتهم إلا أن قالوا: (إن خرج علیکم محمد بأصحابه فباهلوهم وإن خرج علیکم بأهله فلا تباهلوهم)(1) ، وذلک

1- (2) بحار الأنوار للعلامة المجلسی: ج 21، ص 278.

إن الإنسان لا يعرض أبناءه ونساءه ونفسه للهلاک ما لم يکن يوقن بأنه وأبناءه ونساءه لله رب العالمين.

وعليه: فإن إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعياله من أخواته وبناته وأبنائه حتى الرضيع منهم وإشراکهم فی أمره کان اتباعاً لسنة جده المصطفی صلی الله عليه وآله وسلم والتزاماً بالمنهج القرآنی فی الدعوة إلی التصديق بما خصه الله تعالی به، وهو الإمامة، وإنه حجة الله علی خلقه، فکان الأثر الذی أوجده خروج النساء والأطفال فی التصديق به کما کان فی خروج النبی صلی الله عليه وآله وسلم بابنته فاطمة وولديها وزوجها للمباهلة.

فانعکس ذلک علی أصحابه وبنی عمومته وأعدائه فی يوم عاشوراء وانعکس ذلک علی الإنسانية جمعاء بعد استشهاده لتتهاوی أمامه العروش وترقی به النفوس وتحنو إليه القلوب بأنه صادق ومصدّق لما أتی به جده رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وقائد للصادقين والمصدّقين برسول رب العالمين.

الأثر الخامس: الأثر العسکری

اشارة

ولعل الأثر العسکری لوجود عيال الحسين عليه السلام المکون من بنات النبوة وذرية رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم، من أکثر الآثار وضوحاً لاسيما وقد مر علينا من خلال المباحث السابقة أن العرب کانت تستفيد من وجود المرأة فی المعرکة فی استنهاض الهمم وبث روح الشجاعة والتضحية من أجل صون الحرم.

ويمکن لنا الوقوف عند هذا الأثر العسکری من خلال بعض المشاهد التی ظهرت بسبب هذا التواجد للنساء والأطفال:

ألف: إظهار حمية الأنصار لدرجة الاستئناس بالموت

إن أولى الآثار العسكرية التى خلقتها بنات النبوة فى تواجدهن فى أرض كربلاء والمشتملة فى الروح العقائدية للمقاتل الذى صحب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظهرت بأروع صورها فى ليلة العاشر من المحرم وقبل النزول إلى ساحة الوغى وملاقاة الحتوف بالصدور والوجوه والأعناق.

وذلک حينما جاءت عقيلة الطالبيين وسليلة سيد المرسلين إلى أخيها الإمام الحسين عليه السلام وقد مد لها الهم القاتل حبائله وأحاط بها الوجل بمخالبه تجر أذيالها إلى فناء خيمته لتسأله عن أولئک الفرسان الذين صحبوه وتستعلم نواياهم التى استنهضتهم للالتحاق به، وعقيدتهم التى سيقاتلون بها لاسيما وإن لهذا الخوف مبرراً ولهذا القلق مسبباً ألا وهو خذلان الناس لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام فى المدينة والغدر بأخيه الحسن عليه السلام فى العراق، فكيف لا تقلق اليوم على من بقى لها من أهلها والجيوش قد سدّت الأفق من حوله؟!

فقالت له:

«هل استعلمت من أصحابک نياتهم فإنى أخشى أن يسلموک عند الوثبة».

فقال لها:

«والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دونى استئناس الطفل إلى محالب أمه».

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعت منه ومن أخته زينب.

قال حبيب: والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفى هذه الليلة قلت: إنى

خلفته عند أخته وأظن النساء أفقن وشاركنها فی الحسرة فهل لک أن تجمع أصحابک وتواجهوهن بکلام یطیب قلوبهن فقام حبیب ونادی یا أصحاب الحمیة ولیوث الکریهة فتطالعوا من مضاربهم کالأسود الضاریة فقال لبنی هاشم ارجعوا إلی مقرکم لا سهرت عیونکم.

ثم التفت إلی أصحابه وحکی لهم ما شاهده وسمعه نافع فقالوا بأجمعهم والله الذی منّ علینا بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسیوفنا الساعة! فطب نفساً وقرّ عیناً فجزاهم خیراً.

وقالوا هلموا معی لنواجه النسوة ونطیب خاطرهن فجاء حبیب ومعه أصحابه وصاح: یا معشر حرائر رسول الله هذه صوارم فتیانکم آلوا ألا یغمدوها إلا فی رقاب من یرید السوء فیکم وهذه أسنة غلمانکم أقسموا ألا یرکزوها إلا فی صدور من یفرق ناذیکم.

فخرجن النساء إلیهم ببکاء وعویل وقلن أیها الطیبون حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمیر المؤمنین.

فضج القوم بالبکاء حتی کأن الأرض تمید بهم)(1).

ولذا: فقد سجل هذا التحرک بأحرف من نور تنیر درب الأحرار وتعطی الرجال فی صونهم للمقدسات روحاً قتالیة وعقیدة صلبة تندک لها الجبال الرواسی علی کرور اللیالی والأیام، فکم من حر أبی یستلهم موقف حبیب بن مظاهر أو زهیر ابن القین أو مسلم بن عوسجة أو غیرهم کی ینحو نحوهم فی الدفاع عن الإسلام.

1- (1) مقتل الحسین علیه السلام للسید المقرم: ص 226-227؛ نفس المهموم: ص 125، عن الصدوق.

باء: حث الرجال على القتال ومشاركتهم الجهاد

إن مظاهر حث الرجال على القتال فى المعركـة كان هو الغاية الأبرز من إخراج العرب للنساء فى حروبهم كما مرّ بيانه فى المباحث السابقة إلا أنه فى يوم عاشوراء لم يكن كغيره من أيام العرب لا فى الإسـلام ولا قبله، فقد منع الإمام الحسـين عليه السلام المرأة من الخروج للقتال ولولا هذا المنع لشهدنا صوراً من القتال والتضحية للمرأة لم تشهدها أمة من الأمم وذلک لما تحمله المرأة فى يوم عاشوراء من روح إيمانية وعقيدة جهادية فى الدفاع عن شريعة الله تعالى وذلک بحفظ حجة الله تعالى وصون حرمته القرآنية والمحمدية.

ولعـل الاستشـهاد بـأم وهب وزوجته يغنى البـاحث عن السـعى فى معرفـة هـذا الأـثر ويثرى المتأمل فى هـذا الخروج عن اقتناء غيره من المشاهد، وما أكثرها فى عاشوراء.

الأثر السادس: إصلاح البنية الفكرية للمجتمع المسلم

قد يبدو غريباً بعض الشىء هذا الأثر لدى بعض القراء الذى يرون أن عصر الصحابة والتابعين هو خير العصور التى تمر بها الأمة الإسلامية مما يحقق خلق بنية فكرية رصـينة ومدعومة بكتاب الله تعالى وسـنة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وأولئک النفر المخلصون الذين ساروا على هدى النبى الأعظم صـلى الله عليه وآله وسـلم لاسـيما وأن الفاصـلة الزمنية بين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين فاجعـة كربلاء خمسون سـنة، وهى مـدّة ليست بالطويلة كى تتمخض عنها مأساة الإسـلام ويذبح ابن بنت رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم

وتسبى بنات رسول الله وتساق كما تساق من لم تكن على دين الإسلام فضلاً عن حمل رأس ريحانة سيد الأنبياء والمرسلين وحبيب رب العالمين فى البلاد الإسلامية ينظر إليه أولئک السلف (الصالح) وهم لا يحركون ساكنا ليقف الخلف متعجباً ولعل بعضهم مذهول مما حدث لأهل خير الأزمنة.

من هنا:

ليس من المستغرب أن يكون فى المجتمع الإسلامى بنية فكرية تحتاج إلى الإصلاح بعد أن عملت على صبغ حياتها بدم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهى غير آبهة بما يؤول إليه هذا الحدث من نتائج لا تنتهى آثارها إلى يوم الوعد الموعود.

ولذا:

كان إخراج الحسين عياله يعد أدوات جراحية عملت على استئصال الأمراض التى أصابت فكر المسلم فكونت له بنية فكرية عليلة تستسيغ قتل ابن بنت نبيها وتعذر القاتل فيما فعل.

وهو ما عرف بالفكر الجبرى الذى ظهر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة وإن كان بصورة غير معلنة، بل يُعد الخليفة أبو بكر هو أول من وضع الأساس للفكر الجبرى حينما خاطب المسلمين بعد السقيفة، قائلاً:

«أما والله ما أنا بخيركم، وقد كنت لمقامى هذا كارها، ولوددت لو أن فيكم من يكفينى فتظنون أنى أعمل فيكم سنة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – إذا لا أقوم لها، ان رسول الله كان يعصم بالوحى، وكان معه ملک، وان لى

شيطاناً يعترينى فإذا غضبت فاجتنبونى لا أوثر فى اشعاركم ولا ابشاركم، الا فراعونى! فان استقمت فأعينونى، ان زغت فقومونى»(1).

ثم تلاه بعد ذلک عمر وعثمان ومعاوية ليظهر بأوضح صوره فى حكم يزيد بن معاوية كبنية فكرية وثقافية يتصرف حسب معطياتها المسلم، فقد تكون لديه مبدأ الجبر المرتكز على تبرئة ما يصدر من الخليفة أو الحاكم من أفعال بعلة أن الله تعالى هو الذى جعله فى هذا الموقع وأنه غير مسدد من السماء وله شيطان يعتريه ومن ثم فهو معذور فيما يفعل.

من هنا:

يتضح لنا أهمية وجود عقيلة النبوة زينب بنت فاطمة عليهما السلام فى كربلاء وذلک بتقويضها هذا الفكر الهدام وإصلاح البنية الفكرية للمسلمين بتقديم معطيات قرآنية ونبوية استطاعت أن تعيد للمسلم هويته الإسلامية الملتصقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

فنراها تقف كالجبل الشامخ فى مجلس يزيد بن معاوية الذى سعى جاهداً على تثبيت هذا المعتقد فى أذهان الناس حينما التفت إلى مجموعة من وجهاء أهل الشام فقال لهم:

أتدرون من أين أتى ابن فاطمة وما الحامل له على ما فعل والذى أوقعه فيما وقع؟ قالوا: لا، قال: يزعم أن أباه خير من أبى وأمه فاطمة بنت رسول الله خير من أمى وجده خير من جدى وأنه خير منى وأحق بهذا الأمر منى فأما

1- (1) المصنّف لعبد الرزاق الصنعانى: ج 11، ص 336، المعيار والموازنة لابى جعفر الاسكافى: ص 61، الشافى فى الامامة للشريف المرتضى: ج 4، ص 121.

قوله: أبوه خير من أبى فقد حاج أبى أباه إلى الله عز وجل وعلم الناس أيهما حكم له، وأما قوله: أمه خير من أمى فلعمرى إن فاطمة بنت رسول الله خير من أمى، وأما قوله: جده خير من جدى فلعمرى ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر وهو يرى أن لرسول الله فينا عدلاً ولا نداً، ولكنه إنما أُتى من قلة فقهه ولم يقرأ:

قُلِ اللّهُمَّ مالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ1 .

وقوله تعالى:

وَ اللّهُ یُؤْتِی مُلْکَهُ مَنْ یَشاءُ2,3 .

وكان الذى دفع يزيد بن معاوية إلى هذه المقولة هو افتضاح أمره حينما خاطبته العقيلة زينب عليها السلام:

«أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هواناً، وبک عليه كرامة، وأن ذلک لعظم خطرک عنده فشمخت بأنفک، ونظرت فى عطفک، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لک مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لک ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى:

وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّما نُمْلِی لَهُمْ خَیْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ .

ولقد حرص كذلک ولاة بنی أمیة علی بث هذا المعتقد فی أذهان الناس لاسیما فی الکوفة حینما خاطب عبید الله بن زیاد (لعنه الله تعالی) الإمام زین العابدین علیه السلام بقوله: ما اسمک؟.

قال:

«أنا علی بن الحسین».

فقال له: أو لم یقتل الله علیا؟

فقال الإمام زین العابدین علیه السلام:

«کان أخ لی أکبر منی یسمی علیاً قتله الناس».

فرد علیه ابن زیاد، بل قتله الله.

أی تثبیت المعتقد الجبری وأن الحاکم غیر مذنب؛ لأن الله هو الذی قتل ابن بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فکان جواب الإمام السجاد علیه السلام کالصاعقة التی هدت أرکان هذا الفکر المنحرف فقال:

اَللّهُ یَتَوَفَّی الْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِها1 .

وَ ما کانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ 2 .

فکبر علی ابن زیاد أن یرد علیه الإمام زین العابدین بهذا الجواب الذی قوض معتقده الفاسد ولذا أمر بقتله.

وعلیه: نجد بوضوح تجلی هذا الأثر فی خروج العیال إلی أرض الطف.

ص:170

الأثر السابع: تجلى مصداق التوحيد فى حركة العقيلة زينب الإصلاحية للمجتمع

اشارة

إنّ بعض الآثـار التى ظهرت كنتائـج لوجود بنات الرسالـة والأطفال فى كربلاء كانت متمايزة فى الظهور وذلک بحسب سـعة دائرة تأثيرها – وعلى سبيل الإشارة – كالأثر الوجدانى الذى سنتعرض لبيانه لاحقا فإنه قد شغل حيزاً كبيراً فى النفس البشرية.

فى حين نجد تجلى مصداق التوحيد فى حركة العقيلة زينب الإصلاحية للمجتمع ينحصر فى النخبة الذين أخذوا على عاتقهم حمل رسالة الإسلام ونشره بين الناس؛ أى أولئک الذين يبلغون رسالات الله تعالى.

فهؤلاء قـد أخـذت بهم المـذاهب وعبثت بهم آراء الخلفاء وضاع الحـديث حتى أصـبح البعض منهم يرى بعض الأحاديث فى معاوية قد ساوت بينه وبين جبرائيل وعلى لسان أحد أصحابه كأبى هريرة الذى قال:

(الأمناء ثلاثة، جبرائيل ومعاوية وأنا)(1).

فحينما يكون معاوية كجبرائيل عليه السـلام وفى رقبته دماء صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كحجر بن عدى ومحمد بن أبى بكر وعمار بن ياسـر الـذى يكشف مقتله عن أن معاويـة إمام الفئة الباغية كيف سـيكون حال التوحيد عند المسـلمين وكيف سـتكون صـلاتهم وزكاتهم وحجهم وغيرها من فروع دينهم؟!

1- (1) سير أعلام النبلاء: ج 3، ص 130. الكامل لابن عدى: ج 2، ص 245. ميزان الاعتدال: ج 1، ص 503. البداية والنهاية لابن كثير: ج 8، ص 129.

فإذا كان التوحيـد وهو أساس بعث الأنبياء وقيام الرسالات بهذا المسـتوى الذى أصـبح قاتل الحسن بن على بن أبى طالب وعمار بن ياسـر وغيرهـم كجبرائيل عليه السلام، فكيف سيكون التوحيد عند الناس؟!

من هنا:

نلمس أن حركة أهل البيت بعد وفاة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم إنما كانت لغرض إقامة التوحيد فضـلاً عن حروب أمير المؤمنين على عليه السلام.

فلأجل التوحيد خرج على عليه السـلام لحرب الناكثين فى معركة الجمل، ولأجل التوحيد خرج لقتال القاسطين فى صفين ولأجل التوحيد خرج لقتال الخوارج فى النهروان، فتلك الحروب التى غيرت مسار الرسالة المحمدية أخبر عنها رسول الله قائلاً:

عن جابر بن يزيد الجعفى (عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليهما السـلام قال: سـمعت عماراً يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«أنا أقاتل على التنزيل وعلى يقاتل على التأويل».

فقال على عليه السلام:

«صدق عمار ورب الكعبة، إن هذه عندى لفى ألف كلمة، تتبع كل كلمة ألف كلمة»)(1).

ولا أعتقد أن هناك مسـلماً يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقاتل لغير التوحيد ولا أعتقد أن هناك مسلماً يعتقد أن النبى قاتل غير المشركين.

1- (1) الخصال للشيخ الصدوق: ص 650، ص 48.

وعليه:

حينما يقرن النبى حركته الجهادية التوحيدية بالقرآن ويلازمها بحركة على أمير المؤمنين عليه السلام الجهادية التوحيدية فكانت الأولى على التنزيل والثانية على التأويل، وأن كلا القتالين إنما كان ضمن حدود كتاب الله تعالى فإن الذين قاتلهم على عليه السلام هم بنفس المستوى العقائدى لأولئک الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا:

كان صلح الإمام الحسن عليه السلام أو خروج الإمام الحسين عليه السلام بعياله وقتاله فى كربلاء إنما لغرض التوحيد وإقامته فى المجتمع المسلم ولولا ذلک لما بقى مسلم موحد ويكفى من الأدلة لمن بقى فى نفسه شىء من عدم الاعتقاد بهذه الحقيقة أن ينظر إلى التاريخ ليرى أن الولاة الـذين خدموا حكام بنى أمية كانوا يدعون المسـلمين إلى الطواف حول بيت عبد الملک بن مروان وهو خير لهم من الطواف حول قبر رسول الله!

وأن مقام عبد الملک عند الله خير من مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخليفة المرء خير من رسوله(1).

إذن:

لابـد من صـرخة تتصـدع تحتها تلک الرواسب التى رانت على عقول أولئک الذين يرون أنهم يدعون إلى التوحيد وأن رموز التوحيد لديهم هم الخلفاء:

1- (1) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج 15، ص 242. النصائح الكافية لابن عقيل: ص 106.

كمعاوية، ويزيد، وعبد الملک، وهارون، والمأمون، وفلان وفلان.

فكانت هذه الصرخة من فم ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فم زينة أبيها العقيلة زينب عليها السلام، حينما بدا فى منطقها التلازم بين مفهوم الجمال ومفهوم التوحيد ليتجلى مصداق الوحدانية لله تعالى فى حركتها الإصلاحية لتلک النفوس التى نسجت من حولها خيوط عناكب بنى أمية حينما بثت بين المسلمين أن الله تعالى هو الذى مكنهم من الجلوس فى كرسى الحكم وهو الذى مكنهم من رقاب المسلمين ليدعوا الناس إلى التوحيد وكأن ليس هناک من موحد غيرهم.

بهذا الفكر الهدام وبهذه العقيدة الفاسدة يتوجه عبيد الله بن زياد الذى ارتضع من ثدى النفاق إلى ربيبة التوحيد وسليلة الطهر والنبوة زينب قائلاً لها:

«كيف رأيت صنع الله بأخيک وبأهل بيتک»؟(1).

ونلاحظ هنا بوضوح: كيف يعتقد ابن زياد بأنه الموكل بحفظ التوحيد فهو يعرف الله تعالى وأن الله سبحانه هو الذى صنع بأخيها الحسين - عليه السلام - وبأهل بيتها كل تلک المجازر من تقطيع الرؤوس وذبح الأطفال حتى الرضيع وسبى النساء وسحق جسد الحسين بحوافر الخيل والتمثيل بالأجساد وغيرها من الجرائم كل هذا يجعله ابن زياد من صنع الله تعالى.

سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يَصِفُونَ .

لكن السؤال المطروح إذا كان الله تعالى قد صنع ذلک فبمن فعله، صنعه؟

1- (1) كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفى: ج 5، ص 122. اللهوف لابن طاووس: ص 94.

أليسوا هؤلاء أهل بيت حبيبه وسيد أنبيائه ورسله صلى الله عليه وآله وسلم، فلماذا يصنع بهم ذلک، ألانهم خرجوا لإقامة التوحيد له سبحانه وحفظ شريعته من ابن زياد ومعاوية ومن ولاه على رقاب المسلمين؟!

إذن:

المعركـة معركـة فكر، ومعركة توحيد: وما أشـبه اليوم بالأمس! فما زال أتباع أهل البيت عليهم السـلام يُفعل بهم ما فعله ابن زياد بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والدعوة هى نفسها: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتک؟!!!

فكان جوابها أشد من سـيوف الطالبيين وأمضـى من ضـربات الصالحين على تلک العقول المريضة لتستأصل بكلماتها تلک الأورام الخبيثة التى كادت أن تميت القلوب التى تستمع إليها.

فقالت صلوات الله وسلامه عليها:

«مـا رأيت إلاـ جميلاـ هؤلاـء قوم كتب الله عليهم القتـل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسـيجمع الله بينک وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتک أمک يابن مرجانة».

فهذه الكلمات التى لم تتجاوز السطرين هى فى الحقيقة كالشطرين اللذين يمتاز بهما سيف على بن أبى طالب عليه السلام، فكما أن تحت هذا السـيف تجندل صـناديد الشـرک، كذاک تحت هذين السـطرين انهارت صـروح الطواغيت وأساطين النفاق، وذلک من خلال الأسس الإصلاحية الآتية:

1 - تلازم مفهوم الجمال والتوحيد عند العقيلة زينب عليها السلام

من المفاهيم التى تألقت فى كلام العقيلة زينب عليها السلام هو مفهوم التوحيد؛ والتوحيد كعقيدة إيمانية ترافق حركة الإنسان منذ ولادته - وهى الفطرة - إلى وفاته، فقد تفاوت الناس فى هذه الرتبة الإيمانية وتفاوتوا فى مفهومهم للتوحيد؛ حتى ورد فى الحديث النبوى الشريف عن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قيل له: يا رسول الله لقد شوهد عيسى بن مريم عليه السلام يمشى على الماء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو زاد يقينه لمشى على الهواء»(1).

وفى إبراهيم قال عزّ وجل:

وَ كَذلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ 2 .

ومن هنا:

نلمس أن مفهوم التوحيد عند العقيلة زينب عليها السلام يرقى إلى تلك الرتبة التى تحدث عنها القرآن الكريم والنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فزينب الكبرى رأت بعين اليقين جمال الملكوت وأيقنت أن هذا الجمال والجلال لا يصدر إلا عن الجميل الذى أضفى من جماله على هذا الكون.

ثم إنها أيقنت أيضاً أن هذا الجميل لا يصدر عنه إلا كل شىء جميل فإن كتب الحياة أو القتل فهما سيان من الجمال وأن قدر الصحة أو المرض فهما فى الجمال شىء واحد؛ وكذلك الفقر والغنى والشدة والرخاء؛ أو العسر واليسر

1- (1) مستدرک الوسائل للنورى: ج 11، ص 198.

فكله جميل وجماله ليس بلحاظ جوهر الشيء؛ إذ من البديهي أن العافية أرجى للعبد من المرض وكذلك الغنى والرخاء واليسر وطول العمر وغيرها من المطالب الحياتية فهي أرجى وأنعم لكل إنسان من حيث جوهرها.

ولكن العقيلة عليها السلام لا تنظر إلى جوهر هذه المطالب وإنما تنظر إلى صنع الله تعالى وما يختاره لعبده فإن هذا الاختيار جميل، وهذا التقدير جميل، فلا يصدر عن الله تعالى إلا الجمال.

ولذلك:

تساوى عندها عليها السلام الصحة والمرض، والغنى والفقر، والعسر واليسر.

وهنا ملاحظة:

قد يرقى كثير من المؤمنين إلى رتبة من التوحيد يتساوى عنده البلاء والرخاء، فيعدهما سيّين لأن محل صدورهما هو الله.

ولكن. أن يُرى هذا التقدير جميلا فيؤنس به كما يأنس الشارد الظامئ بواحة غناء، فيها عذب الماء.

فهذا مرهون بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام ولاسيما صاحبة العصمة الصغرى عقيلة حيدر عليها السلام.

ولذلك: تلازم عندها مفهوم الجمال ومفهوم التوحيد، وهو ما دلّ عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لمّا سئل عن معنى (إن الله جميل ويحب الجمال)؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أحد صمد لم يلد ولم يولد».

وقد أردف الفخر الرازى هذا الحديث الشريف بقوله: (لأنه إذا لم يكن واحداً عديم النظير جاز أن ينوب ذلک المثل منابه، ولذلک سميت سورة التوحيد ب - (سورة الجمال)(1).

2 - صنع الله تعالى هو المحور فى بنية التوحيد ومعركة الإصلاح عند العقيلة زينب عليها السلام

انطلق ابن زياد بوحى شيطانه وتدليسه فى معركته الفكرية فى مجلسه الذى غص برموز الدولة والقادة العسكريين من الكوفة والشام العائدين من ساحة المعركة ووجهاء الناس وشيوخ القبائل فى قصر الإمارة وهو المنتصر اليوم على خصمه الذى يدرک جيداً بأنه يمتلک رصيداً ضخماً فى عقول الموحدين ومكانة لا يستهان بها عند المسلمين فهم لا يمكن إخفاؤهم على أهل الكوفة فبالأمس كانوا بها أسياداً وقادة ودعاة تلثم أعتابهم الأملاک وبحبهم تجرى الأفلاک فعلى من يريد ابن زياد أن يخفى تلک الشموس الطالعة!

ولذا:

أراد كسب المعركة العقائدية والفكرية بعد أن توهم مع قادة جيشه، أنه انتصر فى المعركة العسكرية فقام فنفث فى الحاضرين أن هذا الصنع، هو صنع الله تعالى ليهون على الناس وأولئک الذين تلطخت أيديهم بدماء النبوة وما اقترفوه فى كربلاء من جرائم، وصنعوا هذا الصنيع فهم لم يفعلوا وإنما الله هو الذى صنع؟!

1- (1) تفسير الرازى: ج 32، ص 176.

وظن أنه بنفثه هذا السم على الحاضرين أن لا طاقة لابنة على عليهما السلام بالرد عليه، بل لم يخطر على باله أنه سينهزم فى هذه المعركة الدائرة فى مجلس قصر الإمارة شر هزيمة لتبقى تدور فى قاعات القصور ومقصورات الطواغيت إلى يوم الوعد الموعود.

فكان جوابها الكاشف عن رؤيتها فى التوحيد الأفعالى لله تعالى: إنها لم تر إلا جميلا أنه صدر عن الله عزّ وجل فكل ما يصدر عن الله فهو جميل؟ إنه مفهوم جديد لم يطرق مسامع ابن زياد من قبل ولم يخالج عقله قبل هذا اليوم وهو الغارق فى النفاق ليتربع فى الآخرة فى قعر جهنم قال تعالى:

إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ .

3 - الفاعل غير الفعل فى بنية التوحيد عند العقيلة زينب عليها السلام

تنتقل العقيلة زينب عليها السلام بعد بيانها لرؤيتها فى التوحيد إلى جانب آخر من التوحيد وهو القضاء والقدر الذى خلطه ابن زياد فى قضاء الطواغيت والظالمين فجعل قضاءه بقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متلازماً بقضاء الله تعالى بقتلهم ليلتبس على السامع أن هؤلاء بقضاء الله تعالى قد قتلوا ومن ثم لا عقاب ولا ثواب فقد تساوى القاتل والمقتول فى القضاء الإلهى والعياذ بالله.

فى حين جاء جواب العقيلة زينب واضحاً ومصححاً ومبدداً لهذه الشبهة العقائدية ففصلت بين الفاعل والفعل فى أفعال الناس، فقالت عليها السلام:

«هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل».

وهنا:

كتب سبحانه عليهم أن يكونوا قتلى ولكن لم يكتب على القاتل أن يكون قاتلاً؛ بمعنى: أن هذه الأرواح ملك لله تعالى ومرجعها إليه وأمرها بيده فمنها ما يكون أمر رجوعها إليه بالمرض، ومنها يكون فى الغرق ومنها على الفراش، ومنها فى ساحة المعركة، فكل ذلك كتبه الله تعالى على خلقه فى انهم يرجعون إليه وان أرواحهم تعود إليه سواء كان بعضهم طفلاً رضيعاً أو شيخاً كهلاً أو شاباً فى عنفوانه، لكنه سبحانه لم يجعل أمر أزهاقها بما كتبه على المزهق أى الفاعل من الفعل فالفاعل غير مسلوب الارادة والاختيار كما أن الشهيد غير مسلوب الإرادة فى الذهاب إلى ساحة القتال والا سقط الثواب ولكن ليس كل من ذهب إلى المعركة استشهد وهنا يكون معنى كلام العقيلة زينب عليها السلام:

«هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل»، «فبرزوا إلى مضاجهم» «وستحاج وتخاصم».

فلو كان الله سبحانه قد كتب على الفاعل القاتل ما يفعله من القتل فماذا سيحاج ويخاصم من الله تعالى.

وعليه: كان جوابها بهذه المعانى التوحيدية، نعم الله كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم إذ لابد لهذه الأبدان من موت وقبر تنام فيه لكنك يابن مرجانة المسؤول عن فعلتك وما اقترفته يداك.

4 - نواة التوحيد هو الإيمان بالغيب

بعد أن تظهر العقيلة زينب عليها السلام هذه الأسس فى بناء الفكر

التوحيدى تنتقل بعد ذلک إلى نواة هذا الفكر والذى به تستقيم المدارات الفكرية حول الوحدانية لله تعالى.

فتقول عليها السلام:

«وسيجمع الله بينک وبينهم».

لكن متى؟

ليس الأمر ببعيد فمهما عمر الإنسان فى الحياة فلابد له من الموت.

أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ 1 .

وما بعد الموت لأمرّ وأدهى فأين يكون المفر؟ أين ستذهب يابن زياد حينما يجمع الله بينک وبين هؤلاء؟ ألست القائل بوجود الله تعالى وإنه سبحانه هو الذى صنع هذا؟ فماذا ستقول له حينما سيجمعک مع هؤلاء المقتولين للتخاصم؟ فإن كنت تؤمن بالله فهذا الإيمان قوامه التوحيد ونواة التوحيد الإيمان بالغيب، قال تعالى:

الم ذلِکَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ .

فإذن:

استعد للسؤال، وإن كنت لا تؤمن فدع الله سبحانه ولا تلصق أفعالک به وقل أنا الذى صنعت بأهل بيتک كل هذا الذى وقع فى كربلاء.

وعليه: تقوم العقيلة زينب فى معركتها الإصلاحية للمجتمع المسلم الذى

خرج لقتل ابن بنت رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم وقد اجتمع وجهاء المجتمع وقادة الحكم وهم يشهدون هذه المعركة الفكرية بين أحد أقطاب الفكر الاشـراكى الذى يشـرك فعل الفاعل بصنع الله تعالى والمرتكز على الأمن من العقاب فى اليوم الآخر أو بالأخرى انعدام حصول الحساب فى اليوم الآخر، وذلك لأن الله هو الـذى صـنع فلماذا يحاسب؟، بل ومن يحاسب؟ فليس هناك جناة. وبين أحد أقطاب الفكر التوحيدى الذى يرتكز على أن الإيمان بالغيب هو نواة التوحيد.

5 - قوام التوحيد فى العدل الإلهى

ولأن الله سـبحانه وتعالى عادل فلم يضع له شـريك، فقوام التوحيد فى العدل ولكونه سـبحانه عادل لا يرضـى ولن يرضـى لعباده الظلم ولا يوقع عليهم الظلم.

ولذا: قالت عليها السلام:

«وستحاج وتخاصم».

فعلى الرغم من أن عبيد الله بن زياد متلبس بالظلم وأقدم على هتك حرمات الله تعالى وقتل ابن بنت رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم إلا أن ذلك لم يمنع من المحاكمة وسيسأل وستقوم عليه الحجج وسيخاصم فيكون هو الخاسر المبين.

عندها: توعدته عليها السلام بالنصر عليه فقالت:

«فانظر لمن الفلج يومئذ».

فليس النصـر ما قامت به الجند من إزهاقها للأرواح المقدسة وسـفک الدماء الطاهرة وتقطيع الرؤوس الزكية وسـلب نساء النبوة وسبى بنات الرسالة وترويعها وذبح الأطفال الرضع الصبيان من آل الحسين بالسيوف(1) وغير ذلک فهذا وغيره لم يحقق النصر وبل النصر بما يحكم به أعـدل العادلين، فانظر يومئـذ، وتلک الدعوة فى النظر أشد على الكافر مما اقترفت يداه، فكل لحظة تمر عليه يشـعر بأنه اقترب من الحساب فهو فى غصة ومرارة إلى يوم يموت.

فضـلاً على ذلک: فإن هذه الأسـس التصـحيحية للفكر التوحيدى ستشـيد عليها معتقدات الناس حينما يخيرون بين الإيمان بالله سـبحانه والكفر فيجعلون له شريكاً فى طاعتهم للمال أو السلطان أو الهوى أو غيرها.

وقد أمرهم سبحانه قائلاً:

وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ 2 .

ولا ينال الإخلاص فى الـدين إلا بمحمـد وآله الطاهرين وإلا سـيكون الإنسان توحيـده كتوحيد عبيد الله بن زياد الذى وقف فى المعسـكر الآخر لقتال عترة النبى الأعظم صـلى الله عليه وآله وسـلم، وقد جعل الله سـبحانه شـريكاً فى تلک الجرائم والظلم الكبير الذى اقترفته يداه وأيادى أنصاره وأعوانه ومن رضى بفعله.

1- (1) روى الطبرى عن هانئ بن ثبيت الحضـرمى، قال: رأيته جالساً فى مجلس الحضـرميين فى زمان خالـد بن عبد الله وهو شـيخ كبير قـال، فسـمعته يقول: كنت ممن شـهد قتـل الحسـين، قـال: فوالله إنى لواقف عاشـر عشـرة ليس منا رجل إلا على فرس وقـد حالت الخيل وتصعصـعت إذ خرج غلام من آل الحسـين وهو ممسک بعود من تلک الأبنيـة فكأنى أنظر إلى درتين فى أذنيه تذبذبان كلما التفت إذ أقبل رجل يركض حتى إذا دنا منه مال عن فرسه ثم افتصد الغلام فقطعه بالسيف. (تاريخ الطبرى: ج 4، ص 343).

الأثر الثامن: الأثر التوثيقى

إن حادثـة بحجم يوم عاشوراء تحتاج إلى مجموعـة من الشواهد التوثيقية تتناسب مع حجم تلك المأساة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن قضية التوثيق هى فى حد ذاتها معركة تدور رحاها بين كلا الخصمين اللذين شهدت أرض الطف ما جرى بينهما.

فبنو أمية حرصوا أشد الحرص على طمس هذه المأساة وإخفاء تلك الجرائم التى ارتكبها جيش عمر بن سـعد وقادة الجيش وعامة الجند – وبالطبع – هى حالـة ملازمة لكل جريمة وقعت منذ أن قتل قابيل أخاه هابيل، فقد سـعى لإخفاء آثار جريمته فأخذ يبحث عن وسـيلة تنفعه فى إخفاء جريمته وضياع كل ما من شأنه أن يوثق هذه الحادثة.

ولولا حرمة هابيل عند الله لما كان هناك ما يدل قابيل على دفن أخيه، قال تعالى:

فَبَعَثَ اللّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِى سَوْأَةَ أَخِيهِ قالَ يا وَيْلَتى أَ عَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هذَا الْغُرابِ فَأُوارِىَ سَوْأَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ النّادِمِينَ 1 .

فنشأت عند ذلک حالة نفسية تجذرت فى النفس البشرية إلى قيام الساعة.

ولـذا: جهـد بنو أميـة على طمس آثار مأساة الطف وكسب معركة التوثيق حينما يكون الشـهود هم ممن تم تصـفيتهم سواء أكانوا موالين أم مخالفين.

ص:184

فی المقابل: کان الإمام الحسین علیه السلام قد أعد العدة لتلک المصادر التوثیقیة حینما أخرج عیاله وأطفاله إلی کربلاء وعلی رأسهم الإمام زین العابدین وولده الإمام الباقر علیهما السلام فضلاً عن بنات النبوة.

من هنا:

نلمس خطورة المأساة ودقة هذا الخروج للنساء والأطفال.

أما بقیة الشهود من الخصم وهم الذین تلطخت أیدیهم بالدماء وغیرهم ممن حضروا فی کربلاء مکثرین للسواد وقد بلغوا أکثر من ثلاثین ألفاً، فأغلبهم لم یکونوا أدوات توثیقیة بمثل ما قدّمه عیال الحسین علیهم السلام والسبب یعود لأمور:

1 – أن الذین خرجوا لقتال الإمام الحسین علیه السلام أصبحوا بعد المأساة ملاحقین من المختار الثقفی، فتتبعهم حتی قتل منهم (ثمانیة عشر ألفا)(1) وبذلک یکون نصف هؤلاء الذین شهدوا المعرکة قد قضی علیهم.

أما من فرّ منهم من المختار إلی مصعب الزبیری فکانوا (عشرة آلاف)(2) ، فهؤلاء لم یتجرأوا علی کشف ما فعلوه کی لا یقع أحدهم تحت عیون المختار وأعوانه المنتشرین فی الکوفة وغیرها.

2 – إنّ الذین تدارکوا أمرهم وخرجوا من الکوفة إلی مکة لیدخلوا تحت رایة الزبیریین أو الذین لحقوا بالشام سواء من کانوا من أهلها أو الذین کانوا

1- (1) مقتل الحسین علیه السلام للمقرم: ص 330.

2- (2) المصدر نفسه.

من أهـل الكوفـة لـم يجرؤ كثير منهـم على البوح بمـا فعلته يـداه وذلـک هروباً من عار ما اقترفه والمرء لا يبوح بما هو عار عليه. وبـذلک لـم يكونوا من أدوات التوثيق.

3 – إن الـذى نجا منهـم من سـيف المختار لـم ينـجُ من عقاب الله الذى أخذ يلاحقهـم فرداً فرداً، فكانوا عندئذ مادة توثيقية لبيان حرمة أهل البيت عليهـم السـلام. بقى عنـدنا بعض الـذين كانوا من الأصل شواهـد من هـذا الجانب فقط ولذلک لـم نشـهد هناک أدوات توثيقية كثيرة كحميد بن مسلم أو ما استطاع جمعه أبو مخنف ممن شهد الفاجعة سواء كانوا من أفراد جيش عمر بن سعد بن أبى وقاص أو من أهل القرى القريبة من كربلاء كالغاضريات وهم من بنى أسد الذين استعان بهم الإمام زين العابدين فى دفن الأجساد.

وعليه:

يبقى وجود النساء والأطفال والإمامين السـجاد والباقر عليهما السـلام هو المادة الأساسـية لتوثيق مصائب كربلاء، أما إجمال القضـية التى شهدت مظاهر يوم الطف فقد أرخها المؤرخون لكن تبقى كثير من مشاهد المأساة لـم تكشف بعد، كالحملة الأولى للأصـحاب فقد اكتفى التاريخ بقوله عنها:

(فما انجلت الغبرة إلا واثنين وخمسين صريعاً على الأرض).

أو تلک الأيام التى سبقت المعركة.

وكمصائب الرأس الشريف وما لحق بمسير النساء والأطفال من كربلاء إلى الكوفة والشام ومجريات ليلة الحادى عشر وغير ذلک، فكثير منه لـم يكشف بعد، ولولا وجود عيال الحسين عليه السلام لغيب كثير مما وصل إلينا.

ص:186

الأثر التاسع: الأثر الفقهى

الأصل فى الحقوق الفردية للمسلم حرمة دمه وماله وعرضه وهذا الحكم الشرعى منجّز فى ذمة المكلف الذى يعتقد بالإسلام ديناً، أما من لا يعتقد بالإسلام فإن دم المسلم وماله وعرضه مباح لديه.

ومن ثم فإن دلالة: (شاء الله أن يراهن سبايا) هو لكشف حقيقة معتقد شيعة آل أبى سفيان الذين خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام بقوله:

«يا شيعة آل أبى سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارا فى دنياكم هذه وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون»(1).

فناداه شمر فقال:

ماذا تقول يا حسين؟!

فقال:

«أقول أنا الذى أقاتلكم، وتقاتلوننى، والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم وطغاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمى ما دمت حيا».

ولذلك لما تعرضوا للنساء والأطفال كشفوا بذلك عن عدم إيمانهم بأى دين. وهو ما حققه وجود عيال الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء فى كشف هذا الأثر الفقهى حينما أباحوا مال رسول الله والتعرض لسلب بناته وسفك دماء ذريته.

1- (1) اللهوف فى قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ص 71.

الأثر العاشر: حفظ نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الانقطاع

إن المتتبع لحركة السيرة النبوية منذ أن بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم وفاته صلى الله عليه وآله وسلم وما تبعها من أحداث سجلت فى تاريخ المسلمين، يلمس من الشواهد التى تدل على أن المنافقين والمشركين كانوا يصبون جل غضبهم على كل ما له صلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما بنى هاشم فما سلم منهم إلا من كان غير مؤمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأبى لهب أو الذين كتموا إسلامهم كالعباس بن عبد المطلب وأبو طالب رضوان الله عليه وعقيل بن أبى طالب، ومن هذه الشواهد.

1 – فرض الحصار عليهم وهجرهم فى شعب أبى طالب حتى كادوا أن يهلكوا جميعاً وهى أول محاولة للإبادة الجماعية عند العرب.

2 – التنكيل بهم، فقد روى الطبرانى عن عبد الله بن عمر أنه قال: إنما – أنا – لقعود بفناء رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم إذ مرت امرأة فقال بعض القوم هذه بنت محمد؛ فقال أبو سفيان إن مثل محمد فى بنى هاشم كمثل الريحانة فى وسط النتن أو قال التبن، فانطلقت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فخرج ويعرف فى وجهه الغضب فقال:

«ما بال أقوام يؤذوننى فى أهلى».

ثم قال:

«إن الله خلق السماوات سبعا فاختار العليا فسكنها وأسكن سائر سماواته من شاء من خلقه وخلق الأرضين سبعا فاختار العليا وأسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق واختار من الخلق بنى آدم فاختار من

بنى آدم العرب واختار من العرب مضـر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم، فأنا من خيار إلى خيار فمن أحب العرب فلحبى أكرمهم ومن أبغض العرب فلبغضى أبغضهم»(1).

3 – الحط من قدرهم وإن قرابتهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم لا تنفعهم.

وهو ما أخرجه أحمد فى المسند عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

تزعمون أن قرابتى لاـ تنفع قومى والله أن رحمى موصولـة فى الـدنيا والآـخرة، إذا كـان يوم القيامـة يرفع لى قوم يؤمر بهم ذات اليسـار فيقول الرجل: يا محمـد أنا فلان بن فلان ويقول الآخر أنا فلان بن فلان فأقول: أما النسب قد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدى وارتددتم على أعقابكم القهقرى.

وهنا: أراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يضع قريشاً على حقيقتين:

أ. ان قرابته تنفعهم يوم القيامة فمن شاء فليتمسک بهم ومن شاء فليعرض عنهم.

ب. انهم سيرتدون على أعقابهم لما أحدثوا فى الأمة والانتهاک لحرمته وقتل قرابته.

ويروى الحافـظ الهيثمى فى زوائـده عن عبـد الله بن عبـاس قـال: توفى ابن لصـفية عمـة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم فبكت عليه وصحت فاتاها النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لها:

1- (1) المعجم الأوسط للطبرانى: ج 6، ص 200؛ مستدرک الحاكم: ج 4، ص 73.

يا عمة ما يبكيک.

قالت: توفى ابنى. قال:

يا عمة من توفى له ولد فى الاسلام فصبر بنى الله له بيتا فى الجنة.

فسكتت ثم خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلها عمر ابن الخطاب فقال يا صفية قد سمعت صراخک ان قرابتک من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغنى عنک من الله شيئا فبكت فسمعها النبى صلى الله عليه وسلم وكان يكرمها ويحبها فقال:

يا عمة أتبكين وقد قلت لک ما قلت؟!

قالت: ليس ذاک أبكانى يا رسول الله استقبلنى عمر بن الخطاب فقال إن قرابتک من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغنى عنک من الله شيئا قال فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا بلال هجر بالصلاة فهجر بلال بالصلاة فصعد المنبر صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

ما بال أقوام يزعمون أن قرابتى لا تنفع كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى فإنها موصولة فى الدنيا والآخرة.

فقال عمر فتزوجت أم كلثوم بنت على رضى الله عنهما لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحببت أن يكون لى منه سبب ونسب ثم خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على نفر من قريش فإذا هم يتفاخرون ويذكرون أمر الجاهلية فقلت – منّا – رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الشجرة لتنبت فى الكبا قال فمررت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال يا بلال هجر بالصلاة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أيها الناس من أنا؟

قالوا: أنت رسول الله. قال:

أنسبونى.

قالوا: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال:

أجل أنا محمد بن عبد الله وأنا رسول الله فما بال أقوام يبتذلون أصلى فوالله لأنا أفضلهم أصلا وخيرهم موضعا.

قال فلما سمعت الأنصار بذلک قالت قوموا فخذوا السلاح فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أغضب قال فأخذوا السلاح ثم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم لا ترى منهم إلا الحدق حتى أحاطوا بالناس فجعلوهم فى مثل الحرة حتى تضايقت بهم أبواب المساجد والسكک ثم قاموا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لا تأمرنا بأحد إلا أبرنا عترته فلما رأى النفر من قريش ذلک قاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذروا وتنصلوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الناس دثار والأنصار شعار.

فأثنى عليهم وقال خيرا(1).

4 - الإشارة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقتلهم كما فى معركة بدر.

وهذا ما يخص بنى هاشم بشكل عام. ولو أردنا أن نحصى الشواهد على محاربة على وفاطمة وولديهما فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخرج الكتاب عن العنوان.

1- (1) مجمع الزوائد للهيثمى: ج 8، ص 216. ذخائر العقبى للطبرى: ص 6.

ولكن:

يكفى بالباحث والقارئ التتبع لهذه الحقيقة، أى: محاربة كل ما له صلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن هذه الحرب تزداد ضراوتها كلما كانت هذه الصلة أقوى وأقرب لتتبلور فى على وفاطمة عليهما السلام بالرجوع إلى أول عملية قتل لنسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتى كانت بعد وفاته مباشرة حينما تم الهجوم على بيت فاطمة فاسقطت المحسن عليه السلام وهو أول شهيد من بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى لو قدر الله له البقاء لكان ثلث نسل رسول الله منه.

لكن شاء الله تعالى أن يشهد على وفاطمة عليهما السلام أول القرابين إليه فى حياتهما.

ثم تلته بعد ذلک قتل فاطمة عليها السلام التى كان نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها بعد مرور خمسة وسبعين يوما على وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبذلک يكون أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم قد سددوا رميتهم إلى قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وقطعوا مشكاة نسله.

ثم قتلوا ولده الإمام الحسن عليه السلام حينما دس إليه معاوية وابنه يزيد السم بعد أن تمكن أعوانه من الوصول إلى زوجته جعدة بنت الأشعث فدفعوا السم إليها والمال وتزويجها بيزيد بن معاوية(1).

1- (1) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 13، ص 284. الوافى بالوفيات للصفدى: ج 12، ص 68. البداية والنهاية لابن كثير: ج 8، ص 47. مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الاصفهانى: ص 31. شرح الأخبار للقاضى النعمان المغربى: ج 3، ص 123. الاستيعاب لابن عبد البر: ج 1، ص 389. أسد الغابة لابن الأثير: ج 2، ص 15. تهذيب الكمال للمزى: ج 6، ص 252-253. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 2، ص 260.

حتى إذا وصلنا إلى كربلاء نجد إصرار المنافقين على إبادة الحسين عليه السلام وذريته جميعاً وبشتى الطرق، والمناداة بذلک:

1 – فقد روى الطبرى أن: شمر بن ذى الجوشن حمل حتى طعن فسطاط الحسين برمحه ونادى علىّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله، قال فصاح النساء وخرجن من الفسطاط، قال: وصاح به الحسين عليه السلام:

«يا ابن ذى الجوشن أنت تدعو بالنار لتحرق بيتى على أهلى، أحرقک الله بالنار!»(1).

2 – حينما تصدى أصحاب الحسين عليه السلام وبنو هاشم لجيش عمر بن سعد ومنعوهم من الوصول إلى خيام الإمام الحسين عليه السلام نادى عمر بن سعد بالجيش: (أحرقوها بالنار فأضرموا فيها النار فصاحت النساء، ودهشت الأطفال، فقال الحسين عليه السلام:

«دعوهم يحرقوها فإنهم إذا فعلوا ذلک لم يجوزوا إليكم، فكان كما قال»(2).

3 – لم يزل ابن سعد يحاول القضاء على الحسين وأهله فنراه يأمر الجيش

1– (1) تاريخ الطبرى: ج 4، ص 334؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج 4، ص 69؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج 8، ص 197؛ مقتل الحسين لأبى مخنف: ص 141.

2– (2) تاريخ الطبرى: ج 4، ص 334؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج 4، ص 69.

بقوله: (ويحكم اهجموا عليه مـا دام مشـغولا بنفسه وحرمه، والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسـرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسـهام حتى تخالفت السـهام بين أطناب المخيم وشک سـهم بعض أزر النساء فدهشن وأرعبن وصـحن ودخلن الخيمة ينظرن إلى الحسين كيف يصنع)(1).

كل هـذه المحاولات كشـفتها وقعة الطف حتى إذا انجلت الحرب وإذا بنا نشـهد صوراً جديدة تؤكد هذه الحقيقة وهى السـعى فى القضاء على نسل رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وإبادة أهل بيته، لكن أنّى لهم ذلک وقد شاء الله أن يحفظ نسل رسوله صـلى الله عليه وآله وسـلم وحبيبه، فبوجود العقيلة زينب عليها السـلام وبجهادها اسـتطاعت أن تحفظ بقية الله وحجته ومورد ذرية رسوله صـلى الله عليه وآله وسلم.

فكانت هذه المشاهد كالآتى:

1 - روى الطبرى عن حميـد بن مسـلم، أنه قال: انتهيت إلى على بن الحسـين ابن على الأصـغر وهو منبسط على فراش له وهو مريض وإذا شمر بن ذى الجوشن فى رجالة معه يقولون: ألا نقتل هذا؟

قال، فقلت: سبحان الله، أنقتل الصبيان إنما هذا صبى.

قال: فما زال ذلک دأبى أدفع عنه كل من جاء حتى جاء عمر بن سـعد فقال: ألا، لا يـدخلن بيت هؤلاء النسوة أحد، ولا يعرضن لهذا الغلام المريض ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليرده عليهم، قال: فو الله ما رد أحد شيئا(2).

1- (1) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للمقرم: ص 291.

2- (2) تاريخ الطبرى: ج 4، ص 347. مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبى مخنف الأزدى: ص 201.

وفی روایـة السـید المقرّم «رحمه الله» کـان المشـهد أکثر وضوحـا فقال «رحمه الله»: وانتهی القوم إلی علی بن الحسـین وهو مریض علی فراشه لا یسـتطیع النهوض فقائل یقول: لا تدعوا منهم صغیراً ولا کبیراً، وآخر یقول لا تعجلوا حتی نستشیر الأمیر عمر بن سعد وجرد الشمر سیفه یرید قتله فقال له حمید بن مسلم: یا سبحان الله أتقتل الصبیان؟ إنما هو صبی مریض فقال: إن ابن زیاد أمر بقتل أولاد الحسین، وبالغ ابن سعد فی منعه خصوصاً لما سمع العقیلة زینب ابنة أمیر المؤمنین تقول:

«لا یقتل حتی أقتل دونه فکفوا عنه»(1).

2 – وحینما أمر عبیـد الله بن زیاد بإدخال بنات رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم إلی قصـر الإمارة، وبعد فظاظته وعجرفته مع ابنة أمیر المؤمنین زینب علیها السلام التی عقرت بکلماتها رحم سلطانه أن قال لعلی بن الحسین علیهما السلام وقد التفت إلیه: ما اسمک؟ قال:

«علی بن الحسین».

فقال: أو لم یقتل الله علیا؟ فقال زین العابدین علیه السلام:

«کان لی أخ أکبر منی یسمی علیا قتله الناس».

فرد علیه ابن زیاد بأن الله قتله، قال علیه السلام:

«الله یتوفی الأنفس حین موتها وما کان لنفس أن تموت إلا بإذن الله»(2).

وروی الطبری: أن ابن زیاد حینما سمع هذا القول من الإمام زین العابدین

1- (1) مقتل الإمام الحسین علیه السلام للسید المقرم.

2- (2) المصدر السابق: ص 242.

علیه السلام قال: أنت والله منهم، ویحک أنظروا هل أدرک؟ والله إنی لأحسبه رجلاً قال: فکشف عنه مری بن معاذ الأحمری، فقال: نعم، قد أدرک.

قال: أقتله.

قال علی بن الحسین علیه السلام:

«من توکل بهؤلاء النسوة».

وتعلقت به زینب عمته فقالت:

«یا ابن زیاد حسبک منا، أما رویت من دمائنا، وهل أبقیت منا أحداً».

قال: فاعتنقته، فقالت:

«أسألک بالله إن کنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتنی معه».

قال: وناداه علی بن الحسین فقال:

«یا ابن زیاد إن کانت بینک وبینهن قرابة فابعث معهن رجلاً تقیاً یصحبهن بصحبة الإسلام».

قال: فنظر إلیها ساعة ثم نظر إلی القوم فقال:

عجباً للرحم والله إنی لأظن أنها ودت لو أنی قتلته أنی قتلتها معه، دعوا الغلام انطلق مع نسائک(1).

إذن: إن من الآثار التی ظهرت فی إخراج الإمام الحسین علیه السلام لعیاله إلی کربلاء هو حفظ نسل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من الانقطاع فضلاً عن حفظ حجة الله تعالی الذی کان منه أئمة ثمانیة سلام الله علیهم أجمعین.

1- (1) تاریخ الطبری: ج 4، ص 348. البدایة والنهایة لابن کثیر: ج 8، ص 211، مقتل الإمام الحسین علیه السلام لأبی مخنف: ص 206.

الأثر الحادى عشر: الأثر الوجدانى

لم يشـهد التاريخ الإنسانى ولاسيما العربى أن هناك امرأة استطاعت أن تمتلك القدرة على تحريك الحس الوجدانى كعقيلة الطالبيين وابنة أمير المؤمنين زينب عليهمـا السـلام، بـل تكـاد تكون هـذه الصـفة منحصـرة بها وكأنها هى الوحيـدة التى أصـيبت من بين بنات على أمير المؤمنين عليه السلام حتى لقبت بألقاب عديدة تنم عن حجم تأثيرها عليها السلام بالمشاعر الإنسانية.

فلقـد لقبت بأم المصائب، وكعبة الرزايا؛ ومرفأ الدمعة، وأم الحزن، وغيرها من الألقاب التى يدركها الإنسان الحى والمنصف – بغض النظر عن دينه أو مذهبه – وذلک أن المناط بهذا كله هو الوجدان الإنسانى.

ولذا:

حينما يكون هـذا الأثر الحساس والفعال متلازماً مع خروج النساء والأطفال نوقن أن النتائج التى حققها هذا الخروج – لاسـيما فيما يخص هـذا الأثر – لها من الخطورة بمكان ما جعل الحكام الأمويين والعباسـيين وبعض المذاهب المخالفة لمذهب العترة النبوية أن تشد العزم بمحاربـة كل ما له علاقـة بتحريک هـذا الحس الوجدانى، لغرض التمكن من منع الإنسان من التأثر بهذه الرزية أو الانقياد لها وإتباعها مما يعنى نشر مذهب العترة النبوية عليهم السلام.

فضـلاً عن كشف حقيقـة هؤلاء الحكام، بل أبعد من ذلک تقديم صورة نقية لا تشوبها شائبة عن تلک الحقبة الزمنية التى أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن التاريخ الذى وضعته أيدى المتزلفة للحكام إنما صيغ بمقاس

يتناسب مع مقتضيات الحكام وغرائزهم وشهواتهم.

ومن ثم: يصبح الناظر أمام حالين إما:

1. إعادة النظر والتأمل والتفكر ليصل به الفكر إلى القطع بظلامة أهل البيت عليهم السلام وضياع حقهم وإنهم أولى بالإتباع والاقتداء فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

2. واما انه بحاجة اولاً إلى النظر فى نفسه وطريقة تفكيره ونظرته للأمور، وذلک ان عدم التأثر وجدانياً بهذه الأحداث هو خلاف الطبيعة الإنسانية.

ولعل تتبع الشواهد الإنسانية المفعمة بالعاطفة والحزن والدمعة والزفرات يخرج البحث عن عنوانه إلا أننا نكتفى بشاهد واحد من التاريخ الإسلامى الذى عمل الرواة جاهدين على حبس هذه المشاهد عن الظهور إلى الناس.

فقد روى الطبرى عن أبى مخنف عن أبى زهير العبسى، عن قرة بن قيس التميمى قال: نظرت إلى تلک النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده، صحن ولطمن وجوههن.

قال: فاعترضتهن على فرس، فما رأيت منظرا من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن، ذلک والله لهن أحسن من مهى يبرين، قال فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعا، وهى تقول:

«يا محمداه صلى عليک ملائكة السماء، هذا حسين بالعرا، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء.

يا محمداه، وبناتک سبايا، وذريتک مقتلة تسفی عليها الصبا».

قال: فأبكت والله كل عدو وصديق(1).

أقول: يعز على كل مسلم غيور، وعلى كل عربی صاحب حمية أن تتعرض بنات النبوة وربيبات الرسالة إلى هذا الهتک للحرمة وقد قتلت رجالهن وحماتهن وهن لا حول لهن ولا قوة فان كان الرجال برزوا للحرب فقاتلوا وقتلوا فما بال النسوة وهن بهذه القرابة القريبة من سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وأی دين أصبح لدى الناس فی أرض الطفوف؟!

الأثر الثانی عشر: ترسيخ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتهاكها وتثبيتها فی نفوس المسلمين

اشارة

إنّ من الحقائق التی كشفتها واقعة الطف فی يوم عاشوراء اعتقاد الناس بذهاب حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته إلى المستوى الذی شهدته كربلاء من سفک دماء ولده وسبی بناته فلم يشهد حينها دين من الأديان هذا الحد من التجرى على الله وأنبيائه ورسله.

ولعل البعض يستغرب من هذه الحقيقة مستبعداً إن ذلک الاعتقاد كان سائداً فی المجتمع الإسلامی لاسيما - وكما أسلفنا - إننا نتحدث عن أناس كانوا بحسب الموازين الحديثية أنهم أبناء أهل غير الأزمنة، فهم اتباع السلف الصالح ومن ثم كيف يمكن أن يكون هؤلاء صلحاء وهم قد تجروا على الله تعالى ورسوله بتلک

1- (1) مقتل أبی مخنف: ص 204؛ تاريخ الطبرى: ج 4، ص 349؛ الكامل فی التاريخ لابن الأثير: ج 4، ص 82؛ البداية والنهاية لابن الأثير: ج 8، ص 210؛ اللهوف لابن طاووس: ص 79؛ جواهر المطلب لابن الدمشقی: ج 2، ص 291.

الانتهاكات للحرمة؟!

فإما أننا نقرأ هذه الوقائع وهى تتحدث عن أناس لم يعرفوا الإسلام ولم تسمع آذانهم باسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهم غرباء عنه، فكيف لهم أن يؤمنوا به؟!

وأما أننا أمام حقيقة مرة تؤكد أن هؤلاء عرفوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوا حديثه إلاّ أنهم لم يؤمنوا به، بل حقدوا عليه أشد الحقد وبغضوه وحاربوه حيا وميتاً، بل إن حربهم له صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته أشد بكثير من حربهم له فى حياته، وذلک لخوفهم من الافتضاح.

قال تعالى:

يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ 1 .

ولذا:

فحينما شاء الله تعالى: «ان يراهن سبايا» كان من مصاديق هذه المشيئة إظهار ما كان المنافقون يحذرون من كشفه فأخرجه الله تعالى فى يوم عاشوراء وغيره. كما نصت الآية المباركة.

كانوا سراعاً فى انتهاک هذه الحرمة وأخذ الثأر منه ببنيه وذريته فأول ما بدأوا به هجومهم على دار ابنتة فاطمة واقتحامه وجمع الحطب على بابها وحرقها.

ص:200

ولم يكن وجود الحسن والحسين وأمهما فاطمة وهى بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التى يرضيه ما يرضيها ويغضبه ما يغضبها(1) ، بما نعهم عن حرق دارها واقتحامهم له، حتى وقفت - بأبى وأمى - خلف الباب لعل البعض منهم يرتدع حينما يسمع صوتها ويعلم بوجودها فلا ينتهک حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لعلها أرادت أن تقطع عليهم العذر حينما يخاصمهم سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة فيقول أحدهم اننى لم أكن أعلم بوجودها.

ولذلک:

وقفت تنادى فيهم وترد على عمر بن الخطاب حينما أخذ ينادى: يا ابن أبى طالب: افتح الباب فقالت فاطمة عليها السلام:

«يا عمر، ما لنا ولک؟ ألا تدعنا وما نحن فيه».

قال: افتحى الباب وإلاّ أحرقناه! فقالت:

«يا عمر، أما تتقى الله عزّ وجل، تدخل بيتى وتهجم علىّ دارى».

فأبى أن ينصرف، ثم دعا عمر بالنار فأضرمها فى الباب، فأحرق الباب، ثم دفعه عمر.

فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت:

«يا أبتاه يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!».

فرفع - عمر - السيف وهو فى غمده فوجأ به جنبها فصرخت، فرفع السوط

1- (1) أنظر صحيح البخارى، كتاب بدء الخلق، باب مناقب المهاجرين وفضلهم: ج 4، ص 23.

فضرب به ذراعها فصاحت:

«يا أبتاه!»(1).

فهذه النار التى أضرمت بقلب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحرقت دار بضعته وانتهكت حرمته وقتل ولده كانت الأساس الذى بنى فوقه الناس التجرى على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ليتضاعف هذا اللهب فيحرق قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتل على بن أبى طالب عليه السلام فى محراب جامع الكوفة ومسجدها ثم لينثنى بعده على ريحانته المجتبى فيمضى إليه مسموماً وقد قطع كبده ورمى جثمانه بالسهام ثم تمنعه عائشة من الدخول إلى روضة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهى تنادى بصحابة النبى وبأهل بيت النبوة:

(لا تدخلوا بيتى من لا أحب، إن دفن الحسن فى بيتى لتجز هذه)(2) وأشارت إلى ناصيتها.

فكيف ورثت الزوجة دون البنت، هذا ما لم يكن فى ملة من الملل إلا فى هذه الأمة التى لم تدع حرمة لنبيها إلا انتهكتها.

حتى إذا وصلنا إلى كربلاء الرزايا فإننا نجد أعظم المصائب التى ألمت برسول

1- (1) كتاب سليم بن قيس بتحقيق محمد باقر الأنصارى: ص 150؛ بحار الأنوار للمجلسى: ج 28، ص 269.

2- (2) وسائل الشيعة للحر العاملى: ج 1، ص 35، (مقدمة التحقيق)؛ الإرشاد للمفيد: ج 2، ص 18؛ الخرائج والجرائح للراوندى: ج 1، ص 242؛ تاريخ اليعقوبى: ج 2، ص 225؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 16، ص 50.

الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشدها ألماً.

فبين قتل ولده وذريته، وسفک دمائهم، والتمثيل بهم، وبين سبى بناته وسلبهن، وكشف رؤوسهن، وضرب أجسامهن بالسياط وكعوب الرماح، ثم يطاف بهن البلاد يستقبلهن الذمى واليهودى والنصرانى والمسلم والعربى والأعجمى.

كل هذه المشاهد المروعة والمرسخة للتجرى على الله وانتهاک حرمته وحرمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كانت بحاجة إلى ما يعيدها إلى وضعها الصحيح، أى إرجاع الحرمة للحدود الشرعية وحرمة الله ورسوله إلى أذهان الناس لتستقر فى قلوبهم بعد أن صدأت بما أسسه السلف.

فكان كالآتى:

أولاً: دخولهن بالحالة المفجعة إلى الكوفة عمل على تصديع سنة التجرى

إن من السمات الأولى التى يظهرها خطاب السيدة زينب عليها السلام فى الكوفة هو انقلاب حال الكوفة عند رؤيته للسبايا وما رافقه من مشاهد للرؤوس لاسيما رأس ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

إذ تظهر العقيلة زينب (عليها السلام) الحالة التى أصبح عليها الناس من خلال خطابها فتمرر للقارئ والباحث ذلک المشهد العام الذى أصبح عليه الناس لتقطع الطريق على المتزلفة والوضاعة حينما يحاولون طمس هذا التحرک الاجتماعى والهيجان النفسى الذى أحدثته العقيلة زينب عليها السلام على الرغم من كل التراكمات التى جمعتها السنين وهى تتلقى فكر التجرى فى مجتمع الكوفة.

ص:203

هذه المدينة التى غير فيها التثاقف السفيانى فصدع بنيانها الفكرى ومعطياتها العقائدية إلى ذلک المستوى الذى شهدته أرض کربلاء(1).

فما کان دخول السبايا ومرورهن بين تلک الجموع إلا کحالة الکى للجرح الذى أصاب المسلمين منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعقبه انعقاد السقيفة.

ولذا: وقفت ابنة أمير المؤمنين تخاطب هذا الجمع فابتدأت بأول هذه المعالجات الاجتماعية والعقائدية فقالت:

«الحمد لله، والصلاة على أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»(2).

وفى لفظ:

«الحمد لله والصلاة على أبى محمد وآله الطيبين الأخيار»(3).

إذن:

جوهر القضية العاشورائية هى حرمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولذا استخدمت فى صلاتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفظ (أبى) ولم تقل جدى أو نبى الله، أو رسول الله، أو غيرها من أسمائه وصفاته، فهذه الواقفة الآن أمامکم هى ابنته وهى من يُبتدأ الکلام بحمد الله والصلاة على أبيها.

1- (1) لمعرفة المزيد عن الآثار التثاقفية التى اهتم بها الأنثروبولوجيون، ينظر: کتاب الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية لمجتمع الکوفة عند الإمام الحسين عليه السلام للمؤلف.

2- (2) الأمالى للشيخ المفيد: ص 323. الأمالى للطوسى: ص 92.

3- (3) اللهوف فى قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ص 86. البحار: ج 25، ص 109. العوالم، للإمام الحسين عليه السلام: ص 378.

ثم تنحدر ابنة سيد البلغاء والمتكلمين إلى أداة علاجية أخرى وهى صدمهم بعظيم الجرم الذى فعلوه، فقالت:

«أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟».

إذن:

عامـة أهل الكوفـة اليوم فى حال البكاء، والباكى حينما يبكى إنما لشـعوره بالنـدم على تفريطه فى حق الله وحق رسوله صـلى الله عليه وآله وسـلم، مما يعنى: أنهم فى حال من الغليان النفسـى وحرارة المشاعر الوجدانيـة فيحتاجون مطرقـة من يد ابنة على الكرار تعيد النفوس التى اعوجت إلى الاستقامة.

فقالت:

«فلا رقأت الدمعـة ولا هـدأت الرنـة إنما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعـد قوة انكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ألا وهل فيكم إلا الصـلف النطف والصدر الشـنف وملق الإماء وغمز الأعداء أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون»(1).

ثم تعود سلام الله عليها إلى تأجيج نار الندم فى قلوبهم ليكوّنوا أساساً جيداً لبناء صون الحرم فقالت:

«أتبكون وتنتحبون، أى والله فأبكوا كثيرا، واضـحكوا قليلاً، فلقد فزتم بعارها وشـنارها، ولن تغسـلوا دنسها عنكم أبداً، فسليل خاتم الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، وأمارة محجتكم، ومدرجة حجتكم خذلتم، وله قتلتم؟! ألا ساء ما تزرون،

1- (1) مثير الأحزان لابن نما الحلى: ص 66.

فتعسا ونكساً، فلقد خاب السعى، وتربت الأيدى، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة»(1).

ثانيا: إن هتك حرمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يسده شىء.

بعد هذا الغليان الذى تجمرت له القلوب التى وقفت تستمع لابنة الكرار انعطفت عليها السلام تطرقها بمطرقة الحرمة النبوية التى انتهكت فقالت:

«ويلكم يا أهل الكوفة:

أتدرون أى كبد لرسول الله فريتم؟

وأى كريمة له أبرزتم؟

وأى دم له سفكتم؟

وأى حرمة له انتهكتم؟

لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السماوات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدّا!

ولقد أتيتم بها فرقاء شوهاء كطلاع الأرض، وملء السماء؛ أفعجبتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وإن ربكم لبالمرصاد»(2).

قال خزيمة الأسدى وقيل بشر: فو الله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى قد ردوا أيديهم إلى أفواههم(3).

1- (1) الأمالى للشيخ المفيد: ص 323، ح 8. الأمالى للطوسى: ص 92. مناقب آل أبى طالب: ج 3، ص 362.
2- (2) الاحتجاج للطبرسى: ج 2، ص 31؛ مناقب آل أبى طالب: ج 3، ص 262؛ بلاغات النساء لابن أبى طيفور: ص 24.
3- (3) الفتوح لابن أعثم الكوفى: ج 5، ص 121.

ثالثا: التلازم بين حرمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة أبنائه وذريته

بعـد هذا الزلزال الذى أحدثته العقيلة زينب عليها السـلام فى أرض تلك القلوب المتحجرة تأتى السـيدة أم كلثوم بأداة لعلاج تلك القلوب، وذلك من خلال بيان التلازم فيما بين حرمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة أهل بيته وأبنائه وذريته فقالت عليها السلام:

«صه يا أهل الكوفـة تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم، فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب. يا أهل الكوفـة سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسـيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتباً لكم وسـحقاً، ويلكم أتـدرون أى دواه دهتكم وأى وزر على ظهوركم حملتم، وأى دماء سـفكتم وأى كريمـة أصـبتموها وأى صبيـة أسـلمتموها وأى أموال انتهبتموها قتلتم خير الرجالات بعـد النبى ونزعت الرحمة من قلوبكم ألا إن حزب الله هم المفلحون، وحزب الشيطان هم الخاسرون».

فضج الناس بالبكاء ونشرن النساء الشعور وخمشن الوجوه ولطمن الخدود ودعون بالويل والثبور فلم ير ذلك اليوم أكثر باك)(1).

وهنا: نرى بوضوح حقيقـة هذا التلازم فى الحرمة بين النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم وذريته وما يرتبط بهم من أموال وممتلكات وأعراض التى فرضت حولها الشريعة الإسلامية حدوداً كثيرة توجب على المسلم الالتزام بها وعدم التعدى عليها.

وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُولئِکَ هُمُ الظّالِمُونَ 2 .

1- (1) مقتل الإمام الحسـين عليه السـلام للسيد المقرم: ص 332؛ البحار: ج 45، ص 112؛ مثير الأـحزان لابن نما الحلى: ص 69؛ اللهوف للسيد ابن طاووس: ص 91.

الأثر الثالث عشر: الدفاع عن حق على عليه السلام فى الوصاية والخلافة التى اغتصبت

إنّ من الآثار التى أظهرها إخراج النساء إلى أرض كربلاء هو الدفاع عن حق على عليه السلام فى الوصاية والخلافة التى اغتصب بلحاظ كونه أول الحقوق التى انتهكت وضيّعت، وإن الأمة التى اغتصبت حق الله فى تعيين الخليفة وجعله فى مقام الوصاية لرسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وتعديهم على هذا المقام ودفع صاحبه الشرعى عنه وإعطائهم أنفسهم الحق فى الاختيار والتعيين على الرغم من نهى القرآن عن ذلک لحرى بها أن تنساق إلى ما هو أعظم من الانتهاكات لمقام الخلافة، وهو سفک دماء حجة الله ووصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسفک دماء أهل بيته وولده وأصحابه. قال تعالى:

وَ رَبُّکَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللّهِ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ 1 .

وقال سبحانه:

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً2 .

من هنا: كان دفاع بنات النبوة عن الشريعة وإرجاع الحق إلى موضعه ولو من باب الاحتجاج على الخصم الذى لم ينته من التعدى على تلک الحرم الإلهية التى كشفت حقيقة اعتقاده وثقافته الشرعية التى تختلف جذرياً عن المعطيات القرآنية والتعاليم السماوية.

ص:208

لكن الملاحظ فى هذا الدفاع هو تسلسله فى التوجيه وكأنه ضربات سيف تتوالى على المعاند لتقطع تلك القيود التى قيد بها قلبه المنافقون وعقله فانصاع إلى أعداء الله مناصراً وعن حجج الله منصرفاً بل ومحاربا.

ولذا:

كان المنهاج الدفاعى يترتب على مجموعة من الخطب التى استخدمت فيها العلاجات المناسبة والأدوات الفعالة لاستئصال هذا الورم الخبيث الذى ضرب بجذور العقيدة الإسلامية.

فكان أول الدفاع على لسان العقيلة زينب التى استطاعت - كما أسلفنا - تحريك القلوب التى أطبق عليها الرين فأظهرت عظمة حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى لم يراعوا له حرمة ثم بينت التلازم بين حرمته وحرمة أهل بيته حتى عظم من أهل الكوفة الندم ودعوا بالويل والثبور على أنفسهم، لتأتى بعد ذلك فاطمة الصغرى وهى ترى هذا الفتح الذى حققه خطاب العقيلة زينب، فتأتى هى بجولة جديدة من الدفاع عن الشريعة، فتضع أمامهم ذلك الحق الذى انتهكوه والحد الذى تعدوا عليه ألا وهو حق على بن أبى طالب عليه السلام فى خلافة مقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو الوصى الذى جعله الله تعالى فيه.

فقالت بعد حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على محمد وآله مدافعة عن خلافة على عليه السلام:

«اللهم إنى أعوذ بك أن أفترى عليك الكذب، وأن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه على بن أبى طالب عليه السلام، المسلوب حقه، المقتول من غير ذنب، كما قتل ولده بالأمس فى بيت من بيوت الله،

وبها معشر مسلمة بألسنتهم، تعسا لرؤوسهم! ما دفعت عنه ضيما فی حياته ولا عند مماته، حتی قبضته إليک محمود النقيبة، طيب الضريبة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فيک لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته يا رب للإسلام صغيرا، وحمدت مناقبه كبيرا، ولم يزل ناصحا لک ولرسولک صلی الله عليه وآله صلواتک عليه وآله حتی قبضته إليک، زاهدا فی الدنيا غير حريص عليها، راغبا فی الآخرة مجاهدا لک فی سبيلک، رضيته فاخترته، وهديته إلی طريق مستقيم»(1).

وهذه الكلمات قد احتضنت كثيراً من الحقائق التی ضمت حياة الإسلام منذ بعث المصطفی صلی الله عليه وآله وسلم والی يوم عاشوراء لا يسع المجال للاسهاب فی دلالاتها ففيها الكفاية لمن كان له قلب، وإلا أی منصف وبغض النظر عن معتقده وهو ينظر فی هذه الكلمات ولا يجد فيها ما نزل بعلی بن أبی طالب من الظلم من هذه الأمة فضلاً عن بيان شخصه المتفرع من القرآن والسنة المحمدية.

الأثر الرابع عشر: الأثر الإرشادی

يعد الأثر الإرشادی من أبرز الآثار ظهوراً فی خروج بنات رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وحرمه من كربلاء إلی الشام، وسبب هذا الظهور يعود إلی مجموعة من العوامل:

1 – الاختلاف فی تفاعل المجتمعات عند رؤيتها لحرم آل محمد صلی الله عليه وآله وسلم وهی تدخل عليها، فمنها ما كان متعاطفاً ومنها ما كان شامتا ومتشفيا ومنها ما كان متجاهلاً أو جاهلاً.

1– (1) الاحتجاج للطبرسی: ج 2، ص 27؛ مثير الأحزان لابن نما: ص 67؛ البحار: ج 45، ص 110.

2 – ترتب مجموعة من السنن الكونية على تلك المجتمعات التى تعاملت مع دخول حرم آل محمد إليها كل حسب تأثره حجماً ونوعاً.

3 – استحقاق بعض أفراد هذه المجتمعات الجزاء الأخروى الآنى واكتساب الجنة على الرغم من هول المنظر الذى رافق دخول هؤلاء النسوة والأطفال إلى هذه المدن مما يترتب عليه من الناحية الاجتماعية والنفسية آثار ارتداعية، بمعنى: زرع الذعر فى نفوس الناس كى لا يحاول أحدهم الخروج على الحاكم أو مجرد الاعتراض عليه، وأنى له الوقوف بوجه الحاكم وهو يرى أن آل النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا حالهم؟!

إلا أن ذلك الرعب لم يكن بمانع بعض الرجال أو النساء من الاستجابة السريعة إلى صوت الحق والعدل ومحاربة الظلم ونصرة المظلوم، وأى مظلوم أعظم من الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!

ولذلك:

نجد أن دخول سبايا آل محمد إلى الكوفة والشام وهم بتلك الحال دفع البعض إلى عدم التحمل فى السكوت فانبرت إحدى النساء لتسأل بنات النبوة من أى الأسارى أنتم؟!

قلن:

(نحن أسارى آل محمد).

سؤال غريب جداً!

والغرابة فيه يمكن الوقوف عليها من خلال الاحتمالات الآتية:

ألف: إما أن هـذه المرأة الكوفيـة قـد رأت وجوهاً قد جللها النور وعلاها الحسن والجمال فدفعها الحس الأنثوى لمعرفة هوية هؤلاء النسوة لاسـيما وقد نصت بعض المقاتل على وضاءة تلك الوجوه كقول فاطمة بنت أمير المؤمنين عليهما السـلام لما أدخل السـبايا على يزيد فى الشام وقد رأها أحد رجال الشام فطلب من يزيد أن يهبها له كى تكون خادمة.

فقالت:

وكنت جاريـة - أى فتـاة - وضـيئة، فأرعـدت وفرقت وظننت أن ذلـک جائز لهم وأخـذت بثياب أختى زينب وكانت أختى زينب أكبر منى وأعقل وكانت تعلم أن ذلک لا يكون فقالت:

«كذبت والله ولؤمت ما ذلک لک وله...»(1).

ومما يدل عليه أيضاً:

1. ما رواه الحميرى القمى عن جعفر بن محمـد عن أبيه، قال: (لما قدم على يزيد بذرارى الحسـين عليه السـلام دخل بهن نهاراً مكشوفات وجوههن، فقال أهل الشام الجفاة: ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء، فمن أنتم؟ فقالت سكينة بنت الحسين عليه السلام:

(نحن سبايا آل محمد)(2).

2. مـا رواه الطبرى عن أبى مخنف عن قرة بن قيس التميمى قـال: نظرت إلى تلـک النسوة لمـا مررن بحسـين وأهله وولـده، صـحن ولطمن وجوههن، فاعترضتهن

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 4، ص 353؛ الأمالى للصدوق: ص 213؛ الإرشاد للشيخ المفيد: ج 2، ص 121؛ تاريخ دمشق: ج 69، ص 177.

2- (2) قرب الإسناد للحميرى: ص 26؛ الأمالى للصدوق: ص 230.

على فرس، فما رأيت من منظر من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن(1).

باء: أو أن تكون الحالة التى كانت عليها السبايا لم يشهد أهل الكوفة مثلها من قبل على الرغم من أنهم قد اعتادوا على رؤية السبايا، وذلک أن الكوفة كانت حاضنة للجند وممراً للمقاتلين باتجاه الشرق وعليه سيكون دخول السبايا القادمة من الفتوحات امراً طبيعيا للكوفيين.

ولم تكن الحالة التى كان عليها النساء والأطفال بباعثة للتساؤل فى نفوس نساء الكوفة أو غيرهن من النساء فقط و إنما تعدّى الأمر كذلک إلى الرجال مما عمل على تحقق الأثر الإرشادى والوعظى لهذا الوجود النبوى فى حركة السبايا.

وهو ما نجده فى الشام حينما أدخلت بنات النبوة لهذا البلد فى أول يوم من صفر فأوقفوهم على باب الساعات، وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وهم فى فرح وسرور ودنا رجل من سكينة وقال: من أى السبايا أنتم؟

قالت:

نحن سبايا آل محمد.

والملاحظ فى هذا المشهد التأريخى أمور:

أولاً: إن الحال الذى كان عليه بنات النبوة والأطفال يختلف من مكان إلى آخر.

فالحال الذى كانوا عليه فى الكوفة يختلف عنه فى الشام ولذلک نجد: ان صيغة السؤال فى الكوفة كانت:

1- (1) مقتل أبى مخنف: ص 204. تاريخ الطبرى: ج 4، ص 349.

من أى الاسارى أنتم؟

فكان الجواب بنفس الصيغة فقال سكينة:

نحن أسارى آل محمد.

بمعنى تأكيداً للحالة المأساوية التى كان عليها هؤلاء النساء والأطفال حينما دخلوا الكوفة وهى حال الأسر.

لكن الحال الذى كانوا عليه فى الشام يختلف فقد دل عليه سؤال الرجل قائلا:

من أى السبايا أنتم؟

أى أصبحت الحالة التى هم عليها (حالة السبى) وهى أعظم من حال الأسر؛ إذ ليس كل أسير يتم قتل ولده وسلب ماله فى حين المسبى يكون مفجوعاً بقتل ولده، وسلب ماله وكذا المرأة المسبية فانها تكون قد سلبت ما لديها من زوج وابن ومال وأقله مقنعتها.

ثانياً: أن أهل الشام قد استقبلوا سبايا آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحال من الفرح والسرور والشماتة التى لم يلقها آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مجتمع من المجتمعات التى مروا بها خلال هذه المسيرة ولعل هذه الظاهرة الاجتماعية ترشدنا إلى أمور منها:

1 – أنهم قد امتازوا بولائهم ليزيد بن معاوية بن أبى سفيان إلى المستوى الذى شاركوه فرحته بقتل ابن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسبى نسائه لدرجة النشوة، فيقول لما رآهم وهم على تلك الحال:

لما بدت تلک الحمول وأشرقت تلک الرؤوس علی شفا جیرونی

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضیت من الرسول دیونی(1)

هذه الفرحة الغامرة التی امتلکت یزید بن معاویة لم تکن بخافیة علی أهل الشام بل شارکوه آنذاک الفرحة، ولذا؛ خرجوا یستقبلون سبایا آل محمد بالدفوف والبوقات وهم فی فرح وسرور.

2 – أو أنهم تحت إعلام جائر ومنافق جعل من معاویـة وبنی أمیة – أی هذا الإعلام المسـموم – جعلهم أفضل الناس بعد النبی صـلی الله علیه وآله وسلم والشواهد علی هذه الحقیقة کثیرة، فمنها:

1. عن واثلة بن الأسقع مرفوعاً: کاد معاویة أن یبعث نبیاً من حلمه وائتمانه علی کلام ربی(2).

2. عن عثمان بن عفان: هنیئاً یا معاویة، لقد أصبحت أمیناً علی خبر السماء(3).

3. عن جابر مرفوعاً: الامناء عند الله سبعة، القلم، وجبرائیل وأنا، ومعاویة، واللوح، وإسرافیل، ومیکائیل(4).

4. عن أبی هریرة: الأمناء ثلاثة: أنا، وجبرائیل ومعاویة(5).

1– (1) مقتل أبی مخنف: ص 204. تاریخ الطبری: ج 4، ص 349.

2– (2) أوردها الحافظ الذهبی فی سیر أعلام النبلاء: ج 3، ص 130. فأردفها بقوله: فهذه الأحادیث ظاهرة الوضع.

3– (3) المصدر نفسه.

4– (4) المصدر نفسه.

5– (5) المصدر نفسه.

5. عن ابن عمر مرفوعاً: يا معاوية أنت منى وأنا منک لتزاحمنى على باب الجنة(1).

ولذا: نجد أن تعامل آل النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع هذا المجتمع فى بعض المشاهد التاريخية كان يستند إلى الإرشاد وكشف تلک الضبابية التى صنعتها أبواق المرتزقة والساسة الذين تزلفوا لبنى أمية فكانوا أدوات للخراب والدمار.

هـذه الحالـة الاجتماعيـة والعقائديـة كشـفها الحوار الـذى دار بين الإمام زين العابـدين عليه السـلام وأحد أبناء الشام الذين قدموا للتشـفى والسباب من هؤلاء السبايا وبطبيعة الحال فإن الشماتة لا يظهرها الإنسان من الناحية النفسية إلا بعد أن يجد غريمهُ على هيئة مفجعة وهو ما كـان عليه حال نساء النبوة وموضع الرسالـة؛ فكان هـذا الحوار الـذى جرى بين الإمام زين العابـدين والرجل الشامى يـدل على تحقق الأثر الإرشادى لخروج عيال الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء.

ولذلک:

لما دنا هذا الشيخ الشامى من الإمام زين العابدين عليه السلام قال للإمام: (الحمد لله الذى أهلككم وأمكن الأمير منكم).

ههنا أفاض الإمام من لطفه على هـذا المسـكين المغتر بتلک التمويهات الضالـة ساعياً لتقريبه من الحق وإرشاده إلى السبيل وهكـذا أهل البيت عليهم السلام تشرق أنوارهم على من يعلمون صفاء قلبه وطهارة طينته واستعداده للهداية.

1- (1) المصدر نفسه.

فقال علیه السلام له:

«یا شیخ أقرأت القرآن؟».

قال بلی: قال علیه السلام:

«أقرأت قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی 1 ؟

وقرأت وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْ ءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی 2 ؟».

قال الشیخ: نعم قرأت ذلک، فقال علیه السلام:

«نحن والله القربی فی هذه الآیات».

ثم قال له الإمام:

«أقرأت قوله تعالی : إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً3 .

قال: بلی. فقال علیه السلام:

«نحن أهل البیت الذین خصهم الله بالتطهیر».

قال الشیخ: بالله علیک أنتم هم فقال علیه السلام:

«وحق جدنا رسول الله إنا لنحن هم من غیر شک».

فوقع الشیخ علی قدمیه یقبلهما ویقول أبرأ إلی الله ممن قتلکم وتاب علی ید الإمام مما فرط فی القول معه وبلغ یزید فعل الشیخ وقوله فأمر بقتله)(1).

1- (4) مقتل الإمام الحسین علیه السلام للسید المقرم: ص 368؛ ینابیع المودة للقندوزی ج 1، ص 358؛ تفسیر الآلوسی: ج 15، ص 62.

الأثر الخامس عشر: تصحيح مسار سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الأمة

إن هذا الأثر هو من أدوم الآثار وأقواها استمرارية، بل: يكاد يكون هذا الأثر هو الثمرة الأبرز فى خروج بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى كربلاء.

لكن قبل الخوض فى بيان مصاديق هذا الأثر نتعرض أولاً إلى بيان مسألة صغيرة لغرض تحديد الوجه فى السير فى بيان هذه المصاديق، وهذه المسألة هى: التفاوت فى رتب الإيمان، وذلك أن القرآن الكريم لم يجعل الأنبياء ولا المرسلين على درجة واحدة ومنزلة واحدة وإن كانوا جميعاً ممن اختارهم ا لله سبحانه للنبوة والرسالة، إذ يجعل القرآن التفاضل فيما بينهم ضمن الحقائق القرآنية فيقول سبحانه:

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ 1 .

وهذه السنة الكونية حينما جرت فى الصفوة من الخلق والمنتجبين لحمل الشريعة كيف لا تكون فى غيرهم من بنى آدم؟! ولذا: لابد من التفريق بين منزلة الإسلام ومنزلة الإيمان كما نص عليها القرآن الكريم حيث قال سبحانه:

قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ 2 .

بمعنى ينحصر التفاوت فى الرتب الإيمانية بين اللسان والقلب، فالمسلم من نطق الشهادتين دون أن يقر بها قلبه، والمؤمن من قرّ بها قلبه وإن لم يجهر بها أمام

الناس وتلک معضلة لدی الناس لاسیما أن الإنسان محکوم بما یصدر عنه من أقوال وأفعال وفی الأغلب الأعم لا یلتفت أکثر الناس إلا إلی ما یخرج من الأفواه لا إلی ما یصدر من الأفعال وتلک حقیقة یمکن مشاهدتها فی کثیر من الشواهد التأریخیة والمواقف الحیاتیة.

ویکفی من ذلک شاهداً ما قام به معاویة من انتهاکات لحدود الله وهتک حرمته وحرمة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إلا أن هذا الفعل عند کثیر من الناس لا ـ یعنی لهم شیئا، أو بالأحری ینظر إلی قوله بالشهادتین بل: الأدهی من ذلک هو القیام بوضع المبررات له والتماس هذا فیما فعل من حربه لعلی بن أبی طالب علیه السلام وقتله الإمام الحسن علیه السلام بن بنت رسول الله وصحابة النبی صلی الله علیه وآله وسلم کحجر بن عدی ومحمد بن أبی بکر وعمار بن یاسر وغیرهم.

إذن: هناک تفاوت فی الرتب وهناک فرق واضح بین الإسلام والإیمان وهو ما یدعونا إلی بیان بعض المصادیق التی ظهرت فی هذا الأثر، أی: تصحیح مسار سنة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وذلک أن الناس بعد وفاة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قد رأت من بعض الصحابة ما کان کاشفاً عن هذا التفاوت بین الإسلام والإیمان حینما أقدم القوم علی کشف بیت فاطمة علیها السلام(1) بضعة سید المرسلین صلی الله علیه وآله وسلم.

1- (1) قال أبو بکر عند وفاته: «فوددت أنی لم أکشف بیت فاطمة عن شیء وإن کانوا قد غلقوه علی الحرب». أنظر فی ذلک: تاریخ الطبری: ج 2، ص 619؛ تاریخ ابن عساکر: ج 30، ص 420؛ کنز العمال للهندی: ج 5، ص 632.

فكان هذا الحدث هو أول انحراف عن مسار سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التى تنص على أن حرب فاطمة وعلى وولديهما هى حرب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن سلمهم سلمه(1).

ثم تتابع هذا الانحراف عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليظهر بأبشع صورة على أرض كربلاء حينما ذبح المسلمون ابن بنت نبيهم وحملوا رأسه على رمح يطاف به فى البلاد الإسلامية لينتهى به المطاف فى طشت أمام (الحاكم الإسلامى) وهو يقرعه بالعصا والمسلمون ينظرون إليه وكأنهم يشاهدون - وبغض النظر عن الطبيعة الإنسانية الرافضة لهذا الأسلوب المتوحش - رأس ألد أعدائهم فلم يكفهم قتله بل لم يشفهم سحق جسده بسنابك الخيل وتقطيعه وإنما يفعل برأسه هذا الصنيع.

ومن ثم: أصبح المجتمع الإسلامى فى أبعد ما يكون عن الإسلام.

وعليه: لزم أن يكون هناك تصحيح لهذا المسار وأن يصحو المسلمون من هذه الغفلة المطبقة على عقولهم وقلوبهم فكان ذلك من خلال وجود عقيلة بنى هاشم السيدة زينب عليها السلام التى وقفت تدق بكلماتها مع (الحاكم الإسلامى) طاغية بنى أمية وفرعونهم الأكبر تلك الجدران التى أحاطت بعقول المسلمين فأصبحوا صماً بكما فهم لا يعقلون إلى المستوى الذى جعلهم يعتقدون أن لا حرمة لرسول الله وأهل بيته وليس لهم منزلة عند الله تعالى.

1- (1) عن أبى هريرة قال: نظر النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى على وفاطمة والحسن والحسين وقال: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم». أنظر: مستدرک الحاكم: ج 3، ص 149؛ المصنف لابن أبى شيبة الكوفى: ج 7، ص 512؛ الصحيح لابن حبان: ج 15، ص 435؛ المعجم الأوسط: ج 3، ص 180.

فكيف يكون لهم المنزلة عند الله تعالى ورأس الحسين عليه السلام يحمل على الرمح ويطاف به البلاد وهو الأمر الذى جعل زيد بن أرقم يتعجب أشد التعجب مما يرى ويسمع من الرأس المقدس حينما طيف به فى أزقة الكوفة، قائلاً:

(مر به على وهو - الرأس الشريف - على رمح وأنا فى غرفة، فلما حاذانى سمعته يقرأ:

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً1 .

فقف - والله - شعرى وناديت: رأسك والله - يا ابن رسول الله - أعجب وأعجب)(1).

والحادثة تكشف بوضوح عن آثار هذه المأساة فى عقيدة المسلم بشكل خاص وفى عقيدة غير المسلم بشكل عام.

من هنا:

نجد أن عقيلة بنى هاشم السيدة زينب عليها السلام قد أزاحت هذا الصدأ عن قلوب كثير من المسلمين حينما خاطبت ابن معاوية لعنه الله تعالى بقولها له:

«أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً؟! وبك عليه كرامة؟!.

وأن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك، ونظرت فى عطفك، جذلان مسروراً، حيث رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى:

1- (2) الإرشاد للشيخ المفيد: ج 2، ص 118.

وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ 1 »(1).

إذن: أصبح تصحيح المسار للسنة المحمدية مرتكزاً على إرجاع الناس إلى الاعتقاد بحرمة محمد وأهل بيته وأن الذى جرى عليهم من محاصرتهم بتلك الجيوش وسوقهم كما تساق الأسارى ليس لكونهم هينين على الله تعالى وأن عدوهم الذى فعل بهم هذا الفعل لكرامته على الله وعظيم خطره عنده، فأصبح عدوهم شامخاً بأنفه فرحانا مسرورا بما صنع.

لكن: هذه الغفلة والحيلة انكشفت حينما أظهرت العقيلة زينب عليها السلام الأسباب الحقيقية التى أدت إلى حدوث مثل هذه المآسى فى الإسلام، وذلك من خلال سنة الافتتان بالدنيا فهى تجر إليها من فتن بها فضلاً عن أن الملك الذى وصل إليه هؤلاء الظالمون هو فى الأصل ملك رسول الله وأهل بيته بمعنى: أن الله تعالى جعل الملك والسلطان وسياسة العباد وإصلاح البلاد فى الأنبياء ولكن هؤلاء الظالمين هم الذين اعتدوا على ملك غيرهم وانتهبوا سلطان الأنبياء وحكموا العباد بالجور وأشاعوا الفسق والفجور بين الناس، إلا أن كل هذا لا يدوم لهم، وأن بقاءهم فيما هم عليه ليس لكونهم صالحين ومرضيين عند الله تعالى فأضفى عليهم نعمة الإمهال فلم يعاجلهم بالعقوبة وذلك لأنه لن يفوته سبحانه عقابهم.

ولذلك: تقول عليها السلام مذكرة يزيد الذى هو فى حقيقة الأمر أنموذج لكل الطواغيت فى الأرض؛ لأن الصراع ليس بين الإمام الحسين عليه السلام

1- (2) معالم المدرستين للعسكرى: ج 3، ص 145؛ تفسير الميزان للطباطبائى: ج 3، ص 143.

ويزيد بن معاوية وإنما الصـراع بين النور والظلام بين الخير والشـر بين الصـلاح والفساد، ومن ثم فإن سنة الإمهال التى سنها الله تعالى فى حكمه لعباده مردها إلى أن الله تعالى حينما مكنهم من هـذا الملک فأملى لهم بالقوة والمال وعبيـد الـدنيا إنما كان لهدف وغاية وهى كى يزدادوا إثماً ولهم عذاب عظيم.

وبهذا: يكون إعادة مسار السنة النبوية إلى وضعها الصحيح حينما يدرک المسلمون حقيقة هؤلاء الطواغيت فى كل زمان وعصر فينبذونهم ويتبرأون منهم ولا يتمسكون إلا بمحمد وأهل بيته عليهم السلام.

وبهذا الأثر نكون قد وفقنا إلى بيان جانب من الحكمة فى إخراج الإمام الحسـين عليه السـلام عياله من المدينة واصطحابهم معه إلى العراق على الرغم من كل تلک المقدمات التى كانت فى حقيقة الحال هى نتائج تكشف بوضوح أدق التفاصـيل لمأساة كربلاء فى يوم العاشـر من المحرم لأن ما يروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه قطعى الوقوع، وذلک أنه لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحى يوحى.

ولذا: فإن قضـية الحسـين وقضـية عاشوراء بشكل خاص إنما هى نواة الحركة الإصلاحية للأنبياء والمرسلين عليهم السلام التى يرتكز عليها قطب العدل والقسط وهو المهدى الموعود والحجة المنتظر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

فبه يتحقق الـدين الواحـد الـذى يظهره الله تعالى على الـديانات كلها فلا يبقى إنسان على الأرض لا يقول: لا إله إلا الله محمـد رسول الله على ولى الله.

وَ ما تَوْفِيقِى إِلاّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ 1 .

المصادر

1. إبصار العين فى أنصار الحسين / محمد بن الشيخ طاهر السماوى / تحقيق: على جهاد الحسانى / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة البلاغة – دار سلونى / سنة الطبع: 1421 ه – / بيروت.

2. الأحاديث الطوال / تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: 1412 ه –، 1992 م / بيروت.

3. الاحتجاج / أبو منصور أحمد بن على الطبرسى / تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادرى / الطبعة السادسة / نشر: دار الأسوة / سنة الطبع: 1425 ه – / قم المقدسة.

4. إحقاق الحق وإزهاق الباطل / تأليف: القاضى السيد نور الله الحسينى المرعشى التسترى / تحقيق: السيد شهاب الدين المرعشى / نشر: كتاب فروشى اسلامية / طهران.

5. الأخبار الطوال / أحمد بن داود الدينورى / تحقيق: د. عصام محمد الحاج على / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: 1421 ه – / بيروت.

6. أدب الحسين وحماسته / آية الله صابرى همدانى / الطبعة الثانية / نشر: دار النشر الإسلامى / سنة الطبع: 1372 / قم المقدسة

7. الإرشاد فی معرفة حجج الله علی العباد / الشیخ المفید أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان / تحقیق: مؤسسة آل البیت علیهم السلام لتحقیق التراث / الطبعة الثانیة / نشر: دار المفید للطباعة والنشر والتوزیع / سنة الطبع: 1414 ه‍ -، 1993 م / بیروت.

8. الاستغاثة / تألیف: أبی القاسم الکوفی علی بن أحمد بن موسی بن الإمام الجواد علیه السلام / الطبعة الأولی / نشر: مؤسسة الأعلمی / سنة الطبع: 1373 ه‍ - / طهران.

9. الاستیعاب فی معرفة الأصحاب / تألیف: یوسف بن عبد الله بن محمد بن عبر البر القرطبی / تحقیق: علی محمد البجاوی / الطبعة الأولی / سنة نشر: دار الجیل / سنة الطبع: 1412 ه‍ - / بیروت.

10. أسد الغابة فی معرفة الصحابة / تألیف: عز الدین ابن الأثیر ابی الحسن علی بن محمد الجزری / تحقیق: مجموعة من المحققین / الطبعة الثانیة / نشر: دار الکتب العلمیة / سنة الطبع: 1424 ه‍ - / بیروت.

11. الإصابة فی تمییز الصحابة / تألیف: ابن حجر العسقلانی / تحقیق: الشیخ عادل أحمد عبد الموجود / الطبعة الأولی / نشر: دار الکتب العلمیة / سنة الطبع: 1415 ه‍ - / بیروت.

12. أصول الکافی / تالیف: الشیخ محمد بن یعقوب الکلینی / الطبعة الخامسة / نشر: دار الأسوة للطباعة والنشر / سنة الطبع: 1425 ه‍ - / قم المقدسة.

13. الأعلام / تألیف: خیر الدین الزرکلی / الطبعة السادسة عشر / نشر: دار العلم للملایین / سنة الطبع: 2005 م / بیروت.

14. إعلام الوری بأعلام الهدی / تالیف: الشیخ أبی علی الفضل بن الحسن الطبرسی / تحقیق: مؤسسة آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث / الطبعة الأولی / نشر: مؤسسة آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث / سنة الطبع: 1417 ه‍ - / قم المقدسة.

15. أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين / نشر: دار التعارف للمطبوعات / سنة الطبع: 1413 ه - / بيروت.

16. إكسير العبادات فى أسرار الشهادات / آغا بن عابد الشيروانى الحائرى (الفاضل الدربندى) / تحقيق: محمد جمعة / الطبعة الأولى / نشر: شركة المصطفى / سنة الطبع: 1415 ه - / البحرين.

17. الأمالى / تأليف الشيخ الطوسى رحمه الله / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة / الطبعة الأولى / نشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: 1414 ه - / قم المقدسة.

18. الأمالى / تأليف: الشيخ الصدوق / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / الطبعة الأولى / نشر: مركز الطباعة والنشر فى مؤسسة البعثة / سنة الطبع: 1417 ه - / قم المقدسة.

19. الأمالى / تأليف: الشيخ المفيد / تحقيق: حسين الأستاد ولى، على أكبر الغفارى / الطبعة الثانية / نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: 1414 ه -، 1993 م / بيروت.

20. الإمامة والتبصرة من الحيرة / على بن الحسين بن بابويه القمى / تحقيق: مدرسة الإمام المهدى (عجل الله تعالى فرجه الشريف) / الطبعة الأولى / نشر: مدرسة الإمام المهدى (عجل الله تعالى فرجه الشريف) / سنة الطبع: 1404 ه - / قم المقدسة.

21. إمتاع الأسماع بما للنبى صلى الله عليه وآله وسلم من الاحوال والأموال والمفدة والمتاع / تأليف: تقى الدين احمد بن على بن عبد القادر بن محمد المقريزى / تحقيق: محمد عبد الحميد نميسى / الطبعة الأولى / نشر: منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية / سنة النشر: 1420 ه - / بيروت.

22. الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام /

تأليف: السيد نبيل الحسنى / الطبعة الأولى / نشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية فى العتبة الحسينية المقدسة / سنة الطبع: 1430 ه - / بيروت.

23. أنساب الأشراف / البلاذرى / تحقيق: محمود الفردوس العظم / نشر: دار اليقظة العربية / سنة الطبع: 1997 ه - / دمشق.

24. أنصار الحسين عليه السلام / العلامة الشيخ محمد مهدى شمس الدين / الطبعة الأولى / دار الكتاب الإسلامى / سنة الطبع: 2005 م.

25. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار / تأليف: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسى / الطبعة الثانية المصححة / نشر: مؤسسة الوفاء / سنة الطبع: 1403 ه -، 1983 م / بيروت.

26. البداية والنهاية / تأليف: ابن كثير / تحقيق وتدقيق وتعليق: على شيرى / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربى / سنة الطبع: 1408 ه -، 1998 م / بيروت.

27. بصائر الدرجات الكبرى فى فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم / الشيخ محمد بن الحسن بن فروخ الصفار / الطبعة الأولى / ترجمة السيد محمد السيد حسين المعلم / نشر: المكتبة الحيدرية / سنة الطبع: 1426 ه - / قم المقدسة.

28. تاريخ الإسلام / تأليف: محمد بن أحمد الذهبى / تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتاب العربى / سنة الطبع: 1407 ه - / 1987 م / بيروت.

29. تاريخ الطبرى / تأليف: أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى / تحقيق ومراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء / الطبعة الرابعة / نشر: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات / سنة الطبع: 1403 ه -، 1983 م / بيروت.

30. تاريخ اليعقوبى / تأليف: أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب واضح الكتاب العباسى / تحقيق: عبد الأمير مهنا / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمى / سنة الطبع: 1413 ه - / بيروت.

31. تاريخ بغداد / تأليف: تأليف: أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى / تحقيق ودراسة: مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: 1417 ه -، 1997 م / بيروت.

32. تاريخ مدينة دمشق / تأليف: ابن عساكر / تحقيق: على شيرى / نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: 1415 ه - / بيروت.

33. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله / ابن سعد تحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائى / نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة الأولى / سنة الطبع: محرم الحرام 1415 ه - / قم المقدسة.

34. التمهيد / تأليف: ابن عبد البر / تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى / نشر: وزارة علوم الأوثاف والشؤون الإسلامية / سنة الطبع: 2008 م.

35. تهذيب التهذيب / تأليف: ابن حجر العسقلانى / الطبعة الأولى / نشر: دار صادر / سنة الطبع: 1325 ه - / بيروت.

36. تهذيب الكمال / تأليف: أبو الحجاج جمال الدين المزى / تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: 1425 ه - / بيروت.

37. جلاء العيون فى سيرة رسول الله وابنته السيد الزهراء وأئمة أهل البيت عليهم السلام / الشيد عبد الله شبر / الطبعة الأولى / نشر: دار المرتضى / سنة الطبع: 1428 ه - / بيروت.

38. الجمل / تأليف: ضامن بن شدقم المدنى / تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوى / نشر: المحقق / سنة الطبع: 1420 ه -، 1999 م.

39. جواهر المطالب فى مناقب الإمام على عليه السلام / أبو البركات محمد بن أحمد

الدمشقی الباعونی / تحقیق: الشیخ محمد باقر المحمودی / الطبعة الأولی / سنة الطبع: 1416 ه - / نشر: مجمع إحیاء الثقافة الإسلامیة / قم المقدسة.

40. الجوهرة فی نسب الامام علیه وآله / تألیف: محمد بن أبی بکر الأنصاری التلمسانی المعروف بالبری / تحقیق: دکتور محمد التونجی / الطبعة الثانیة / نشر: مؤسسة أنصاریان / سنة الطبع: 1425 ه - / قم المقدسة.

41. الخرائج والجرائح / تألیف: قطب الدین الراوندی / الطبعة الثانیة / نشر: مؤسسة النور / سنة الطبع: 1411 ه - / بیروت.

42. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / تألیف: عبد القادر بن عمر للبغدادی / تحقیق: عبد السلام محمد هارون / الطبعة الأولی / نشر: الهیئة المصریة العامة للکتاب / سنة الطبع: 1397 ه - / القاهرة.

43. الدرجات الرفیعة فی طبقات الشیعة / صدر الدین السید علی خان المدنی الشیرازی الحسینی صاحب (سلافة العصر) و (أنوار الربیع) / تحقیق وتقدیم: العلامة الکبیر السید محمد صادق حر العلوم / الطبعة الأولی / نشر: منشورات المطبعة الحیدریة ومکتبتها / سنة الطبع: 1382 ه -، 1962 م / النجف الأشرف.

44. دلائل الإمامة / تألیف: محمد بن جریر الطبری (الشیعی) / الطبعة الثانیة / نشر: المطبعة الحیدریة / سنة الطبع: 1383 ه - / النجف الأشرف.

45. الدمعة الساکبة فی أحوال النبی والعترة الطاهرة / المولی محمد باقر عبد الکریم البهبهانی / الطبعة الأولی / نشر مؤسسة الأعلمی، سنة الطبع: 1408 ه - / بیروت.

46. ذخائر العقبی فی مناقب ذوی القربی / تألیف: محب الدین أحمد بن عبد الله الطبری / نشر: دار المعرفة / بیروت.

47. رسائل الشريف المرتضى / الشريف المرتضى / الطبعة الأولى / نشر: دار القرآن الكريم / سنة الطبع: 1405 ه - / قم المقدسة.

48. روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى / تأليف: أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسى البغدادى / تحقيق: محمد حسين العرب / نشر: دار الفكر / بيروت.

49. الروض الأنف ومعه السيرة النبوية لابن هشام / أبو القاسم عبد الرحمن الخثعمى السهيلى / تحقيق: عبد الله المنشاوى / الطبعة الأولى / نشر: دار الحديث / سنة الطبع: 1429 ه - / القاهرة.

50. سنن أبى داوود / تأليف: ابى داود سليمان بن الاشعث السجستانى / تحقيق وتعليق: سعد محمد اللحام / الطبعة الأولى / نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: 1410 ه -، 1990 م / بيروت.

51. سير أعلام النبلاء / تأليف: شمس الدين الذهبى / الطبعة الأولى / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: 1425 ه - / بيروت.

52. سيرة ابن إسحاق / تأليف: محمد بن اسحاق بن يسار المطلبى / تحقيق: د. سهيل زكار / الطبعة الأولى / نشر: دار الفكر / سنة الطبع: 1398 ه - / نشر: دار الفكر.

53. شرح إحقاق الحق / السيد المرعشى / تحقيق واهتمام: السيد محمود المرعشى / الطبعة الأولى / نشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى / سنة الطبع: 1415 ه - / قم المقدسة.

54. شرح الأخبار فى فضائل الأئمة الأطهار / أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمى المغربى / تحقيق: السيد محمد الحسينى الجلالى / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة النشر الإسلامى

التابعة لجماعة المدرسين / سنة الطبع: 1409 ه‍ - / قم المقدسة.

55. شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام / السيد حسن القبانجى / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمى / سنة الطبع: 1422 ه‍ - / بيروت.

56. شرح نهج البلاغة / تأليف: ابن أبى الحديد المعتزلى / تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء الكتب العربية / سنة الطبع: 1378 ه‍ -، 1959 م / بغداد.

57. صحيح البخارى / تأليف: ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة بن البخارى / الطبعة الرابعة / نشر: عالم الكتب / سنة الطبع: 1405 ه‍ - / بيروت.

58. الطبقات الكبرى / تأليف: محمد بن سعد / الطبعة الأولى / نشر: دار صادر - دار بيروت / سنة الطبع: 1376 ه‍ - / بيروت.

59. عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب / جمال الدين أحمد بن على الحسينى (ابن عنبه) تحقيق: مهدى الرجائى / الطبعة الأولى / نشر: مكتبة المرعشى النجفى / سنة الطبع: 1425 ه‍ - / قم المقدسة.

60. عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى / تأليف: بدر الدين العينى / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربى / سنة الطبع: 1424 ه‍ - / بيروت.

61. العوالم الغيبية فى القرآن الكريم / الشيخ جعفر السبحانى / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام / سنة الطبع: 1428 ه‍ - / قم المقدسة.

62. الغارات / تأليف: إبراهيم بن محمد الثقفى / تحقيق: عبد الزهرة الحسينية / الطبعة الأولى / نشر: دار الأضواء / سنة الطبع: 1407 ه‍ - / بيروت.

63. الغدير فى الكتاب والسنة والأدب / تأليف: الشيخ عبد الحسين أحد الأمينى النجفى / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة البديل - دار المتقين / سنة الطبع: 1414 ه‍ - / بيروت.

64. فتح البارى / تأليف: الحافظ أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسـقلانى الشافعى / تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز / نشر: دار المعرفة / سنة الطبع: 1379 ه‍ - / بيروت.

65. الفروق اللغوية / الحسن بن عبد الله بن سهيل العسكرى / تحقيق: محمد باسل عيون السود / الطبعة الرابعة: نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: 1427 ه‍ - / بيروت.

66. الفصول المختارة / تأليف: الشريف المرتضى / تحقيق: السيد نور الدين جعفريان الاصبهانى / الطبعة الثانية / نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: 1414 ه‍ -، 1993 م / بيروت.

67. قاموس الرجال / تأليف: الشـيخ محمد تقى التسترى / الطبعة الأولى / نشـر: مؤسـسة النشر الإسلامى التابعة لجامعة المدرسين / سنة الطبع: 1419 ه‍ - / قم المقدسة.

68. القاموس المحيط / الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة النورى / سنة الطبع: 1408 ه‍ - / دمشق.

69. قرب الاسـناد / تأليف: الحميرى القمى / تحقيق: مؤسـسة آل البيت عليهم السـلام لإحياء التراث / الطبعة الأولى / نشـر: مؤسـسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / سنة الطبع: 1413 ه‍ - / قم المقدسة.

70. كامل الزيارات / الشيخ أبى القاسم جعفر بن محمد القمى / تحقيق: الشيخ جواد القيومى الأصفهانى / الطبعة الثالثة / نشر: دار الفقاهة / سنة الطبع: 1424 ه‍ - / قم المقدسة.

71. الكامل فى التاريخ / تأليف: ابن الأثير / نشر: دار صادر / سنة الطبع: 1386 ه‍ -، 1966 م / بيروت.

72. كتاب الأربعين / تأليف: محمد طاهر القمى / تحقى: السيد مهدى الرجائى / الطبعة الأولى / سنة الطبع: 1418 ه‍ -.

73. كتاب العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى / تحقيق: د. مهدى المخزومى / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمى / سنة الطبع: 1408 ه - / بيروت.

74. كتاب الفتوح / أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى / تحقيق: على شيرى / الطبعة الأولى / نشر: دار الأضواء / سنة الطبع: 1411 ه - / بيروت.

75. كتاب بلاغات النساء أبو الفضل أحمد بن ابى طاهر طيفور / تحقيق: بركات يوسف هبود / الطبعة الأولى / نشر: المكتبة العصرية / سنة الطبع: 1426 ه - / صيدا.

76. كتاب سليم بن قيس الهلالى / سليم بن قيس الهلالى / تحقيق: الشيخ محمد باقر الأنصارى الزنجانى / الطبعة الثالثة / نشر: دار دليل ما / سنة الطبع: 1423 ه - / قم المقدسة.

77. كشف الغمة فى معرفة الأئمة / تأليف: على بن عيسى بن أبى الفتح الأربلى / الطبعة الأولى / نشر: دار الأضواء / سنة الطبع: 1421 ه - / بيروت.

78. لسان العرب / تأليف: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصارى المصرى / تحقيق: عامر أحمد حيدر / الطبعة الاولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: 1424 ه - / بيروت.

79. لسان العرب / جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصارى الأفريقى المصرى / تحقيق: عامر أحمد حيدر / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: 1424 ه - / بيروت.

80. اللهوف فى قتلى الطفوف / السيد رضى الدين أبى القاسم بن طاووس / الطبعة الثانية / نشر: أنوار الهدى / سنة الطبع: 1423 ه - / قم المقدسة.

81. لوائح الأنوار فى طبقات الأخيار / عبد الوهاب بن أحمد بن على بن أحمد بن محمد بن موسى الشعرانى الأنصارى الشافى الشاذلى المصرى / نشر: مطبعة المنار / سنة الطبع: 1323 ه -.

82. لواعج الأشجان فی مقتل الحسین علیه السلام / السید محسن الأمین العاملی / تحقیق: السید حسن الأمین / الطبعة الأولی / نشر: دار الأمیر / سنة الطبع: 1417 ه - / بیروت.

83. مثیر الأحزان / تألیف: نجم الدین جعفر بن محمد بن نما الحلی / الطبعة الأولی / نشر: دار العلوم / سنة الطبع: 1423 ه - / بیروت.

84. المجدی فی أنساب الطالبیین / علی بن محمد بن علی بن محمد العلوی العمری / تحقیق: أحمد المهدوی الدامغانی / الطبعة الثانیة / نشر: مکتبة المرعشی النجفی / سنة الطبع: 1422 ه - / قم المقدسة.

85. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / تألیف: الحافظ نور الدین علی بن ابی بکر الهیثمی / تحقیق عبد الله محمد الدرویش / الطبعة الأولی / نشر: دار الفکر / سنة الطبع: 1425 ه - / بیروت.

86. المحبر / تألیف: محمد بن حبیب البغدادی / طبع: مطبعة الدائرة / سنة الطبع: ذی القعدة 1361 ه -.

87. المحتضر فی تحقیق معاینة المحتضر للنبی والأئمة علیهم السلام / أبو محمد الحسن بن سلیمان الحلی العاملی / تحقیق: مشتاق صالح المظفر / الطبعة الأولی / نشر: مکتبة العلامة المجلسی / سنة الطبع: 1430 ه - / قم المقدسة.

88. مختار الصحاح / محمد بن أبی بکر بن عبد القادر الرازی / تحقیق: نجوی أنیس ضو / الطبعة الرابعة / نشر: دار إحیاء التراث العربی / سنة الطبع: 1426 ه - / بیروت.

89. مروج الذهب ومعدن الجوهر / أبی الحسن علی بن الحسین بن علی المسعودی / تحقیق: أمیر مهنا / الطبعة الأولی / نشر: مؤسسة الأعلمی / سنة الطبع: 1421 ه - / بیروت.

90. مستدرک سفینة البحار / علی نمازی الشاهرودی / الطبعة الأولی / نشر: قسم الدراسات الإسلامیة / سنة الطبع: 1409 ه - / طهران.

91. المستدرک علی الصحیحین / تألیف: ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاکم النیسابوری / تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا / الطبعة الثانیة / نشر: دار الکتب العلمیة / سنة الطبع: 1422 ه - / بیروت.

92. مستدرکات علم رجال الحدیث / الشیخ علی النمازی الشاهرودی / الطبعة الأولی / نشر: مؤسسة النشر الإسلامی / سنة الطبع: 1426 ه - / قم المقدسة.

93. مسند احمد / تألیف: احمد بن محمد بن حنبل / تحقیق: احمد محمد شاکر / نشر: مکتبة التراث الإسلامی / القاهرة.

94. مسند الإمام الرضا علیه السلام / الشیخ عزیز الله العطاردی / الطبعة الثانیة / نشر: دار الصفوة / سنة الطبع: 1413 ه - / بیروت.

95. المعارف / تألیف: ابن قتیبة الدینوری / تحقیق: محمد إسماعیل عبد الله الصاوی / الطبعة الأولی / نشر: المطبعة الإسلامیة / سنة الطبع: 1934 م / القاهرة.

96. معالم المدرستین / السید مرتضی العسکری / الطبعة الثالثة / نشر: المجمع العالمی لأهل البیت علیه السلام / سنة الطبع: 1403 ه - / بیروت.

97. معالی السبطین فی أحوال الحسن والحسین / الشیخ محمد مهدی الحائری / الطبعة الأولی / نشر: مؤسسة البلاغ / سنة الطبع: 1423 ه - / بیروت.

98. المعجم الأوسط / أبو القاسم سلیمان بن أحمد الطبرانی / تحقیق: طارق بن عوض الله بن محمد / نشر: دار الحرمین / سنة الطبع: 1415 ه - / القاهرة.

99. معجم رجال الحدیث / تألیف: السید ابو القاسم الموسوی الخوئی / الطبعة الخامسة / سنة الطبع: 1413 ه -.

100. مقاتل الطالبیین / أبی الفرج الأصفهانی / نشر: دار التربیة / بغداد.

101. مقتل الإمام الحسين بن على عليهما السلام / أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد العامرى الأزدى الكوفى / تحقيق: كامل سلمان الجبورى / الطبعة الأولى / نشر: دار المحجة البيضاء / سنة الطبع: 1402 ه - / بيروت.

102. مقتل الإمام الحسين عليه السلام / أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكى أخطب خوارزم / تحقيق: الشيخ محمد السماوى.

103. مقتل الإمام الحسين عليه السلام / السيد عبد الرزاق الموسوى المقرم / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة النور / سنة الطبع: 1423 ه - / بيروت.

104. من تراث الأنساب - تاريخ الحروب العربية بين بكر وتغلب / تأليف: سلمان الصفوانى / تحقيق: د. محمد زينهم / الطبعة الأولى / نشر: مكتبة مدبولى / سنة الطبع: 1998 ه - / القاهرة.

105. مناقب آل أبى طالب / تأليف: ابن شهر آشوب / تحقيق: د. يوسف البقاعى / الطبعة الأولى / نشر: مركز الأبحاث العقائدية / سنة الطبع: 1421 ه - / قم المقدسة.

106. المنتخب من ذيل المذيل / الطبرى / نشر: مؤسسة الأعلمى / بيروت.

107. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام / معهد تحقيقات باقر العلوم / نشر: دار المعروف / سنة الطبع: 1415 ه - / قم المقدسة.

108. الميزان فى تفسير القرآن / السيد محمد حسين الطباطبائى / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمى / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات / سنة الطبع: 1417 ه - / بيروت.

109. ناسخ التواريخ - حياة الإمام سيد الشهداء الحسين عليه السلام / ميرزا محمد تقى سبهر (لسان الملک) / تحقيق وترجمة: سيد على جمال أشرف / الطبعة الأولى / نشر: مدين / سنة الطبع: 1427 ه - / قم المقدسة.

110. نفس المهموم فی مصیبة سیدنا الحسین المظلوم / الشیخ عباس القمی / الطبعة الأولی / نشر: انتشارات ذوی القربی / سنة الطبع: 1421 ه - / قم المقدسة.

111. النهایة فی غریب الحدیث / تألیف: ابن الأثیر / تحقیق: طاهر أحمد الزاوی / الطبعة الرابعة / نشر: مؤسسة إسماعیلیان للطباعة والنشر والتوزیع / سنة الطبع: 1965 م / قم المقدسة.

112. نور العین فی المشی إلی زیارة قبر الحسین علیه السلام / محمد حسین الاصطهباناتی / الطبعة الأولی / نشر: مؤسسة مولود الکعبة / سنة الطبع: 1425 ه - / قم المقدسة.

113. الوافی بالوفیات / تألیف: صلاح الدین خلیل بن أبیک الصفدی / تحقیق: أحمد الارناؤوط / الطبعة الأولی / نشر: دار إحیاء التراث العربی / سنة الطبع: 1420 ه - / بیروت.

114. وسائل الشیعة / تألیف: الحر العاملی / تحقیق: مؤسسة آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث / الطبعة الثانیة / نشر: مؤسسة آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث / سنة الطبع: 1414 ه - / قم المقدسة.

115. ینابیع المودة لذوی القربی / تألیف: الشیخ سلیمان بن إبراهیم القندوزی الحنفی / تحقیق: سید علی جمال أشرف الحسینی / الطبعة الأولی / نشر: دار الأسوة للطباعة والنشر / سنة الطبع: 1416 ه - / بیروت.

المحتويات

الإهداء 5

مقدمة الكتاب 7

المبحث الأول

هل كانت العرب تحمل النساء والأطفال إلى الحرب قبل الإسلام؟

المسألة الأولى: أول من أشار بقتال النساء فى الحرب والهدف فى وجودها؟ 20

المسألة الثانية: إخراج المشركين للنساء فى حروبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 23

أولاً: إخراج النساء إلى معركة أحد 23

ثانيا: إخراج المشركين نساءهم وأولادهم فى غزوة حنين 27

المسألة الثالثة: هل قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإخراج عياله إلى الحرب أو أجاز ذلک لأصحابه 33

ص:239

المسألة الرابعة: إخراج النساء فى قتال الإمام على (عليه السلام) للناكثين والقاسطين والمارقين 41

أولا: دور المرأة فى معركة الجمل 42

ثانيا: دور المرأة فى معركة صفين وقتال على عليه السلام القاسطين 49

1 – سودة بنت عمارة (رحمها الله تعالى) 50

2 – الزرقاء بنت عدى رحمها الله تعالى 52

3 – بكارة الهلالية 55

المبحث الثانى

معنى السبى وتاريخه

المسألة الأولى: معنى السبى لغة 65

المسألة الثانية: الجذور التاريخية لسبى المرأة 66

أولاً: أول من سبى السبايا من العرب 66

ثانيا: سبى المرأة فى الأمم السابقة 67

المسألة الثالثة: كيف كان يتعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع السبايا؟ 69

أولاً: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع جويرية بنت الحارث 70

ثانيا: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع عمة عدى بن حاتم لما سباها المسلمون 72

ثالثا: تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع سبايا اليهود 75

المسألة الرابعة: أبو بكر أول من سن سبى المرأة المسلمة 77

المبحث الثالث

معنى المشيئة الإلهية، وهل هذه المشيئة تعطل العقاب الإلهى؟

المسألة الأولى: معنى المشيئة الإلهية 85

أولاً: المشيئة لغة 85

ثانيا: المشيئة فى القرآن 86

ثالثا: المشيئة فى السنة 93

المسألة الثانية: المشيئة التشريعية والمشيئة التكوينية 96

المبحث الرابع

من هم عيال الإمام الحسين عليه السلام؟ وما هو عددهم؟

المسألة الأولى: كم أخرج الإمام الحسين من أخواته إلى كربلاء؟ 108

أولاً: عدد أخواته من أبيه اللاتى خرجن معه عليه السلام 108

1 – السيدة أم كلثوم بنت على بن أبى طالب عليه السلام 108

2 – فاطمة بنت على بن أبى طالب عليهما السلام 110

3 – السيدة رقية بنت على بن أبى طالب عليه السلام 114

4 – خديجة بنت على بن أبى طالب عليه السلام 114

5 – رقية الصغرى بنت على أمير المؤمنين عليه السلام 115

6 – أم هانئ بنت على بن أبى طالب عليه السلام 115

7 – أم الحسن بنت على بن أبى طالب عليه السلام 115

8 – رملة بنت على بن أبى طالب عليه السلام 116

9 – زينب الصغرى بنت على بن أبى طالب عليه السلام 118

ثانيا: عدد شقيقاته اللاتى خرجن معه إلى كربلاء 119

ثالثا: العلة فى اختصاص العقيلة زينب عليها السلام بهذه المصائب دون غيرها من بنات على أمير المؤمنين عليه السلام 120

المسألة الثانية: أزواج الإمام الحسين عليه السلام وبناته اللاتى خرجْنَ معه إلى العراق 123

أولا: عدد أزواجه عليه السلام، ومن خرجت منهنّ معه عليه السلام 123

1 – ليلى بنت أبى مرة 123

2 – الرباب بنت امرئ القيس بن عدى من أهل الشام 127

3 – أم إسحاق بنت طلحة 130

ثانيا: عدد بناته اللاتى أخرجهن إلى العراق 133

1 – السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام 133

2 – فاطمة الكبرى بنت الحسين عليه السلام 134

3 – فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام 135

4 – رقية بنت الحسين عليه السلام 139

5 – عاتكة بنت الحسين عليه السلام 140

المسألة الثالثة: نساء الأنصار 140

1 – أم وهب 141

2 – أم عمرو بن جنادة الأنصارى 142

3 – أم عبد الله بن عمير الكلبى 143

المبحث الخامس

علّة إخراج الإمام الحسين عليه السلام لعياله وآثار ذلک فی الأمة

المسألة الأولی: سبايا آل محمد صلی الله عليه وآله وسلم صور ومشاهد 147

أولاً: سلب سيد شباب أهل الجنة عليه السلام بعد قتله 148

ثانيا: سلب بنات النبوة وسبيهن 149

ثالثا: أم كلثوم بنت أمير المؤمنين علی عليه السلام تصف سبی الأعداء لبنات رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم 151

رابعاً: فاطمة بنت الحسين عليه السلام تصف سبی الأعداء لبنات المصطفی 151

خامساً: العقيلة زينب عليها السلام تصف سبی الأعداء لبنات رسول الله 152

سادساً: الإمام زين العابدين عليه السلام يصف سبی الأعداء لآل محمد 152

سابعاً: كيف كانت حاله حينما أدخلوه وسبايا آل محمد علی يزيد 152

المسألة الثانية: آثار إخراج النساء إلی كربلاء فی الإسلام والمسلمين 154

الأثر الأول: اصطفاء الذرية للدفاع عن الشريعة، وشاهده القرآنی 155

الأثر الثانی: هواية القلوب للذرية، وشاهده القرآنی 156

الأثر الثالث: إن الحسين وعياله خير أمة للأمر بالمعروف والنهی عن المنكر؛ وشاهده القرآنی 159

الأثر الرابع: الأثر التصديقی؛ وشاهده القرآنی 161

الأثر الخامس: الأثر العسكری 163

ألف: إظهار حمية الأنصار لدرجة الاستئناس بالموت 164

باء: حث الرجال علی القتال ومشاركتهم الجهاد 166

الأثر السادس: إصلاح البنية الفكرية للمجتمع المسلم 166

الأثر السابع: تجلى مصداق التوحيد فى حركة العقيلة زينب الإصلاحية للمجتمع 171

1 – تلازم مفهوم الجمال والتوحيد عند العقيلة زينب عليها السلام 176

2 – صنع الله تعالى هو المحور فى الفكر التوحيدى فى معركة الإصلاح عند العقيلة زينب 178

3 – الفاعل غير الفعل فى الفكر التوحيدى عند العقيلة زينب عليها السلام 179

4 – نواة التوحيد هو الإيمان بالغيب 180

5 – قوام التوحيد فى العدل الإلهى 182

الأثر الثامن: الأثر التوثيقى 184

الأثر التاسع: الأثر الفقهى 187

الأثر العاشر: حفظ نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الانقطاع 188

الأثر الحادى عشر: الأثر الوجدانى 197

الأثر الثانى عشر: ترسيخ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتهاكها وتثبيتها فى نفوس المسلمين 199

أولاً: دخولهن بالحالة المفجعة إلى الكوفة عمل على تصديع سنة التجرى 203

ثانيا: إن هتك حرمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يسده شىء. 206

ثالثا: التلازم بين حرمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة أبنائه وذريته 207

الأثر الثالث عشر: الدفاع عن حق على عليه السلام فى الوصاية والخلافة التى اغتصبت 208

الأثر الرابع عشر: الأثر الإرشادى 210

الأثر الخامس عشر: تصحيح مسار سنة رسول الله فى الأمة 218

المصادر 225

المحتويات 239

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹